الاتصال الاجتماعي

((العمومي))



د. آمال عميرات

الاتصال الاجتماعي

"العمومي"

وأبعاده في منهج الدعوة المحمدية

تأليف

د.آمال عميرات

دار أسامة للنشر والتوزيع
عمّان - الأردن

نبلاء ناشرون
عمّان - الأردن

الناشر

دار أسامة للنشر و التوزيع

الأردن – عمان

- هاتف: 5658252 – 5658253
- فاكس: 5658254
- العنوان: العبدلي- مقابل البنك العربي

ص. ب: 141781

Email: darosama@orange.jo

www.darosama.net

نبلاء ناشرون وموزعون

الأردن – عمان- العبدلي

الطبعة الأولى

2014م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(1689/ 5/ 2013)

302.0 عميرات ، آمال

الاتصال الاجتماعي العمومي وابعاده في منهج الدعوة المحمدية/آمالي عميرات.- عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2013.

( ) ص .

ر.أ : (1689/ 5/ 2013)

الواصفات: /الاتصال//التفاعل الاجتماعي//الدعوة الاسلامية/

ISPN: 978-9957-22-552-0

الفهرس

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

المقدمة:

إن أي حديث عن الاتصال الاجتماعي العمومي يقود إلى الحديث عن ذلك الاتصال الذي يستهدف المصلحة العامة انطلاقا من مسؤولية كل فرد في المجتمع، حيث يسعى من اجل توعية المستقبلين وتعليمهم وتربيتهم لاتخاذ المواقف الصحيحة ومن ثم تبني السلوك الصحيح و الايجابي الذي يؤدي إلى تكوين مجتمع متحضر وسليم من الانحرافات، الأمراض والآفات الاجتماعية المختلفة، وبالرغم من انه نظريا حديث النشأة إلا انه كممارسة يعتبر نشاط قديم، فالإنسان سعى ويسعى دائما نحو الأفضل في محاولاته لإرساء أفكار ومبادئ من اجل سلوكات صحيحة وايجابية لصالح المجتمع ككل.

والجهود المبذولة في هذا المجال والساعية نحو التعديل أو التغيير من اجل حياة أفضل للجميع، تقع مسؤوليتها ولاتزال على المرسل أو القائم بالاتصال في التأثير على المتلقي وإقناعه، هذا الأخير الذي يعد حلقة مهمة أيضا في عملية الاتصال العمومي، فإذا لم يكن لدى المرسل المصداقية الكافية فان رسالته لن تؤثر بالشكل المطلوب، فأصعب ما يمكن تعديله أو تغييره هو السلوك البشري، خاصة إذا كان متأصلا، مما يشكل أهم الصعوبات التي يتلقاها المرسل في مجال الاتصال العمومي، الذي لا يستهدف مجرد الإعلام بل يتعدى ذلك إلى محاولة التأثير في مستقبلي الرسالة من اجل تعديل أو تغيير مواقفهم وبالتالي سلوكاتهم الخاطئة لفائدتهم و فائدة المجتمع ككل وهو بذلك أسمى وأنبل أنواع الاتصال التي لا تستهدف في مسعاها سوى مصلحة الجميع ليعيشوا في حياة أكثر رفاهية وحضارة، والإسلام كدين ورسالة للعالمين بعث بها رسول ومعلم البشرية وقائدها صلى الله عليه وسلم كان سباقا في اهتمامه وحرصه على المصلحة العامة، فقد جاء رحمة للعالمين متوافقا مع طبع الإنسان دافعا له نحو الرقي المادي والمعنوي لأنه يملك كل المقومات الحضارية التي تسمح له بتأسيس حضارة إذا تمسك أصحاب هذه الرسالة تمسكا حقيقيا بحقائق الدين والتزموا بفضائل الأخلاق وأوثقوا ذلك بحقائق الفكر والمعرفة، فاجتماع ذلك كله يعطي القدرة ليس فقط على النهضة الحضارية بل على قيادة الأرض لما يتمتع به الفكر الإسلامي من نظر اجتماعي عميق وافق

سياسي واسع وخير دليل على ذلك نجاح المسلمين في تأسيس الحضارة الإسلامية لما احيوا دينهم بمثالية عالية وسموا بأخلاقهم وتمثلوا برؤية علمية فريدة، فتجاوزوا الزمان الذي عاشوا فيه، واستثمروا معاني العقل والمعرفة والحكمة بسلوكاتهم الحضارية لكن بمجرد ابتعادهم عن القيم الإسلامية التي هي أساس مقوماتهم الحضارية، ابتعدوا عن الحق وعن الحضارة وعن العلم ووقعوا أسرى الجهل والانحرافات والانحلال الخلقي والتخلف، بالتالي ابتعدوا عن كل سلوك ايجابي الذي أساسه الموقف الصحيح النابع عن القيم الصحيحة التي تفرضها وتلقنها التربية والعقيدة الصحيحة.

إن الإسلام قول و عمل ولايكفي ان يقر الفرد بإسلامه بل إن سلوكه يجب أن يعكس ذلك، وما السلوك إلا ترجمة لأخلاق وقيم صاحبها، ورغم أن للإسلام قيم ترقى بصاحبها ماديا ومعنويا إلا أن المسلمين اليوم يكادون لايحملون من الإسلام إلا اسمه، ورغم أنهم يشكلون خمس البشرية إلا أنهم منقادون غير فاعلين، ويخوض بعضهم كفاحا من اجل انبعاث جديد للتخلص من قيود الوصاية المفروضة عليه ولا سبيل لذلك إلا بالعودة إلى العلم، وأمة اقرأ أولى بذلك وكونها كذلك يجعلها صاحبة مسؤولية، مسؤولية إحقاق الحق ومحاربة الباطل والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ما يمكن أن نعتبره تلخيصاً لأهداف الاتصال العمومي، بل إن كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كرسول من رب العالمين هو رسالة حق وخير للبشرية جمعاء يمكن أن نستخلص منها الكثير من الأبعاد والقيم التربوية التي تساعد على الرقي بالفرد والمجتمع ماديا ومعنويا، باعتبارها رسالة متضمنة للكثير من العلم و المعرفة والقيم والأخلاق التي هي أساس كل سلوك ايجابي وحضاري.

وبناء على ما تقدم، جاء هذا الكتاب في فصول خمسة، كان الفصل الأول لمرتكزات الاتصال العمومي، والثاني: لخصوصية الاتصال، والثالث، لأبعاد الاتصال والرابع، لاستراتيجية الدعوة الاسلامية، أما الأخير فكان لعلاقة المنهج المحمدي في التغيير والبناء.

نسأل الله التوفيق،،،

المؤلفة

الفصل الأول

مرتكزات ومبادئ الاتصال العمومي

مفهوم الاتصال العمومي:

إذا كان الاتصال عبارة عن نوع من التفاعل الاجتماعي من خلال الرسائل المرسلة ومجموعة من العمليات تؤدي إلى زيادة الشيوع و المشاركة والعمومية، فهو الشيء المشترك بين المشاركين في هذه العملية، لأن الاتصال نشاط يستهدف العمومية أو الشيوع و الانتشار لفكرة أو موضوع أو قضية عن طريق انتقال المعلومات والأفكار و الآراء و الاتجاهات من شخص أو جماعة إلى أشخاص أو مجموعات باستخدام الرموز ذات المعاني المحددة و المفهومة لنفس الدرجة لدى كل من الطرفين، و بهذا فالاتصال هو كل أساس تفاعل إعلامي ثقافي حيث ينتج عنه نقل المعارف و المعلومات، ييسر التفاهم بين الأفراد و الجماعات، فهو النشاط الذي يستخدمه الإنسان لتنظيم حياته ولاستقرارها أو لتغيير حياته الاجتماعية، لذلك فعملية الاتصال تسعى لتحقيق هدف عام هو التأثير في المستقبل حتى تتحقق في الخبرة مع المرسل وينصب هذا التأثير على أفكار المستقبل لتعديلها أو تغييرها، أو على اتجاهاته أو على مهاراته[1] وعندما يكون هذا التأثير متجها نحو تغيير أو تعديل اتجاهات ومواقف وسلوكات نحو الأفضل لصالح المجتمع ككل، فإن هذا النوع من الاتصال الهادف نحو المصلحة العامة للمجتمع اصطلح على تسميته بالاتصال العمومي الذي يعرف على أنه يتجاوز مجرد تبادل المعلومات بين طرفي الاتصال بل أنه أوسع من ذلك عندما يحاول التأثير على الآخرين بالإقناع من أجل تعديل المعارف و المواقف و الآراء و السلوكات سعيا نحو

---

1 -Denis Macquail: Mass communication theory an introduction ,second édition ,London , 1988 P 54

مصلحة المجتمع كهدف أساسي له، فهو بذلك يستجيب للمصلحة العامة خاصة في مجال مكافحة الآفات الاجتماعية وترويج القيم الأساسية، فهو بذلك يحفز ويدعو كل فرد من المجتمع لأخذ نصيبه من المسؤولية لمصلحة المجتمع[1].

وهذا النوع مكن الاتصال الاجتماعي العمومي وسمح له بالوقاية من مختلف الأمراض و الحوادث وسمح بالتربية في مختلف المجالات سواء كانت صحية أو خاصة بحماية البيئة أو ترويج قيم اجتماعية أو وطنية، أي محاولة تطوير مشاركة الفرد داخل مجتمعه مشاركة إيجابية فعالة فالإنسان يعبر لكي يقنع ويعدل المعارف و الآراء و المواقف الخاصة بالآخرين وعندما يكون هذا التعديل لصالح المجتمع ككل ويستجيب لتطلعات أفراده وفائدتهم يسمى اتصالا عموميا، هدفه الأساسي تصحيح المواقف بالإقناع[2].

فالاتصال العمومي هو نفسه الاتصال الاجتماعي عندما يقع تحت معاني الصالح العام: كحق الجمهور في المعلومات و البحث عن الحقيقية، فالعمل الاجتماعي و العمل في هذا المجال يبحث الانخراط الاجتماعي للمجتمع وفق المبادئ المروج لها[3] إن المصالح العمومية تستلزم الاتصال لمحاولة الجذب والإقناع وتقوية ما هو إيجابي مع الأفراد، فمجالات هذا الاتصال العمومي عديدة كالصحة المتضمنة للوقاية قبل العلاج وتوعية الأفراد بخطورة الأمراض الفيروسية كالسيدا ويتضمن أيضا رسائل تمرر ضمن حملات إعلامية موجهة للجمهور العام تحتوي على رسائل

1 -Michel LeNet: la communication publique, pratique de compagnes d'information, édition de documentation française, paris 1992 P 13

2 -Michel LeNet: /La communucation publique, op.cit,p13

3 - P.Malval,J .M.Delaudin: Communication, théories et pratiques, ed person éducation paris, 2005 P 668

توعية تبين خطورة السلوكات السلبية وتقدم النصائح وكيفيات الوقاية أو المعالجة[1].

الاتصال العمومي يسمح بإنجاز مهمة مشتركة ذات فائدة على المجتمع تجعل كل فرد يأخذ نصيبه من مسؤولية سعيا لتطوير المشاركة ذات المصلحة العامة، وهو رهان استراتيجي يذلل الصعوبات ويسمح بالوعي في الحياة الاجتماعية، فهو يدعو لليقظة من أجل التقليل من النفقات التي قد ينجر عنها انتشار الآفات والسلوكات الخاطئة[2].

إنه إستراتجية بث لبقة تتفادى التبذير لا يقتصر دوره على الإعلام بل يتطلب تحفيز جمهور المستقبلين والتوضيح لهم وحثهم على المشاركة من أجل المصلحة العامة مما يؤدي الى تحقيق الهدف منه وهو المدنية والتحضر كغاية لا تظهر نتائجها فورا [3] فعندما نسعى لدراسة السولكات المراد تغييرها أو تعديلها يجب أن نركز اهتمامنا على محاولة الإقناع، لذلك على القائم بالاتصال أن يكون مؤهلا كذلك حتى يحدث هذا التغيير و التعديل المطلوب الهادف للصالح العام، فتغيير السلوكات الخاطئة أو تعديلها تمس كل مجالات حياة المجتمع سواء كان الأمر متعلق بالجانب الاقتصادي، الصحي، أو السياسي، فكل الحياة الاجتماعية هي مجال شاسع لنشاط الاتصال العمومي الهادف إلى الإقناع بضرورة تغيير أو تعديل المواقف و السلوكات الخاطئة أو المنحرفة[4] وعليه تزداد أهمية الاتصال العمومي يوما بعد يوم نظرا لأهمية في ديناميكية وسيرورة المجتمع ومساهمة في نقل المعارف وتيسير التفاهم بين أفراد المجتمع بواسطة مختلف دعائمه المتمثلة في الصحافة المكتوبة، الإذاعة، التلفزيون، الملصقات و الكتب، هذه الأخيرة تلعب دورا هاما في إستراتيجية الاتصال

1 -Boris libois: La communication publique ,pour une philosophie politique des medias édition harmattan paris 2002 p 33.

2 -Merianne messager: La communication publique en pratique , OP.CIT p 50.

3 -Marianne massager: La communication publique op.cit p 50

4 -Richard.M.Perloff: The dynamics of persuasion ، communication and attitude in the 21century ، second édition.L.E.A publishers ، USA 2003.p04

العمومي الذي يعمل على المدى البعيد ، إذ عن طريقه يمكن تغيير المواقف وترويج القيم وتعديل السلوكات و هي بذلك دعائم قوية للاتصال العمومي عن طريقها يمكن مكافحة أو الوقاية من مختلف الأمراض و الآفات الاجتماعية بتكريس القيم و الأفكار اللازمة لذلك و العزوف عن الإجراءات الجبرية لتعديل المواقف و السلوكات بمنحى أكثر ديمقراطية وإجراءات أكثر لباقة يشرك فيها المجتمع بالتحسيس و التوعية من أجل الاستجابة للأهداف الإستراتيجية و المختلفة لهذا النوع من الاتصال، فكل قضاياه هي قضايا حضارية تسرد في محتواها المستقبل كما يجب أن يكون، فهو بذلك اتصال يقوم على التخطيط من أجل استجابة ليست فقط سلوكية بل سيكولوجية أي تغيير وجهة النظر عند الفرد أو المجتمع بمخاطبة العواطف و الانفعالات و العقل على حد سواء و تتنوع مجالاته و أبعاده الهادفة لتشمل الأبعاد السياسية و الاجتماعية و غيرها[1].

الإقناع كشرط أساسي من شروط الاتصال العمومي:

إن دراسة و ممارسة هذا النوع من الاتصال الذي ستطلب الإقناع ليست بالجديدة فهي موجودة منذ القدم ،منذ أن عرف الإنسان ضرورة إقناع الآخرين لتبني السلوكات اللائقة، أقدمها تلك التي دعت إلى ضرورة الإقناع بأهمية إقامة علاقة جيدة وسلوك لائق مع الله الخالق، وهو ما دعا إليه الرسل من خلال اتصالاتهم وهو الهدف الاتصالي الأساسي الذي جاء من أجله مختلف الرسل[2] لذلك فإن الإقناع ضروري في عملية الاتصال العمومي حتى يبلغ هدفه بالتاثير في فكر الشخص او عمله فهو عملية اتصال يسعى من خلالها القائم بالاتصال للحصول على استجابة معينة ومنشودة من قبل المتلقي و يعرف أيضا بأنه عملية واعية من قبل القائم بالاتصال بهدف تغيير اتجاهات ومعتقدات المستقبل للرسالة

1- عبد العزيز شرف: وسائل الإعلام و الاتصال الاقناعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 2003 ص 4.

2 -Hargie.O.Dickson.D: Skilled interpersonel communication ،Research theory and practice.4th ed ، Rontledge Groups ،NewYork ، 2004 p327 .

الاتصالية يتم من خلالها دفع الفرد نحو تغيير الاتجاه أو السلوك بمحددات يرغبها القائم بالاتصال، فهي عملية تعليمية مدروسة ومخططة تتكون من عدة خطوات متتالية وصولا بالمتلقي في النهاية إلى حل الموضوع أو المشكلة التي تطرحها الرسالة التي لا يجب أن تحتوي على عنصر الإجبار و الإكراه لتحقيق الاستجابة المطلوبة بل يجب أن يجعلهم القائم بالاتصال يقتنعون بضرورة تحقيقها بأساليب عقلانية أو عاطفية تجعل المتلقي يحقق الاستجابة المطلوبة بنفسه وكامل إرادته[1].

يمكن الإقناع عبر الاتصال العمومي أن يأخذ ستة (6) إشكال رئيسية:

- **التبني:** و هو الهدف الرئيسي للقائم بالاتصال حيث يشجع جمهوره ببدء ممارسة معتقدات واتجاهات جديدة وتبني سلوكات جديدة .
- **الاستمرارية:** بإقناع الجمهور بضرورة ممارسة سلوكياته الصحيحة و ضرورة استمراره في تبنيها .
- **التحسين:** بإقناع الجمهور بضرورة ممارسة سلوكيات بمستوى أفضل مما هو قائم أو تقويه درجة تبنيه للمعتقدات و الاتجاهات التي يعتنقها بالفعل .
- **الصد أو الردع:** بإقناع الجمهور بعدم البدء في تبني معتقدات واتجاهات خاطئة وعدم سلوك سلوكات خاطئة كالتدخين و الإدمان .... إلخ[2].
- **الانقطاع أو التغيير:** الهدف منه إقناع الجمهور بالكف و التوقف عن ممارسة اي سلوكات خاطئة أو معتقدات أو اتجاهات و هو من أصعب مهام الاتصال العمومي إذ من الصعب مقاومة أنماط سلوكيات واتجاهات متبناة نظرا لصعوبة تغييرها.

1 – Hargie.O.Dickson.D: Skilled interpersonel communication ،Research theory and practice.4th ed ، Rontledge Groups ،NewYork ، 2004 p327 .

2 – Hargie.O.Dickson: Skilled interpesonel communication ، op.cit p 328.

- **التقليل:** نظرا لصعوبة تحقيق التغيير بطريقة فورية و مباشرة قد يلجأ القائم بالاتصال إلى محاولة إقناع الجمهور المستهدف بضرورة التقليل تدريجيا عن ممارسة لبعض السلوكات أو التقليل من درجة تبني بعض المعتقدات والاتجاهات[1].

كما أن هناك خمسة مداخل أساسية للإقناع يمكن للاتصال العمومي الاعتماد عليها و هي:

- **مدخل المثير و الاستجابة:** وهو من ابسط مداخل الإقناع و لكنه أقلها فائدة إذ يقوم على فكرة الترابط بين مثير ما (شخص أو استمالة) وبين تحقيق استجابة و غير فعال في الإقناع خاصة إذا كان موضوع رسالة الاتصال العمومي شائكا .
- **المدخل الإدراكي:** يرتكز على أن الفرد يفكر فيما يقرأه ويسمعه و يراه ويصبح مؤثرا إذا تم تقديم معلومات صحيحة و مفهومة للفرد المتلقي وإذا لم تكن لديه أفكار مسبقة حول موضوع الرسالة أو أشخاص يؤثرون فيه وهي أمور صعب افتراض وجودها لدى الفرد المتلقي .
- **مدخل الدوافع:** لا يمكن إقناع الآخرين بفكرة أو موضوع ما دون الأخذ بعين الاعتبار ما هو كائن في عقولهم و دون معرفة المحفزات أو الحاجات التي يمكن أن تدفعهم لتحقيق الاستجابة (الحاجات المادية مثل الطعام، الشراب، الهواء، ...) و الحاجة إلى الأمن (مثل التحرر من الخوف و الخطر) و الحاجات الاجتماعية (كالحاجة إلى الانتماء و الحب) و الحاجات الشخصية (مثل الاحترام و الرغبة في الشعور بالأهمية و الحاجة إلى تحقيق الذات و القوة) و الاتصال الذي يتجاهل هذه الحاجات ويعتمد فقط على العقل و المنطق لا يحقق أهدافه المنشودة، إذ لابد من معرفة احتياجات المتلقي.

1 .-Hargie and Dikson: Skilled interpersonel communication ، op.cit ، p 328 .

- **المدخل الاجتماعي:** يأخذ بعين الاعتبار خلفية الفرد والطبقة الاجتماعية ومعايير الجماعة بحيث يجب تصميم رسالة تخاطب هذه العوامل الاجتماعية المؤثرة في الفرد إذ أنها تعلم الفرد القيم الأفضل و أنماط السلوك المقبول، وبما أن معايير الجماعة في حراك وتغير مستمر فمن الضروري للقائم بالاتصال ضبط رسائله تبعا للظروف الجديدة[1].
- **مدخل الشخصية:** الخصائص الشخصية للجمهور المتلقي تحدد أفضل الحجج التي يمكن الاستعانة بها في رسالة الاتصال العمومي لتحقيق الاستجابة المرجوة، و لا يمكن استخدام هذا المدخل بفاعلية في الرسائل الموجهة إلى جماهير عريضة تضم أنماطاً متباينة في الخصائص الشخصية إذ أن كل فرد سيتلقاها في ضوء خصائصه الشخصية[2] ومهما تكون الجهود المبذولة للإقناع بأهداف الاتصال العمومي فإن التأثير على معتقدات و معارف واتجاهات اوسلوكيات الجمهور المستهدف تختلف حسب مهارة القائم بالاتصال و فعالية الرسالة، لذلك قد يكون التأثير:
- **فوري:** على المعتقدات او المعارف أو الاتجاهات أو السلوكيات الخاصة بالمتلقي.
- **اللاتأثير مع المقاومة المتزايدة للرسالة:** قد لا يبدي الجمهور استجابة للرسالة و في نفس الوقت قد يتخذ موقفا شديدا لمقاومة المحاولات المستهدفة لتغيير موقفه و هي عملية التأثير المرتد أي هو التأثير غير المقصود نتيجة فشل القائم بالاتصال في تحقيق الاستجابة فيتخذ المتلقي موقفا مضادا وهجوما على الرسالة لذلك تتطلب هذه الحالة إيجاد حلول و طرق لمحاولة التغلب على هذه المقاومة.

1- دوج نيوسوم، بوب كاريل: الكتابة للعلاقات العامة ، ترجمة فايد رباح، مي الخاجة ، دار الكتاب الجامعي، فلسطين 2003 ص 82.

2- د.نيوسوم و.ب.كاريل: الكتابة للعلاقات العامة ، م.س.ذ. ص 82

- **التأثير المؤجل:** و هو التأثير النائم و يقصد به ان الجمهور قد يرفض في البداية المحاولات الإقناعية و لكن بمرور الوقت يبدأ بقبولها وينشأ هذا التأثير نتيجة وجود انفصام بين المرسل و المستقبل، فالرسالة الصادرة من مصدر غير موثوق من المحتمل رفضها[1]، ولتفادي مثل هذه التأثيرات غير المرغوبة يجب:
- **إدراك الواقع بصورة أكثر وضوح:** أي الزيادة من معارف الجمهور المستهدف.
- **زيادة الوعي بالمشكلة:** لرفع معدل قبول الجمهور المستهدف للرسائل الموجهة.
- **تكريس الاهتمام:** بالسعي للحصول على المزيد من المعلومات .
- **تدعيم السلوكيات الايجابية:** القائمة لدى الجمهور المستهدف .
- **قوة ومصداقية القائم بالاتصال:** من حيث قوته في المعلومات أوقوة الثواب و العقاب التي يمنحها تشابه أهدافه مع أهداف جمهوره المستهدف، وقد تكون قوته أيضا في جاذبيته البدنية و الاجتماعية بالتالي يكون مؤثرا على الصعيدين الظاهري و الاجتماعي[2].

فعالية الرسالة في معالجتها للموضوع المستهدف: حيث بها يتمكن القائم بالاتصال من تحقيق أهدافه، فهي العنصر الوحيد الذي يمتلك القائم بالاتصال سيطرة مطلقة عليه لذا ينبغي أن يكون حذرا في:

- عرض جانب واحد أو كلا الجانبين و وضوح الهدف.
- الاستعانة بالإستمالات العاطفية و المنطقية أو كلاهما.

1 -Mac Guire Wij: Theoritecal fondations compaigns ، puplic communication compaigns ،sage publication ،USA ،1998 . P127.

2 -Ohme .R: Sociale influence in media ، Lawrance Erlbawm ، USA ، 2001 p 94.

- نوع اللغة الاتصالية حيث قوة اللغة المستعملة و قوة اعتماد القائم بالاتصال في صحة موضوعه واتجاهه القوي نحوه تنعكس على التأثير في الجمهور المستهدف واللغة في الاتصال العمومي قد تكون لفظية أو غير لفظية، فالاتصال اللفظي يستخدم عبارات قاطعة تعبر بشدة عن الاتجاه، التعبيرات المجازية الاستعارات، الأسلوب القصصي، فالقصة الحية تبقى راسخة في الذهن لمدة أطول واستخدام التكرار في بعض العبارات يزيد من الفاعلية والتأثير[1].

رسالة الاتصال العمومي وأهميتها الإقناعية الإستراتيجية:

يتخذ الاتصال العمومي عدة دعائم لإرسال رسائله، وتبقى كتب الحضارة التي لا تموت فهي كدعامة أساس للاتصال العمومي تسمح ببث فردي للرسالة المرغوب فيها وتتطلب احتياطات كبيرة عند الاستعمال من أجل علاقة جيدة بين الثنائية وأثر التكلفة، فطالما استعملت هذه الوسيلة دون التساؤل عن مردودية تكلفتها، فقبل الاستثمار في هذا المجال يجب التأكد من الدور المعتبر للنصوص في إستراتيجية الإقناع، إذ لا يجب أن تكون هذه الكتب فارغة في المحتوى، فيكون دورها عبارة عن تقديم بطاقة فنية عن المؤسسة المبثة للرسالة أو أن تكون عبارة عن دعاية، بل يجب أن تكرس الاتصال العمومي لأنها لا تعلم فقط بل تعلم أيضا و تؤثر بعمق على حياة الفرد لأنها تتضمن الكثير من المعرفة و التراث تساعد على فهم المحيط وتعطي القدرة على التخطيط للمستقبل، فهي جهاز ممتاز في عملية التعليم لا يمكن الاستغناء عنها في الحياة التعليمية و الاجتماعية، فالكتب تترجم كل مظاهر الحياة وواحدة من السمات التي تعكس بها كل حضارة لأنها مجهود مهم لإعادة بناء حياة الناس لاسيما إن كانت البداية من مرحلة الطفولة فكل الكتب التي يتعرض لها الطفل في صغره تعد إحدى مفاتيح تكوين شخصيته مستقبلا[2].

1 – Ohne ; Social influence in medias ، op.cit . p127

2- أمال عميرات: الاتصال العمومي في الجزائر وكتاب الطفل المدرسي، تحليل مضمون الكتب المدرسية رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم الاتصال، جامعة الجزائر 2002 ص 1 .

فتكوين الحضارة يكون بإرساء أسس الاتصال العمومي مبكرا في المجتمع مما يمكن هذا الأخير من استغلالها للتكييف مع قوانين و قواعد العلاقات القائمة في المجتمع من خلال ما استقاه من رسائل مختلفة مكنته من اكتساب معلومات ومهارات واتجاهات تسمح بالانتشار وترابط المجتمع .

ومهما كانت الدعامة التي تعتمد عليها إستراتيجية الاتصال العمومي فإن رسالة هذا الاتصال حتى تقوم بدورها وتحقق هدفها لابد من مراعاة الخطوات التالية :

- **الانتباه:** أي أن تستحوذ الرسالة الاتصالية على انتباه الجمهور المستهدف وإلا فقدت فعاليتها.
- **الفهم:** لابد أن تكون الحجج و البراهين و الرموز المستعان بها في الرسالة قد تم "إدراكها و فهمها فهما جيدا من قبل الجمهور المستهدف، وتدعى خطوتي الانتباه و الفهم: العوامل الحسية" .
- **القبول:** أي قبول الجمهور المستهدف لما توصلت إليه رسالة الاتصال من توصيات و حلول.
- **التذكر:** إذا كانت مساعي القائم بالاتصال ناجحة في استمالة الجمهور المتلقي للرسالة وقبوله لها ولكن لم يحتفظ بها هذا الجمهور المستهدف في ذاكرته فإن مساعي القائم بالاتصال قد أخفقت في تحقيق أهدافها العملية، إذ ليس كافيا إرسال الرسالة بل يجب الاحتفاظ بها لفترة ليتم حدوث السلوك المطلوب .
- **اتخاذ السلوك:** وهي أهم خطوة والهدف الأساسي من الاتصال العمومي إذ أن نجاح القائم بالاتصال في استمالة الجمهور المتلقي للرسالة و تحقيقه لعنصر القبول لا يعني أنه نجح في هدفه بل يجب أن يتذكر الجمهور المتلقي للرسالة موقفه الجديد المستمد من الرسالة ولابد أن يحتفظ به في ذاكرته لفترة كافية ليتم خلالها حدوث السلوك المطلوب[1].

---

1 - Hargie and Dickson: Skilled interpersonel communication ، op.cit p 329

❖ **أهمية تحليل المضمون في رسالة الاتصال العمومي:** عندما نقول رسالة الاتصال العمومي فإننا نقصد المحتوى أو المضمون الاتصالي الذي يحتل مكانة هامة في عملية الاتصال العمومي لما ينطوي عليه من معاني يمكن التعبير عنها بمختلف الرموز مثل الكلمة، الصوت، الصورة، الرسم، وتحليل محتوى رسالة الاتصال العمومي في البحث العلمي يفيد في الكشف عن القيم و الآراء و الاتجاهات بالتالي يفيد في الوقوف على عوامل التغيير الاجتماعي وقد اتسع المجال في التحليل ليشمل الكتب و المحادثات و الخطب بعد ما كان مقتصرا فقط على الصحف ،وتطور ليصبح أسلوباً منهجياً يستخدم في علم الاجتماع وعلم النفس و التربية والاتصال العمومي، حيث يسمح لهذا الأخير بتحديد دوافع أو حوافز وبواعث مختلف أنواع السلوك ومعرفة الأهداف التي ترمي إليها الرسالة بالتالي القائم بالاتصال(1).

إن تحليل مضمون رسالة الاتصال العمومي تسمح أيضا بتحديد موقف القائم بالاتصال، فتكون بذلك الرسالة نقطة الالتقاء بين المحلل والقائم بالاتصال وبين المستقبل القارئ أو المستمع أو المشاهد حول المعاني التي تربطهم لاسيما إذا كانت الرسالة الاتصالية واضحة ومحددة حتى لا تفسر الرسالة عكس ما هدفت إليه، ولكي يتحقق ذلك الهدف لابد من مراعاة النواحي الاجتماعية والنفسية للمستقبلين، بالتعرف على سماتهم ونفسياتهم(2).

الاتصال العمومي عملية تربوية:

إن الإقناع بضرورة سلك الطريق الأصح لحياة أفضل دون مشاكل و آفات، من أصعب الأمور التي قد تلقى على عاتق القائم بالاتصال، خاصة إذا تعلق الأمر بتغيير سلوكات أصبحت مع الزمن طبعا ثانيا يصعب التخلي عنها، لذلك فإن البدء من مرحلة الطفولة يعد اختصارا للجهد و الوقت وحتى المال، لأن الطفولة تمثل البذور و الجذور في بناء و تكوين الإنسان ونوع التنشئة والتربية و الرعاية التي يحظى بها

1- أحمد محمد موسى: المدخل إلى الاتصال الجماهيري، المكتبة العصرية مصر 2009 ص298.

2- أحمد محمد موسى: المدخل للاتصالي الجماهيري ، م . س . ذ ص 299.

الأطفال تشكل شخصياتهم عبر مراحل نموهم المختلفة جسدا وفكرا ووجدانا و سلوكا، لذلك فهي مرحلة مهمة تسهم في رسم وتشكيل أساسيات أبعاد شخصية الإنسان، وحظيت بمساحة واسعة في التفكير التربوي منذ أن عرفت البشرية طريقها إلى التربية و التعليم واليوم أكثر من أي وقت مضى نعيش في زمن فتحت الثقافات المختلفة أبوابها وشرعت نوافذها فدخل الصالح والضار مما أدى إلى اهتزاز القيم والمبادئ و المثل والأخلاق واضطربت الثوابت إن لم تكن سقطت[1].

لقد سعت الإنسانية في مسيرتها الطويلة دائما إلى طلب الأفضل في كل ما يحيط بها أو يلزمها وطلب الأفضل والأحسن و الأجود في مجال التربية أولى وأحق، فالحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها ،فالتربية تزين الحياة وتجملها وتصلح بها وتستقيم وبدونها تذبل وتنتفي وتصبح الحياة نقمة عوضاً أن تكون نعمة، نقمة بالآفات ومختلف الأمراض الاجتماعية التي تحصل نتيجة لاوعي الأفراد ونقص أو انعدام التربية، لذلك فالاتصال العمومي في نهاية المطاف تربية تستهدف التوعية والوقاية من سلوكات وآفات وأمراض الإنسان وحده المسئول عنها والمتسبب فيها، لذلك فالتربية هي تنمية شخصية الإنسان من الطفولة بجميع جوانبها الدينية و الروحية و الخلقية و العقلية و الجسدية و النفسية والاجتماعية[2].

التربية تعطي لكل جانب من جوانب شخصية الإنسان حقه في الحماية و الرعاية و التوجيه بتربية مستمرة، متطورة، مراعية لكل مراحل العمر المختلفة لا تقف عند سن معين وتعمم لجميع المراحل العمرية أسلوبا تربويا واحدا، فلكل مرحلة خصائصها فالتربية تهتم بمتابعة سلوك وتصرفات المستهدف من التربية مع ملاحظة التغير الذي يطرأ عليه والعمل على الارتقاء به بمعالجة السلوكات الخاطئة ووضع حمايات تقيه المخاطر التي يتعرض لها .

1- حسين بن عبد الله بانبيله: أصول التربية الوقائية للطفولة في الإسلام ، ط 1، مكتبة الرشد، الرياض، 2009 ص 11.
2- حسين بن عبد الله بانبيله: أصول التربية الوقائية للطفولة في الإسلام، م .س . ذ . ص 14.

التربية أيضا تهتم بتربية الشعور بالرقابة الذاتية في نفس المستهدف و هو نوع من غرس الثقة فيه حيث لا تكون إلا بتوفر قدر من الحرية و ترك الفرصة للاتصال، فالحوار يفيد القائم بالاتصال و المستقبل، لأن الأفكار تنضج و ترتقي من خلال الاتصال و الحوار و النقاش فلا يشعر المستقبل بأن المرسل يمارس معه نوعا من إلغاء الذات و الشخصية[1]. أصبح الاتصال العمومي بالتربية أكثر من ضرورة حيث يحتاج المجتمع إلى تربية تدخل أعماق حياة المجتمع الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية و الحضارية كعمود فقري لها فهي من أهم وسائل الرقي الحضاري و الازدهار الثقافي من أجل التغيير وأداء الوظيفة الحضارية الشاملة .

فإذا كان الإنسان هو صانع الحضارة و كل شيء في الحضارة متوقف عليه فمصيره يتوقف إلى حد بعيد على التربية التي تكون البيئة المحيطة به، فكلما سمت التربية ازدهرت الحضارة واتسعت أمامها آفاق الحياة، وأمة التربية الإسلامية ذات الرسالة الخالدة لديها من مقومات التربية ما يجعلها صانعة الحضارة بعيدة عن الآفات، لكن ابتعادها عن هذه الأسس التربوية جعلها تفقد قيمها الحضارية .

إذا كان على التربية أن تحافظ على الدين وشريعته وأخلاقه الفاضلة وقيمه النبيلة فإن عليها تجديد الفكر و تطوير العلم وتجعل الجيل رائد عصره ينشد الصواب و الخير و الفضيلة ويبتعد عن الخطأ والأمراض و الآفات ولا يتأتى ذلك إلا بتربية جيل مسلم على عين الحقيقة الإسلامية القائم على منهج تربوي مبدأه الوقاية، فالقائم بالاتصال مطالب بمراعاة هذا الأصل والمحافظة عليه من الانحراف وحتى عند الخطأ هناك تربية علاجية تفتح آفاقاً لتغيير الواقع نحو الأفضل بتربية الجمهور المستهدف على القيام بدور خلافة و اعمار الأرض بالعمل الصالح و هو العمل الصحيح الذي فيه خير ومصلحة للجميع[2].

1- ن . م . س ص 16.

2- ن . م . س ص 17.

وعليه فإن أهم خصائص الاتصال العمومي تتجلى في كونه عملية تربوية إقناعية تنتقل عبرها المعلومات والمهارات والاتجاهات من المرسل إلى المستقبل هي بذلك تتميز بكونها تساهم في ترابط المجتمع لما فيه خيره و مصلحته، فالفرد فيه مشارك في هذا الهدف الأسمى ألا وهو المصلحة العامة .

فالهدف يكون مقصودا في الاتصال العمومي ومفترضا في القائم بالاتصال، سواء كان الهدف ظاهرا بصورة واضحة أو ضمنية، و هو في كل الأحوال محاولة مقصودة من جانب المرسل لتغيير سلوكيات المتلقي من خلال بث الرسائل التي تكون مرتبطة باستمالة العقل و العاطفة لدى الجمهور المستهدف[1].

إن إقناع الجمهور المستهدف يعادل التحول في السلوك أي نقول أنهم اقتنعوا عندما يتخلون عن نوعية معينة من السلوك ويتبنون أخرى وهذه التعديلات السلوكية الناتجة عن الاتصال العمومي أنواع :

- **نوع يكون الاستجابات:** حيث تشكيل الاستجابات وتكوينها مظهراً من مظاهر السلوكية للإقناع.
- **نوع يدعم الاستجابات:** أي تدعيم اتجاهات معينة ثم إقناع الجمهور ليجعلهم أكثر مقاومة للتغيير.
- **تغيير الاتجاهات بالتالي تغيير السلوكات:** كإقناع المدخنين ليصبحوا غير مدخنين، و معظم التعريفات حددت الاتصال العمومي الهادف إلى الإقناع على أنه عملية تغيير الاتجاهات بالتالي السلوكات[2].

أهمية الاتصال العمومي:

إن تراكم الآفات وتعقد المجتمع وازدياد تخصصاته أدى إلى الحاجة إلى الاتصال العمومي أكثر من أي وقت مضى من أجل التوعية و الشرح و التفسير حيث لابد لهذا النوع من الاتصال حتى يمكننا أن نطلق - عليه صفة إستراتيجية – أن

1- منى سعيد الحديدي: الإعلام و المجتمع ، ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2004 ص 70.

2- ن . م . س . ص 71.

يبدأ منذ الصغر، أي ربط الفرد بمجتمعه منذ الصغر عن طريق تعليمه كل القيم والرموز و المعايير الاجتماعية مهما كان نوعها (العائلة، الأصدقاء، الوطن، ......) فهي المسار الذي يتحقق من خلاله انتماء الفرد إلى الجماعة و بالتالي تكييفه في المحيط الاجتماعي الذي يوجد فيه، حيث تعد العائلة المدرسة الاجتماعية الأولى التي تعلم الطفل أنماط الحياة، ثم المدرسة و هي المجال الاجتماعي الثاني الذي يحتك به الطفل بعد العائلة، يكتسب من خلالها أنماطاً جديدة للتفكير و السلوك حيث تستعمل المدرسة أهم وسيلة إعلامية وتعليمية و هي الكتاب المدرسي يلقن للطفل عبره قيما ومعايير ومفاهيم مجتمعه الذي ينتمي إليه ويتعلم مجموعة من المبادئ تحدد دوره ونمط سلوكه اليومي وبذلك فالسلطات التي تكون على وعي بأهمية الاتصال العمومي و دوره ونمط تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية صحيحة على قيم وسلوكات حضارية تستغل المدرسة خاصة عبر الكتاب المدرسي في إعلام وتعليم و تربية الطفل – رجل الغد – أحسن استغلال للوقاية من الآفات و الأمراض التي قد تكلف الكثير مستقبلا و لا تكلف شيئاً إذا أخذت أسباب الوقاية عبر إستراتيجية الاتصال العمومي التي تبدأ من الطفولة[1].

أهمية الوقاية في الاتصال العمومي:

إن المؤسسات التي يحتك بها الطفل في صغره تساهم - إذا أحسنا استخدام الاتصال العمومي - بخلق جو حضاري ملائم للتقدم و النهضة عن طريق التوعية الشاملة بأهداف المجتمع و خططه، بتثبيت القيم و المبادئ و العمل على تطبيقها و الاتصال العمومي كفيل بالقيام و بهذا الدور بفعالية عبر دعائمه المختلفة ليهيئ للفرد منذ الصغر أساليب التعامل و التكيف مع البيئة وعادات الأمة وتقاليد الحضارة وأنماط سلوكها[2]. وهكذا يضع الاتصال العمومي نصب عينيه تنشئة اجتماعية صحيحة بما يتفق واحتياجات المجتمع المتحضر ليتكيف مع العوامل البيئية

1- أمال عميرات: الاتصال العمومي و كتاب الطفل م . س . ذ ص 42

2- ن . م . س ص 42

و المحيط الأجتماعي فيساعده ذلك على النمو و التعلم واكتساب المهارات ومشاركة الجماعة نشاطها بتحمل المسؤوليات، ولا يمكن لذلك أن يحدث دون إقحام الاتصال العمومي الذي يعمل على إشراك الفرد منذ الصغر في أهدافه ليكون التغيير الاجتماعي و التحديث أكثر فعالية.

إن المتتبع لمنهج الإسلام التربوي يجده يقوم في أكثر مساحته على مبدأ الوقاية وأن الوقاية خير من العلاج لكون الإنسان مجبول بالفطرة على الإيمان، فهو في حاجة إلى الوقاية أكثر من حاجته إلى العلاج، والتربية ترعى هذا الأصل وتحافظ عليه وتصون هذه الفطرة و تحافظ عليها من الانحراف و السقوط، لذلك كانت الدعوة الإسلامية سباقة لقطع الطريق على المشكلات و الأزمات قبل وقوعها بسد باب الذرائع و المنافذ لئلا يتسرب الشر إلى مجتمعاته، فالوقاية أكثر فعالية من علاج المشكلة بعد وقوعها ومن ثم العمل على إزالة معالمها و آثارها، فإستراتيجية الوقاية تحتاط وتتوقع ما يمكن أن يحصل إذا توافرت شروط معينة، فتعمل على تأمين المحيط الذي يعيش فيه الفرد بشكل يسمح له بالتكيف مع البيئة ويتآلف مع قيم المجتمع وعاداته و تقاليده، وإستراتيجية الوقاية أصعب بكثير من إستراتيجية العلاج التي تنتظر حتى يحصل لذلك فالوقاية صعبة تتغير من فرد لآخر ومن مجتمع لمجتمع لكنها في الوقت نفسه أعظم أثرا وأكثر مردودية[1].

إن مجتمعا يحتاط مسؤولوه ويحاذرون احتمالات عدم التكيف مع قواعده وقوانينه الضابطة للسلوك الاجتماعي هو بطبيعة الحال مجتمع يستطيع أن يقلص ظاهرة الانحراف إلى حدودها الدنيا، فيصبح قادرا على التعامل مع السلوك المنحرف و المتسرب من هفوات الوقاية بكل الوسائل العلمية العملية المتاحة وبسهولة أكبر وفعالية أعظم، لكن ذلك لا يعني أن الوقاية تمنع دائما وبالكامل الوقوع في المحظور، فالوقاية مجموعة جهود بشرية مستخدمة لإزالة وإبعاد الظروف المسببة

1- حسين عبد الله بانبيله: أصول التربية الوقائية للطفولة في الإسلام م . س . ذ ص 29 .

والمهيئة للخروج عن الخط المستقيم، مما يسبب ويوقع في الانحراف ويكون ذلك بأخذ النفس البشرية بالتوجهات الإسلامية الشرعية والبعد بها عن التردي في خبائث العقائد والأخلاق وسائر الأعمال، فاهتمام الإسلام بالجانب الوقائي يفوق بشكل كبير اهتمامه بالجانب العلاجي وهذا ما يجعل المنهج الإسلامي متفردا على المناهج ذات المنحى العلاجي، بدليل أننا نلاحظ وحفاظا على النفس البشرية (ولا تقربوا) في القرآن للنهي عن المحرمات والفواحش لأن القرب يؤدي إلى الوقوع فيها.

التربية الوقائية ضرورية منذ الصغر ومهمة في أي مجتمع تكون مناعة وحصانة لدى الأطفال ضد الانحراف والمفاسد و الآفات الاجتماعية وتساهم في إعداد أجيال متوازنة عقليا و نفسيا اجتماعيا قادرة على التكيف مع المتغيرات والسيطرة عليها في ضوء تعاليم وقيم ومبادئ الإسلام التي تساعد على الوقاية والحماية مما يضر، و الإعداد إعدادا كاملا للمستقبل[1].

وللوقاية مقومات نجاح يجب مراعاتها:

- المعرفة الصحيحة بالمشكلات و الآفات المتنبأ بها.
- المعرفة الصحيحة للأزمات التي يمكن أن يمر بها الإنسان في مراحل حياته.
- التنبؤ الدقيق و العلمي لهذه المشكلات و الأزمات .
- المعرفة الصحيحة للأفراد و الجماعات المعرضين للمخاطر أكثر من غيرهم.
- الاقتناع بأهمية الوقاية من المشكلات وأنها ذات تكلفة أقل من علاجها .
- أن تكون هناك سياسة مكتوبة وواضحة للوقاية من المشكلات وأهدافها قابلة للتطبيق وموضوعة في ضوء نتائج دراسات و بحوث علمية أصيلة .
- التخطيط السليم لبرامج الوقاية .
- أن يضعها مهنيون متخصصون.
- إشراك الناس في جميع مراحل العمل الوقائي .
- استمرارية العمل الوقائي .

1- حسين عبد الله بانبيله: التربية الوقائية للطفولة في الإسلام .م . س . ذ ص 32

- الوقاية مسؤولية الجميع ومشتركة لجميع فئات المجتمع، فهي التزام فردي ومسؤولية جماعية .
- أهمية التقويم والمتابعة والتغذية العكسية للبرامج الوقائية بهدف زيادة كفاءة وفعالية هذه البرامج.
- مراعاة القواعد الأخلاقية و الإسلامية عند وضع وتنفيذ وتقويم البرامج الوقائية[1].

الاتصال العمومي وضرورة التغيير:

ان الهدف الأساسي لإستراتيجية الاتصال العمومي لا تقتصر على مجرد تلقين الفرد قيماً ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه منذ الصغر و التي تكون محددة لنمط سلوكه الصحيح، بل يتعدى ذلك تقسيم المعرفة والاجتهادات المتوصل إليها و إشراك الأفراد فيها منذ الصغر من أجل ترسيخها وضمان الاستمرارية في السلوك اللائق بتفادي كل العراقيل المؤدية إلى فشل هذه الإستراتيجية خاصة فيما يتعلق بالعادات السيئة المترسخة الصعبة التغيير، لذلك لابد من الأخذ بعين الاعتبار توازنات المحيط قبل الشروع في التغيير (فبعض العادات قد تكون حكمة عندما تقف المعرفة عاجزة). فأي تغيير اجتماعي يهدف لتغيير المجتمع وتحديثه و تحقيق التحضر فيه يكون بنشر المعرفة وتنمية القواعد و القوانين الجديدة التي تتلاءم مع المجتمع، و الاتصال العمومي يقوم بدور رئيسي في دفع عجلة التغيير و التطور و التربية بخلق الحوافز من أجل ذلك لاكتساب المهارات والوصول لمستوى أفضل و لا يوجد نموذج اتصالي جاهز لتحقيق ذلك، فلكل مجتمع خصوصياته وآفاقه ومشاكله التي تتطلب معالجة فريدة لكل حالة، ويبقى احترام الخصائص المتعلقة بالمستهدف من التعديل و التغيير مطلوبة إلى جانب تحري الموضوعية و التحكم في الدعامة التي تبث عبرها رسائل الاتصال العمومي لأن بعض التغييرات التي لا يكون الجانب

1- مدحت محمد محمود الصاوي: الخدمة الاجتماعية الوقائية، دار القلم، دبي ، 1996 ص 112

النفسي محضرا لها قد ينجم عنها رد فعل سلبي يتمثل في الرفض القاطع، فكل تغيير مفاجئ هو عبارة عن مخاطرة، فالنهي عن التبذير و الدفاع عن اللغة وغيرها من الأمثلة، كلها خاصة بنصائح وقضايا الاتصال العمومي ذات المصلحة العامة تعد بمثابة "تدخلات" أو "اقتحامات" إذا لم يسبقها الشرح اللازم المعالج الهادف لتعديل السلوك[1].

فكل ظاهرة غير مفسرة عبارة عن فراغ ينتج عنها عدم فهم الظاهرة و بالتالي إستراتيجية غير فعالة خاصة إذا تعلق الأمر بتغيير عادات راسخة، فأهداف الاتصال العمومي تعمل على التعريف بالبيئة المحيطة (داخليا و خارجيا) وكافة الظروف و التحديات التي تواجهها و التعريف بالمؤسسات الاجتماعية و المرافق العامة ودورها ونظامها وتنمية المواقف الايجابية و العادات الاجتماعية الصحيحة كحب العمل، التعاون، الخير الإيثار للصالح العام، الحس المدني، الانتماء، تقدير دور العاملين في بناء المجتمع من أفراد و مؤسسات والتحذير من الآفات و المشكلات الاجتماعية وتعطيل المرافق العامة وتجاوز الأنظمة و القوانين المعمول بها في المجتمع[2].

إن سرعة القضاء على المشكلة أو الآفة نشاط معقول يهدف للتغيير الذي يسعى للوصول لحالة مثالية في المجتمع لكن يجب تفادي مخاطر المعارضة و المقاومة التي يمكن أن تحطم كل شيء لذلك فالمهمة صعبة وهشة في نفس الوقت، فبين الحاصلين على المعرفة و الذين لم يحصلوا عليها هناك الاتصال العمومي الذي يجب أن يلعب دوراً وهنا تطرح مسألة المنهج وهي مسألة وعي ثم إرادة ومن أجل ذلك يجب البحث أولا عن معرفة الحاجات ثم الدوافع الخاصة بهذه الحاجات وأخيرا إلى أي مدى تعدل الرسائل الخاصة بالاتصال العمومي و النظام القائم. فالمشكلة متعلقة بمعرفة أسباب المواقف المؤدية للسلوك الخاطئ بإشراك المستهدفين من الاتصال في

1 – Michel LeNet: L'Etat annonceur ، techniques et morales et doctrines de la communication sociale ، éditions d'organisation ، paris 1988 p 224 .

2 – Ibid . p 224.

البحث عن الحلول لأن سوسيولوجية الاتصال الحديثة تقر بالدور الحيوي للمستهدفين من الاتصال العمومي من خلال بحثهم عن المعلومات واهتمامهم بالرسائل المنبثة التي يعتبرونها نافعة وهامة من المصادر المتوفرة لديهم حتى يتمكنوا من اختيار أحسن البدائل و الحلول واتخاذ القرار المناسب من أجل الموقف والسلوك الصحيح بالتالي تحقيق نتائج أفضل. عكس المنظور الكلاسيكي الذي لم يعط أهمية لإشراك الفرد في الاتصال بحيث المرسل وحده أو القائم بالاتصال هو الذي يلعب دورا في إستراتيجية التغيير، أما المستقبل فيتلقى بسلبية الآثار الناتجة عن هذا الاتصال الموجه حسب الأهداف المرسومة من قبل المرسل[1].

فالاتصال العمومي عبارة عن جهد منظم يهدف لإقناع الجمهور المستهدف بقبول أو تعديل أو الابتعاد عن بعض الاتجاهات الموجودة في المجتمع و لا يتم ذلك بشكل مفاجئ بل يمر عبر عدة مراحل :

-تغير معلومات المتلقي وتغير إدراكه و تغير اتجاهاته.

وهنا تتضح أهمية التأثير التراكمي في حملات التغيير في مجال الاتصال العمومي فهناك العديد من القضايا الاجتماعية التي تحتاج إلى علاج عن طريق الاتصال العمومي كتلك المتعلقة بآفة المخدرات، التلوث البيئي ... وغيرها من الآفات التي تهدف رسائل الاتصال العمومي إلى تغيير سلوك الأفراد لمكافحتها والقضاء عليها فتبدأ بالتغيير المعرفي ثم التغيير في المواقف و الاتجاهات، التغيير السلوكي، التغيير في القيم وليحدث ذلك فلن يتم بالقهر والإجبار أو بمجرد إصدار قانون وإنما بجهود متتالية تستهدف العقل و العاطفة بمختلف الاستمالات و التخطيط المسبق وبذل الجهد و الوقت للتغلب على العوائق التي يمكن أن تصادف هذا النوع من الاتصال[2].

1 -Jaques Durand: Les formes de la communication ، édition DuNod ، paris ،1981 p 133

2- منى سعيد الحديدي، الإعلام و المجتمع، م . س . ذ . ص 33

وعليه فإن كل اتصال اجتماعي يستلزم إشراك الجمهور المستهدف في المشكلة المطروحة و المراد التعامل معها بأسلوب وطريقة حضارية، لذلك يشترط للمرور في كل إستراتيجية اتصال عمومي بالمراحل التالية :

-المعرفة و الوعي: فأول خطوة للاتصال العمومي تتمثل في وجوب توفر المعلومات الكاملة حول الموضوع أو المشكل المراد حله بإدراك الخطر الذي يمكن أن ينجر في حالة التهاون مع المشكل المطروح أو الآفة، وما قد يترتب عنها من نتائج وخيمة على المجتمع ككل، أي أن الجمهور المستهدف يجب أن يكون واعيا بخطورة الآفة أو المشكلة أو السلوك غير الحضاري بصفة عامة فهناك صلة قوية بين الاتصال والوعي لما يحدثه الاتصال من تأثير لدى الأفراد و بالتالي في وعيهم، فدعائم الاتصال العمومي المختلفة خاصة ذات المصداقية منها (كالكتاب مثلا او قائم بالاتصال أو شخص يمثل قدوة و نموذج يحتذى به في المجتمع) تساهم في تحقيق المعرفة بالتالي الوعي بالقضية المطروحة، أي أن الاتصال العمومي يهدف في هذه المرحلة إلى توعية الجمهور المستهدف بجعله يدرك المشكل ويتعلم كيفية التعامل معه وكيف يتقن السلوك الحضاري المطلوب[1].

-الإدارة و التغيير: لابد من أن تتولد لدى الجمهور المستهدف من جراء الاتصال العمومي ووعيه بالمشكلة – الإرادة و العزيمة لتغيير المواقف و السلوكات إذا كانت موجودة أو إحداثها إذا كانت غائبة و التوصل إلى إتخاذ قرارات مناسبة تدل على الإقناع و التأثر بمضمون الرسالة الاتصالية العمومي.

-التحرك: تتحول في هذه المرحلة الإرادة المتولدة إلى سلوك ملموس و تعبر هذه النتيجة عن فعالية الاتصال العمومي كتبني سلوكات جديدة حضارية أو تعديل المنحرف منها وهو دليل على نجاح الاتصال العمومي القائم على إستراتيجية محكمة تعتمد على دعائم مختلفة ذات فعالية تهدف إلى حل المشاكل الناتجة عن التطور

1- فؤاد عبد المنعم البكري: دور الاتصال في تنمية الوعي الاجتماعي، رسالة دكتوراه في الإعلام جامعة القاهرة 1996، ص 57.

السريع للمجتمعات إما لتغيير سلوك القائم أو تعديله أو تثبيته (إن كان صحيحا) فغاية الاتصال العمومي البحث عن التغيير لصالح المجتمع في مجمله[1] غير أن هذا التغيير لا يحدث عشوائيا بل هناك تأثير مترابط لهذه المراحل وتتم كالتالي :

الاتصال العمومي و التأثير المترابط:

- **الاتصال و الإقناع:** إن العمودين الأولين اللذين يرتكز عليهما الاتصال العمومي في التغيير هما ، المعرفة و الموقف، فمعرفة الأسباب التي تبرر تعديل السلوكات ضرورية جدا لأنها أساس تغير الموقف الفردي و بالتالي السلوك و هي بذلك المرحلة الأولى من الوعي بالظاهرة، فالتعليم و التربية يبحثان عن جعل الفرد يفهم العالم المحيط به، حيث يتولى تزوده بالمعارف و المهارات، و التربية أوسع مدى منه تحاول تكييف الفرد ليتماشى مع تيار الحضارة حيث تتميز بالاستمرارية فهي نشاطات تدخل في إطار الاتصال العمومي ذو الأبعاد المختلفة الذي يحاول أن يوفر للجمهور المستهدف عن طريق هذه النشاطات رصيدا معتبرا من المعرفة اللازمة حول الموضوع أو المشكل المطروح، وما الموقف إلا ترجمة المعرفة المتلقاة، حيث التعبير عن هذا الموقف يعطيه معنى ووزناً ودوراً يسمح بتقبل القيمة و المنفعة المتوخاة منها[2].

وعندما يقبل الموقف يسهل التغيير لكن إذا حدث العكس فإن ذلك يؤدي إلى رفض مضمون الاتصال العمومي المركز حول موضوع أو مشكل أو آفة ما . فتكوين الموقف الصحيح يكون بعد التحصل على المعرفة، و في هذه المرحلة فقط يتغير الموقف أو يتعدل حيث يمثل ذلك نقطة محورية لكل اتصال حيوي إرادي، فيوجهه تجاه الصحة، الأمن، العيش أفضل جماعيا و معا، فكل تغيير في السلوك يركز على الموقف المستند والمغذى بالمعرفة المحصل عليها، ثم تصبح صفات خلقية وبتطورها مع الزمن تصبح سلوكا خاصة إذا ما تدعمت بالخبرة فالمعارف و المواقف

1- ن . م . س . ص 57 .

2- أمال عميرات: الاتصال العمومي في الجزائر وكتاب الطفل المدرسي ، م . س . ذ، ص 25.

الفردية تمثل المرشدات التي تقيس الفعل المراد إنجازه فالموقف الصحيح يغذيه الاتصال العمومي مما يجعل الجمهور المستهدف يستجيب بسهولة للأهداف الاتصالية العمومية، فالمواقف و السلوكات الخاطئة عبارة عن تحديات صعبة، لذلك فالرسالة الإعلامية الاتصالية يجب أن تكون مقنعة لإمكانية التصدي لما يمكن أن يناقضها أو يقاومها، فالانتقال من الفكرة إلى التنفيذ هو الحل بإنجاز هذا الأخير عمليا استنادا إلى مبادئ نظرية و تجريبية[1] ورغم الدور المهم الذي يؤديه الإقناع عبر دعائم الاتصال العمومي المختلفة – وإن لم تتجل فعاليته في الحين – فإن الاتصال العمومي وحده لا يسمح باجتياز 30 ٪ من التعديل عندما يكون مستوى المعرفة لدى المتلقي منعدماً. فالبحث عن الحلول الممكن تقبلها للتعديل لازمة ،والاستنجاد بالتشريع في هذا المجال ضروري[2].

- **الاتصال العمومي و التشريع:** إن الإقناع و التشريع سلطتان بيد الدولة هدفهما تعديل النظام القائم عن طريق الاتصال العمومي، و عندما يفشل الإقناع تلجأ السلطات العمومية لتكميل الدور الإعلامي الاتصالي في المجال العمومي إلى التشريع هذا الأخير الذي يتميز بـ 3 ميزات:

- التشريع " منتوج ": يخص المعايير التي يجب أن تحترمها المنتوجات الاستهلاكية (كمدة الصلاحية مثلا).
- التشريع " سعر ": حيث يحدد الاسعار المفروضة على المنتوجات الاستهلاكية او الخدمات الموجهة للاستهلاك.
- التشريع " موقفي ": يبين الموانع التي يجب أن يتفاداها الأفراد في حياتهم المدنية، و هذا النوع من التشريع هو الذي يهمنا في هذا الصدد، فيكفي أن يجعل إجراء ما إجباريا يدعن جزءاً معتبراً من الجمهور المستهدف له، و يكون للتشريع الأثر الايجابي في الحالات التي يسبقها

1- المرجع السابق، ص26

2 - Michel LeNet: La communication Sociale ، editions d'organisation ، paris ، 1988 p 139 .

تحضير بسيكولوجي كافي، يعطي الأهمية الكافية للموضوع قبل التشريع، وقد ينجر عن التشريع الأثر السلبي الذي يتبين في انعدام رد الفعل المطلوب وهي أحسن الحالات، و قد يعود ذلك إلى الإقناع المنعدم، أو غير الكافي أو الذي لم يسر بصفة جيدة وصحيحة، فيكون رد فعل السلطات سريعا أكثر من كونه فعالا جيدا، فتتدخل دون شرح، فيرفض المتلقي الإجبار الذي يمثل تهديدا للنظام وقد لا يجلب التشريع أي تشويش فيتجاهل ولا يحترم[1].

- **الاتصال العمومي و المراقبة: احترام التشريع من قبل الجمهور له طابعان:**
  - أن يحترم القانون تلقائيا لأنه لمصلحة الجميع فلا يحتاج لمراقبة.
  - القرار الذي لا يحترم كثيرا في مبدأه مقبول و في التطبيق يتجاهل، فالمراقبة ضرورية فيه، مثل السلوكات غير الحضارية التي تستوجب المراقبة للحد منها ولتعديلها كالمراقبة التي تكون ضد السرعة في الطرقات، الإدمان التدخين، التلوث البيئي، ... كلها إجراءات تحد من الآفات الاجتماعية المضرة بالمجتمع ككل، فارتباط المكونات الثلاثة للتغيير و المتمثلة في الإقناع، التشريع و المراقبة يؤدي إلى نتيجة متعلقة بنوعية كل منهما وتتابعها لأن الأمر يتعلق بإنجاز إستراتيجية عملية لتعديل السلوكات تختلف فيها مدة كل مرحلة، كما تختلف مستويات السلوك المتحصل عليه، حيث يتوقف ذلك على المجهود المبذول كما ونوعا وعلى الموضوع المطروح أيضا[2].

إن إستراتيجية تعديل السلوك يمكن أن تنجح عندما يكون النظام الاجتماعي على استعداد لتقبلها، لذلك فالمراقبة ضرورية دائما للسهر على استمرارية السلوكات الصحيحة فيصل الجمهور المستهدف على مرحلة اللارجوع

---

1 - Michel LeNet: La communication sociale ، op.cit ، p 140
2 - Ibid ، p 140

وهي مرحلة يمكن الوصول إليها عندما تخدم الإستراتيجية الاتصالية بالإقناع، التشريع والمراقبة – الهدف المطلوب باتحادها مع بعضها، هذا لا يمنع من وجود تعديلات في السلوك لا تحتاج إلى تشريع كالنظافة، الغذاء الصحي، حوادث الأطفال و كيفية الوقاية منها ، ... فالإقناع هنا يبقى أهم وسيلة للاتصال العمومي .

فالأثر المترابط للإقناع، التشريع و المراقبة التي يطلق عليها التاءات الثلاثة:

Les trois C: convaincre، contraindre et controler

تمثل دور الاتصال العمومي في تغيير السلوك وتعديله فهو يعمل في كل مرحلة من هذه الصيرورة لأنه المسؤول عن تخطيط العمل المنوط به.

إستراتيجية التغيير عبر مراحل:

إن الإقناع التشريع و المراقبة تعد إستراتيجية تغيير عبر مراحل ترتكز على :

-**اختيار المواضيع المعالجة:** حيث تضم الآفات الاجتماعية المختلفة حيث الاتصال العمومي وحده يضمن محاربتها، لكن محاربة الآفات دفعة واحدة غير مجدي، بل يجب استهداف الآفات الأكثر خطورة على المجتمع اولا حيث تتراكم ويتضاخم حجمها يوما بعد يوم مما يشكل خطرا على المجتمع: لذلك الاهتمام يكون على المواضيع أو الآفات التي تكون عواقبها وخيمة أكثر و بعدها تأتي مرحلة :

-**تحديد الجمهور المستهدف:** استهداف الفئة الشابة من الجيل، يعني مس جمهور المستقبل لذلك فالاتصال العمومي يركز على الأطفال و المراهقين أكثر لأن فعاليته تكون أكبر و أطول و عليه فإن تحديد الجمهور يجب أن يتم بصفة جيدة و دقيقة بتحليل علاقات العمر الموجودة بين الأجيال ليكون مردود الاتصال العمومي فعال على المجتمع[1].

1 -Michel LeNet: La communication Publique ، op.cit ،p 50

- **الجو البسيكولوجي:** إن أي بحث عن سلوك جديد في أي مجال تتطلب توفير جو ملائم مهدف المبحوث عنه، جو بسيكولوجي ملائم لتوعية مشتركة لإقناع الفرد داخل الجماعة فكلما كانت آراء و سلوكات الجمهور مناقضة للنظام كلما خلف ذلك محيطاً مناقضا و خطيرا مما يستدعي الحذر من النتائج المنجرة عن ذلك، فالجو البسيكولوجي يحمل تحت طياته فعالية الاتصال العمومي، فتوعية الجمهور تكون بإيصال الرأي إلى درجة معينة من المعرفة الكافية عن المشكل بالإضافة إلى الاعتماد على الدعائم التي تشهد إقبال أكبر وتأثير أقوى، وبعد القيام بسبر الآراء يجب تتبع مشاعر الجمهور اتجاه المواقف الجديدة بتوفير وتوضيح جيد للموضوع قبل النصح، فيصبح كل واحد على دراية بالمخاطر فيقرر تغيير موقفه بالتالي سلوكه[1].
- **عامل الوقت:** إن علم النفس يعلم والتجرية تؤكد أن كل هذه المراحل هي ثمرة مجهود يتطلب ميزانية ووقت لذلك يمكن أن تمتد هذه المرحلة (مرحلة التغيير) لشخص واحد عدة سنوات إلى حياة بأكملها، فالأمر متعلق بمجتمع، بجيل وهو وحدة الوقت الواجب عدها، فالمواقف المحددة للسلوكات هي نتيجة تراكم عدة سنوات، لذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار عامل الوقت عند إرادة التعديل، فمثلا في فرنسا، امتدت عملية الاتصال العمومي ضد آفة التدخين مدة 25 سنة .
- **التصميم:** تصميم و إرسال إستراتيجية عمومية ذات قاعدة قائمة على مراحل متتابعة بداية بالإقناع فالتشريع، فالمراقبة، تنطلق من مرحلة المشكل ثم التوعية، هذه التوعية التي تمتد لسنوات إلى مرحلة النشاط

1 -Michel LeNet: La communication Publique ، op.cit ، 52

القوي المشكل لإستراتيجية تمتد من سنة إلى خمسة سنوات في إطار الاتصال العمومي ومثل هذه الإستراتيجية مطلوبة كثيرا للحد من الآفات و السلوكات غير الحضارية في أي مجتمع[1].

1 -Ibid ، p 54

الفصل الثاني

خصوصية الاتصال العمومي

الاتصال العمومي عملية إنسانية ديناميكية تبادلية:

لقد تبين لنا مما سبق أن الاتصال العمومي إستراتيجية (تعمل على المدى البعيد) وتحدي يدعو الجميع لرسم طريق مستقبل أكثر رفاهية باتخاذ كل فرد نصيبه من المسؤولية فهو بذلك اتصال عمومي مدني يعمل على المدى البعيد لتحسين نوعية العلاقات الاجتماعية و الإنسانية و حتى يكون كذلك لا بد أن يكون ذا مصداقية وفعالا ، يهتم بالمستهدفين، بمشاكلهم، بالشرح لهم بتوعيتهم وإشراكهم، ليشاركوا بفعالية في إستراتيجية التغيير، و عليه فإن عناصر الاتصال كلها مقحمة في هذه الإستراتيجية ألا و هي: المرسل، المستقبل، الرسالة، الهدف، القناة و التأثير ولما كان موضوع الدراسة يهتم بالرسالة (أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم) و بالقائم بالاتصال (المتمثل في شخص الرسول صلى الله عليه و سلم) فإننا سنركز على هذين العنصرين من العملية الاتصالية من خلال تحديد خصوصيتهما في مجال الاتصال العمومي أما القناة أو الوسيلة فستكون متضمنة في عنصر الرسالة (باعتبار الوسيلة هي الرسالة على حد قول ماكلوهان) فالاتصال العمومي يعني المشاركة و الإشتراك في تبادل المعلومات و المشاعر و الاتجاهات والمواقف عن طريق الكلام و الكتابة والإشارات بين طرفي الاتصال من أجل الوصول إلى هدف وتأثير محتمل، و في هذا الصدد المنشود وهو المصلحة العامة ومصلحة المجتمع كهدف أساسي و عام للاتصال العمومي لذلك فعلى عاتق المرسل في هذا المجال مهمة تتمثل في إقناع المتلقي[1].

خصوصية المرسل في مجال الاتصال العمومي:

دور المرسل أو القائم بالاتصال في مجال الاتصال العمومي دور أساسي: إذ يتمتع بالفعالية عندما يكون قادرا على تكييف رسالته بما يتماشى و يتلائم مع الموقف المطلوب أي أنه يجب أن يكون واعيا بأثر رسائله و نتائجها و يستطيع أن

1- محمود منصور هيبة: قراءات مختارة في علوم الاتصال: مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 2005، ص 79 .

يكيفها بما يتلائم و الجمهور المستهدف كما أنه يجب أن يكون ملما بالمفردات الواسعة من الرسالة اللفظية و حتى إشارات اللغة غير اللفظية، و أن تكون لديه مهارة في استخدام اللغة بالطريقة التي تتلائم مع جمهوره، فعليه أن يحقق أقصى قدر ممكن من الدقة للوصول إلى قدر أكبر من صحة و دقة مادة الاتصال و في عملية الاتصال ككل بتحليل جمهور المستقبلين و الظروف الخاصة التي ترتبط بهم و بالمواقف والسلوكات الخاطئة (أو التي ترتبط بالمشكل أو الآفة) فيكون قادرا على تحديد عناصر من أهمها[1]:

- فهم تجارب و خبرات المستقبلين و من ثم إمكانيتهم في التكيف وفق ما تحدده هذه الخبرات.
- بناء الرسالة و تنظيمها وفق تجارب و خبرات المستقبل.
- أشكال التأكيد التي تحتاج إليها الرسالة حتى تتضمن الفائدة المترتبة عن الاتصال و المشاركة من قبل المستقبل و التفاعل معها[2] . وعلى المرسل أن يضع نصب عينيه تحقيق الأهداف التالية:

- ▪ إعلام المتلقي بالمشكل القائم أو خطورة الآفة و ضرورة مكافحتها و التصدي لها.
- ▪ إقناعه بضرورة اتخاذ مواقف معينة من المشكل المطروح و لا يجب أن تكون محاولات الإقناع عنيفة حتى لا تنتج عنها ردود فعل عكسية.
- ▪ تحفيزه بالإستمالات التي تصلح له بعد دراسته واستعمالها كمفاتيح لتحفيزه على اتخاذ السلوك المناسب.

1- المرجع السابق ، ص 80.

2- محمود منصور هيبة: قراءات مختارة في علوم الاتصال م . س . ذ ص 79

- الدعوة إلى تبني السلوك اللائق بعد فهم ضرورته في الحياة المدنية الحضارية

وإذا ارتبطت هذه الأهداف ببعضها وتمكن المرسل من تحقيقها بالترتيب فقد أرس القواعد الإستراتيجية للاتصال العمومي[1] و حتى ينجح في ذلك عليه تطوير كفاءة هذه العملية **بمراعاة الآتي:**

- **المعرفة** لا يمكن تحقيق فعالية الاتصال العمومي دون قاعدة من المعرفة حول المشكل أو الموضوع المطروح يكون على دراية بالآراء و الدراسات و نتائج البحوث في هذا الموضوع وكذلك الخبرات و التجارب العملية حوله، مما يوضح للمرسل ما يفعله حتى يكون فعالا، فهذه المعرفة تزوده بقدرات وإمكانيات لبناء توقعات على درجة من الدقة.
- **الخبرة و التجارب العملية:** تكتسب إما من خلال مشاهدة و مراقبة الآخرين أو المشاركة معهم العلاقات و التجارب المشتركة وكلما مر المرسل بمزيد من الخبرات و التجارب كلما تعززت فعاليته و كفاءته، فتعلم الاتصال الفعال في هذا المجال مهارة تكتسب و تتطور و هي مهمة شاقة، تتطلب ممارسات عديدة و التعرض لمواقف اتصالية متنوعة و لا يجب الخوف من الدخول في تجارب و تحديات و محاولات جديدة لأن اسير التجارب السهلة والمألوفة فاعليته محدودة ومتواضعة، فالتجارب الجديدة تتيح للمرسل تعلم فرص جديدة و توقعات جديدة ومواقف مختلفة و دونها يفقد المرسل مرونته و تضعف قدرته في تحقيق الملاءمة بين الأهداف و الجمهور المستهدف، ففاعلية المرسل مستمرة، متجددة لا تتوقف تتطلب دوافع و إقدام وخلفية معرفية و دراسة و بحث[2].

---

1 – Fraser . Seitel: The Practice of public relations ، tenth edition ، pearson éducation international ، new jersey ، USA ، 2007 p 46 .

2- محمود منصور هيبة: قراءات مختارة في علوم الاتصال م . س . ذ ص 85

- **الدوافع:** الرغبة و الدافع الذاتي للمرسل في فعالية رسالة لها أهميتها و قد تصبح أهم العوامل و إذا لم تتوفر هذه الرغبة الجادة وتستمر في أنشطة المرسل فلا يتوقع له النجاح فأهم ما يمكن أن يدفع المرسل إلى نجاح الاتصالية العمومية هو إيمانه بالقضية و الفهم الدقيق لها و اليقين الراسخ بأنها ذات فائدة على الجميع و هي من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها القائم بالاتصال في مجال الاتصال العمومي و إلا فكلامه يكون تصنعا و تكلفا و ما كان كذلك لا يقنع و العكس صحيح.
- **وضوح الهدف:** ينبغي أن يكون هدف المرسل واضحا و محددا و مركزا.
- **المصداقية:** حيث تتوقف عليها كثير من الأبعاد أهمها: الكفاءة، الثقافة، الموضوعية الوعي، الثقة، الحضور الاجتماعي للمتحدث، الترابط العاطفي مع الجمهور إلى جانب أبعاد مستقلة للمصداقية على المرسل التحلي بها في مجال الاتصال العمومي، كالسمعة الحسنة التي تساعد على بناء جسور الثقة بين المرسل و جمهوره المستهدف و بالتالي التأثير فيهم، لذلك عليه الابتعاد عما يمكن أن يضعف من قيمة رسالته و يحرص أن يكون دائما في مستوى تطلعات جمهوره فيما يخص سمعته[1].
- فالمصداقية أحد مقومات الثقة التي يعطيها المتلقي للمرسل بالتالي للرسالة التي يبثها، فعندما يفقد المرسل الأمانة في الحديث فإن المتلقي ينتابه الشك في حديث المرسل فكي نقنع الآخرين بما نريد ينبغي أن يصدقوا حديثنا أولا، و لكي يصدقوا حديثا ينبغي أن يكون صادقا ولكي يكون ينبغي أن يكون واقعيا.
- **بلاغة القول:** قال أحد أبرع الخطباء و هو رجل سياسي أمريكي متحدث رسمي لتشرشل و كان معلما أيضا لروزفلت، قال إن سر البلاغة في القول و تحقيقها يعتمد أساسا على إيمان المتحدث بما يتحدث به، يعني أن لا يتحدث أحدهم بما لا يؤمن به فإذا أدرك المستقبل تحيز المرسل مثلا

1- حسين شفيق: سيكولوجية الإعلام ، دار الفكر و الفن، القاهرة، 2008 ص 26.

يمكن أن يرفض الرسالة، لذلك فالموقف الحيادي الصادق مطلوب أيضا من المرسل لينال ثقة المتلقي بعيدا عن أهوائه الشخصية، فعندما يدرك المستقبل أو المتلقي أن المرسل الذي يخاطبه لا يرغب في تحقيق هدف لنفسه من خلال رسالته بل هدف للمصلحة العامة، ينال ثقة المتلقي و يعطي انطباعا بصدق حديثه و رسالته، فيستحق الثقة عن جدارة بحسن نواياه و مقاصده لأنه يقدم ما يفيد ويهم الجمهور، فالمثالية أهم صفة يجب أن يتحلى بها المرسل إلى جانب قيم أخرى يقدرها الجمهور و يطمح لها خاصة إذا كان المرسل ذو جاذبية فطرية يجذب القلوب دون تكلف و تصنع نتيجة صدقه و حرصه على المصلحة العامة[1].

إن اختلاف الجمهور باختلاف طبيعة الأنماط البشرية يجعل من مهمة المرسل الاتصالية الإقناعية العمومية أمرا صعبا، اذ عليه أن يراعي هذه الاختلافات، وحتى يتمكن من ضرب الوتر الحساس لكل نوع معين من الجمهور و حتى يتسنى له ذلك عليه أن يعرف و يكون واعيا باختلاف خصائص الأشخاص المستهدفين، فهناك:

- **الشخص المفكر**: الذي يسعى للوصول إلى المعلومات و الحقائق عندما يتخذ قرار يلتزم به بشدة.
- **المتعاطف**: تلقائي، عاطفي منفتح على الآخرين يندمج بسهولة مع الناس، دائم البحث عن أشياء جديدة، تستند قراراته من مشاعره.
- **الشخص العبقري**: له قدرة على التصور، يفكر في المستقبل، قليل المرونة لا يقبل الحل الوسط.
- **الحساس**: تشغله اللحظة الراهنة، تهمه الأهداف، تثيره النتائج السريعة، يعمل كالنحلة في أحسن أحواله و في أسوأها يتصرف بغباء.
- **الإيجابي**: على المرسل دعوته للمناقشة باستمرار لأنه قد يكون عنصرا مساعدا.
- **البرغماتي**: يتحسس اتجاه الوقت، يريد المعلومات بسرعة و مباشرة، منظم ورسمي، يريد كل شيء و بأقل الأثمان لذلك على المرسل أن لا يضيع له وقته

1- هاري ميلز: فن الإقناع ، مكتبة جرير الرياض، 2001، ص 16

في الثرثرة، بل عليه التصرف معه بقرارات سريعة مبنية على المعلومات و الحقائق المباشرة[1].

التحليلي: يفضل معرفة كافة التفاصيل بطيء في اتخاذ القرارات، يحلل كل شيء لا يحب الضغط.

وقد تجتمع في شخص واحد أكثر من خاصية لكن على المرسل أن يعرف تصنيف جمهوره المستهدف على الأقل معظمه، حتى يحسن قيادة الاتصالية العمومية نحو أهدافها، بصياغة رسالة تتلاءم وخصائص المتلقي و بالتالي تلقي القبول.

فالمرسل في الاتصال العمومي قائد لقضية من أجل مكافحة آفة أو القضاء على مشكل، لذلك عليه التحلي ببعض الصفات القيادية التي تساعده على بلوغ الأهداف كأن يكون:

- ذو شخصية سوية متكاملة حتى ينجح في الإدارة الإعلامية الاتصالية و ذلك مرهون بتوفر الصحة الجسمانية و الاستقرار العاطفي، و اللاانفعالية بالإضافة للسلوك السوي و الإدراك المتصل بالوعي و العقل.
- ذو شخصية انبساطية منفتحة (غير منغلقة على ذاتها لأن الانغلاق يعيق الاتصال).
- ذو شخصية ذواقة، حضارية و عصرية ذات قدرة على تذوق الجمال و الإحساس به[2].

و خلاصة القول بالاتصال في المجال الاتصال العمومي مهم جدا في نجاح الاستراتيجية فكلما كان ذا مكانة و احترام و قدرة زاد احتمال التفاف الجمهور حوله و الاقتناع به و عادة ما يكون القائم بالاتصال أو المرسل في مجال الاتصال العمومي مؤسسة أو منظمة أو هيئة و نادرا ما يكون فردا بمفرده، فمهمة الإقناع صعبة على فرد لوحده – حيث هذه المهمة (الإقناع) مبدأ العملية الاتصالية العمومية، لذلك عليه الحرص على توفر الشروط و المزايا المحققة للأهداف، فهناك معايير

1- تيسير مشارقة: مدخل الدراسات الإعلامية، بيت المقدس للنشر و التوزيع لا، فلسطين 2002، ص 21.

2- نفس المرجع السابق، ص 25.

معينة تحددها السياسات لاختيار القائمين بالاتصال في هذا المجال و تدريبهم التدريب الذي يؤهلهم لتحمل المسؤولية، لأن نجاح الاتصال العمومي يرتبط بالعلاقة بين المرسل و المتلقي، حيث اعتقاد المتلقي بموضوعية و مصداقية المرسل ذو أهمية كبيرة في الإقناع و التأثير[1].

خصوصية الرسالة في مجال الاتصال العمومي:

الرسالة عنصر أساسي في إستراتيجية الاتصال العمومي إذ أن القضية المطروحة تحملها هذه الرسالة أي أنها تحتويها، فالرسالة الاتصالية هنا تعني وضع الفكر في كود أو رسائل أي في إشارات و علامات لغوية و غير لغوية حيث يجب أن تتميز هذه الرسائل بالشمول و الاتساع و التنوع، تخاطب الجمهور المستهدف بحجج إعلامية و شواهد مقنعة بأفكار القائم بالاتصال عن طريق البراهين و الأدلة فالرسالة ركن هام في العملية الاتصالية و من الضروري ربط الحقائق بواقع الفرد والمجتمع و مصالحهم المباشرة، فمحتوى الرسالة يلعب دورا واضحا في التأثير على الاتجاهات الأفراد نحو التقبل أو الرفض و تتضافر عوامل كثيرة في تحريك و توجيه هذه الاتجاهات منها، التعليم، العلاقات الاجتماعية، الفائدة أو المصلحة، الملاءمة، يجب أن تتوفر الرسالة على متطلبات نجاح مثل:

- الأدلة و الحجج ومدى قوتها و الرموز التي تشكل الرسالة لكي تكون ذات فعالية.
- ربط الرسالة بالحياة اليومية للمتلقي بشكل جيد و عليه يجب أن تتوفر فيها العناصر التالية:
  - **الانقرائية:** أي نفاذ الرسالة إلى المستقبل بسرعة و سهولة و القدرة على تذكرها.
  - **الإنسيابية:** تداعي أفكار الرسالة يكون بانسياب طبيعي و ذلك بترابط الأفكار.

1- فؤادة عبد المنعم البكري: التسويق الاجتماعي و تخطيط الحملات الإعلامية عالم الكتب، القاهرة 2007 ص 85.

- **الرشاقة:** أي تناول الموضوع مباشرة بشكل ومحدد.
- **الوضوح:** باستخدام كلمات ذات معنى واضح و محدد و بالتأكيد المعنى بالكلمات أخرى أو بتقديم أمثلة موضحة للمعني باستخدام مقارنات .... إلخ .
- **التعبير عما هو مهم و عاجل:** الشعور بأهمية الموضوع المعالج و علاقته بالحاجة الحقيقية إليه.
- **تحقيق الوحدة الفنية (شكل الرسالة).**
- **الحصول على استجابة محددة.**

فالرسالة كمضمون و محتوى أو فكرة يراد توصيلها للمتلقي هي جوهر العملية الاتصالية يمكن تقسيمها على رسائل متخصصة للجمهور (كالتي تكون موجهة للمرآة أو الأطفال أو قادة الرأي .....)، أو رسائل متخصصة في الموضوع (كالموضوعات السياسية أو العلمية أو الثقافية)[1]. [1]

* **صياغة الرسالة:** إن صياغة الرسالة الإعلامية في مجال الاتصال العمومي هو العمل الأساسي الذي يمكن من خلاله التأثير وإقناع الجمهور المستهدف بالقضايا و المشكلات و أساس المساهمة في حلها و عند التحدث عن صياغة الرسالة الإعلامية لابد من النظر إلى شروط ذات أهمية:

- **الموضوع:** و هو الإقناع بمضمون الرسالة لتصبح أكثر فعالية خاصة إذا ركزت الرسالة على أهدافها و ذكرتها بوضوح، فعنصر القابلية للاستماع ضروري أو القابلية للقراءة و هما ضروريان لفهم الرسالة .
- **تقديم الرسالة لأدلة و شواهد و حجج وترتيبها ترتيبا مناسبا و أن تتضمن مصالح المتلقي و اهتماماته.**

1- فؤادة عبد المنعم البكري: التسويق الأجتماعي وتخطيط الحملات الإعلامية، م . س . ذ ص 92

- وضوح الرسالة و سهولة استيعابها حيث يجب أن تكون كلماتها بسيطة وجملها قصيرة وجذابة.
- استخدامها للإستمالات العاطفية أو العقلية أو التخويف و التكرار والوضوح والقابلية لفك الرموز، كلها شروط مهمة عند صياغة الرسالة.
- إشراك الرسالة للمتلقي و تدعيمها له حتى يشعر أن له مكانة.
- أن تكون الرسالة واقعية تعبر عن الواقع الحقيقي.

وكلها شروط لفعالية الرسالة، أما من حيث الأشكال و القوالب التي يمكن أن تقدم من خلالها الرسالة فهناك أشكال عديدة مثل الاخبار، الحديث المباشر، الحوار، المناقشات، و المجال مفتوح هنا للمرسل لاختيار القالب المناسب للموضوع والمتلقي[1].

❖ **معوقات الرسالة:** جدير بالذكر أن المعلومات المتضمنة للرسالة قد تتعرض لبعض المؤثرات التي تغير من طبيعة معاينتها فيصعب فهمها، و أهمها: الترجمة غير صحيحة لمحتويات الرسالة لعدم الوضع بعين الاعتبار اختلاف الإدراك للمعاني، نظرا للاختلاف في المستوى العلمي و الثقافي أو السيكولوجي للمستهدفين و الإطار الاجتماعي و الثقافي الذي يعيشون فيه [2].

- سوء الإدراك أو الفهم للمعلومات المتضمنة في الرسالة لعدم وضوحها و عدم سهولة كلماتها و جملها و عباراتها، مما يصعب على الجمهور فهمهم المعنى الدقيق أو المطلوب للرسالة فيفسرها حسب ما يريد أو ما يتفق مع خبراته و اتجاهاته ويتجاهل ما لا يتفق معها.

1- عماد مكاوي و ليلى حسن السيد: الاتصال والسلوك الإنساني في أنثروبلوجيا الاتصال، البيطاش للنشر و التوزيع، الإسكندرية 1999 ص312

2- محمد يسري دعبس: الاتصال و السلوك الإنساني، م . س . ذ ص 312

- افتقاد المرسل للقدرة على تعزيز ما تتضمنه الرسالة من معلومات بتعبيرات الوجه أو حركات الجسد أو ما نطلق عليه لغة الجسم من حركات وإشارات وإيماءات تساعد على توصيل مضمون الرسالة و التأثير بفعالية في فهم و إدراك المتلقي.
- عدم تلبية الرسالة لحاجات الجمهور.
- عدم صياغة الرسالة بشكل جيد و عدم جاذبيتها.
- عدم توافقها مع الواقع.
- عدم صدقها و عدم دقتها مما يؤدي إلى فشلها.

الاتصال العمومي و علاقته بالدعوة المحمدية:

الدعوة في الإسلام هي إحاطة الغير علما بشيء ليدرك حقيقته ومن هنا كان الصدق في الدعوة ركيزة من أهم ركائز الدعوة حيث الدقة و الأمانة في صدق التبليغ و العلم و الخبرة في التحليل تمثل بقية الركائز اللازمة للدعوة الناجحة، فهي فن تزويد الناس بالأخبار الصحيحة و المعلومات السليمة و الحقائق الثابتة التي تعينهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن الحقيقة المجردة و هو ما يميز الدعوة الإعلامية الاتصالية عن غيرها[1]. وقد أصبح عصرنا عصر الإعلام و الاتصال بل يمثلان أهم وسائل تشكيل مفاهيم الناس في مختلف الأعمار و من مختلف مستويات التعليم و الثقافة، كنشاط إنساني للتواصل مع الآخرين عبر العديد من الوسائط المؤثرة مما يمكن من تشكيل الرأي العام لمجتمع من المجتمعات، فقد أصبح الإعلام و الاتصال أحد العوامل المؤثرة في سلوكيات جميع أفراد المجتمع خاصة الناشئة منهم دون وعي بخطورة ما قد يتضمنه إذا لم يتم الالتزام بالضوابط الدينية و الأخلاقية للمجتمع الذي تنتشر فيه، فالإعلام و الاتصال اليوم قوامه الفوضى العارمة لانعدام مصادر التلقي الصحيحة، و بدعوى الحرية يتم تشويه صورة الإعلام و الاتصال، و عليه أصبح الاتصال الداعي و الحريص على

1- زغلول النجار: رسالتي إلى الأمة ، الطبعة الأولى دار النهضة، القاهرة، 2009 ص 327

مصلحة المجتمع – الاتصال العمومي بمفهومه الحديث – هو الشكل الوحيد للإعلام و الاتصال الذي يحاول تحري الحقيقة لفائدة المجتمع ككل .

إن الاتصال بصفة عامة في الرسالة المحمدية وما تتضمنه دعوة تخص جميع مناحي الحياة تعتبر الحرية مبدأ رئيسياً و استخدامها يكون بضوابط ربانية، إذ بدونها ينتهي الإنسان إلى الفوضى فمن كرامة الإنسان في الدعوة المحمدية أن يكون حرا في التعبير عن آرائه و أفكاره و مشاكله، و الدعوة في مجملها رأي وخبرة و تواصل بين الناس، فهي إعلام و اتصال هادف رسالتها منضبطة بهدي الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم لا تقدم شيء يخالف أوامر الله أو تعارض سنة من سنن الرسول صلى الله عليه و سلم في أي مجال من مجالات الحياة الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية و التعليمية أو التربوية أو حتى الترفيهية بل تلتزم في كل نشاطاتها بأصول الإسلام و قواعده و ضوابطه الأخلاقية و السلوكية مع الإلتزام بنقل الأخبار الصادقة و الأمينة وتحليلها بدقة و إتقان، و معالجة مشاكل المجتمع بإخلاص و حسن التوجيه و رعاية و المحافظة على التراث و حسن نقده و تحليله و تقديمه الى الأجيال الناشئة دروسا و عبرا ليتعلموا منها و يستفيدون بها و يتربون على ما جاء فيها من قيم و أخلاقيات و سلوكيات إسلامية نبيلة، فدعوة الإسلام الراقية تجمع الناس على كلمة سواء توحد صفوفهم و تجمع بينهم وترتقي بهم في أعلى مقامات التكريم التي كرم بها الله الإنسان الصالح الذي يعرف حقيقة رسالته ويكون مستخلفا ناجحا في الأرض يقوم على حسن عمارتها و إقامة عدل الله و شرعه، فإنسان كهذا وصفه ينبني به المجتمع الصالح الذي يحقق التواصل الناجح و يحقق أمر الله في الأرض، و يحقق الأخوة الإنسانية لبناء المجتمع و ليس لهدمه [1] وهو ما يعبر عن خصوصيته العملية الاتصالية الإعلامية في الدعوة المحمدية وتتضمن الدعوة المحمدية رسالة منبثقة من إسلام القرآن و السنة، رسالة تتحدث بلسان عصرها و تفرض نفسها على عصرنا، رسالة تتميز بالانفتاح و المرونة تدعو إلى

1- زغلول النجار: رسالتي إلى الأمة ، م . س . ذ . ص 327

الحوار مع الآخر و التسامح مع المخالف و الجنوح إلى السلم لمن يمد يده راغبا في السلام، و هي بذلك رسالة يتجلى فيها التوازن و يتجسد فيها المنهج الوسط.

إن رسالة الإسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه و سلم و حملها من بعده أتباعه و أنصاره و المؤمنون به و برسالته هي رسالة تنتقل تبعتها و مسؤوليتها الى كل من بلغته هذه الدعوة بلا إكراه أو وصاية والمسلمون بهذا لا يحملون صكا يضمن لهم النصر و التأييد و الرفعة بين الشعوب و نصر الله الموعود نصر مقيد و مشروط لذلك كان لزاما تصحيح التصور العام للإسلام و المسلمين بإتباع منهج التجديد في الفكر [1].

إن منهج التجديد يتضمن إطالة التوقف عن السنة النبوية باعتبارها الأصل الثاني و المصدر المتمم للقرآن الكريم بين أدلة الأحكام الشرعية و هو توقف يشمل بدوره أمورا عديدة أولها متابعة الاجتهاد في كل ما يشمل الحديث النبوي و أقواله وأفعاله، حيث يتطلب ذلك الابتعاد عن القضايا الخلافية (كالخلافات المذهبية، وتكفير المجتمع، و التفسير الخرافي للظواهر...إلخ) حيث يشمل التجديد الجانب الفكري و الجانب الروحي و الجانب العملي و هي الجوانب التي تشملها الدعوة المحمدية و المتمثلة في " العلم والإيمان و العمل " و ذلك بالتركيز على مخاطبة "العقل" و الاعتماد على العلم و تصحيح المفاهيم المغلوطة و الأفكار الخاطئة على أساس موضوعي .

انها رسالة تؤكد رفضها لكل أشكال العنف و الإرهاب و تدعو لضرورة الارتفاع بمستوى المخاطبين من خلال تزويدهم بالعلم و الثقافة الدينية الصحيحة التي لا يمكن أن تناقضها.

حيث العقلانية هي سمة مضمون الرسالة الإسلامية المعاصرة في إطار العالمية التي يتصف بها الإسلام المراعي للأولويات المشتركة للبشرية و الحاجات

1- مصطفى محمد عبد الوهاب: بنية الخطاب الديني الإسلامي، رسالة دكتوراه في الاعلام، جامعة القاهرة 2009 ، ص76.

الإنسانية الملحة و مختلف القضايا المثارة و الخاصة بالأمن و السلام وحماية حقوق الإنسان التي صارت اليوم ظاهرة عالمية لا تنتمي إلى جنس محدد، فعندما ينطلق النشاط الإعلامي الاتصالي في اتجاه و ضرورات الحياة و متطلباتها متضمنة رؤية الإسلام و رسائله في معالجة مختلف القضايا نكون بصدد فكر إسلامي متجدد[1].

الجمع بين الاتصال اللفظي و غير اللفظي في الاتصال العمومي :

لقد سبق ذكر أهمية الاتصال العمومي كعملية يتفاعل بمقتضاها متلقي ومرسل الرسالة في مضامين اجتماعية معينة، و في هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات (منبهات) بين أفراد الجمهور المستهدف عن قضية معينة أو معنى مجرد أو واقع معين، فحين نتصل، نشرك الآخرين في المعلومات و الأفكار و في جوانب عديدة في السلوك الاجتماعي، فالاتصال ينتشر ويتخلل الظروف الاجتماعية المحيطة بنا، و حتى يكون الاتصال فعالا يجب أن يكون هناك قدرة على الجمع بين الاتصال اللفظي و الغير اللفظي حيث يكمل كل و احد منهما الآخر[2] بحيث يتطابق الاتصال اللفظي مع الاتصال الغير اللفظي أي تطابق لغة الجسد مع الكلام الشفهي فالرسالة التعليمية التوجيهية مثلا نسق من الرموز اللفظية أو غير اللفظية المصممة خصيصا لتحقيق هدف سلوكي معين اثناء موقف الاتصال ومن هنا فإن اللغة اللفظية تمثل نظريا نصف لغة التخاطب و لكن لكون اللغة اللفظية سهلة و مباشرة و لا تحتاج في الاتصال العادي إلى إعداد مسبق مجهد و مكلف و لا تحتاج أيضا على مهارات إنتاج مثل الصور و الرسوم و اللغات الأخرى غير اللفظية، فإنها تحتل أكبر مساحة من الاتصال الإنساني، و خاصة في مجال التعليم، حيث مازالت اللغة اللفظية تأخذ النصيب الأكبر من موقف الاتصال التعليمي لنفس الأسباب السابقة و قد ارتبطت كل لغة من اللغتين بحاسة من الحواس، حيث ترتبط اللغة اللفظية بحاسة السمع و غير اللفظية بحاسة البصر، و لكي تكون اللغة اللفظية

1- مصطفى محمد عبد الوهاب: بنية الخطاب الديني الإسلامي ، م . س . ذ ، ص77

2- جهان أحمد رشتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار النهضة، القاهرة، 2003 ص 53.

مؤثرة في مواقف الاتصال التعليمي و التربوي خاصة، فإن مهارات معينة تتطلب أن تقدم و بأساليب متنوعة كالتأثير بالأسئلة و التوضيح بالأمثلة، الشرح، التفسير، مهارات التحدث و النطق، و مهارة الاستماع، و مهارة القراءة و الكتابة[1].

لقد كان التطبيق العملي لمتغيرات الأسئلة و التفاعل اللفظي بين المرسل و المستقبل جليا في السنة النبوية من خلال مجموعة من الأحاديث الشريفة، كالأسئلة التي طرحت عليه صلى الله عليه وسلم من فرد إلى شخصه، أو كأن يسأل ليشوق متلقي الرسالة أو يطرح السؤال و الإجابة معا أثناء إلقاء الرسالة أو عرض لموقف اتصال لفظي بالكامل عن طريق الأسئلة و الإجابات و حثه صلى الله عليه و سلم للعلماء على عدم كتمان العلم عند السؤال و ضرب الأمثال التي يحتاجها بعض المواقف الاتصالية التعليمية و تقديم القصة لتعميم الفائدة و إشراك المتلقي[2].

أهمية اللغة المنطوقة و المكتوبة في الاتصال اللفظي:

أ) الاتصال المنطوق الفعال: إن المرسل الفعال و الناجح له مواصفات المفاوض الفعال و من القواعد اوالمبادئ العامة التي يجب الاهتمام بها و الاستفادة منها أثناء عملية الاتصال اللفظي المنطوق:

- توضيح الأفكار قبل القيام بعملية الاتصال و وضوح الهدف لكل عملية.
- الاهتمام بالمضمون الأساسي للرسالة.
- انتهاز الفرصة المناسبة لنقل بعض القيم للمتلقي.
- متابعة الاتصال.
- ليكن الاتصال اللفظي صالحاً للغد كما هو صالح لليوم.
- التأكد أن الأفعال الخاصة بالمرسل تساند ما يدعو إليه عبر العملية.
- على المرسل في اتصاله اللفظي أن يكون مفهوما و متفهما و مستمعاً جيدا.

1- تيسير مشارقة: مدخل للدراسات الإعلامية، م . س . ذ ، ص 30

2- عبد العظيم عبد السلام الغرباني: تقنيات الاتصال التعليمي من القرآن و السنة، دار غريب، القاهرة، 2002، ص 45

ان الاتصال اللفظي بالتحديد الشفوي في مجال الاتصال العمومي يوفر للمرسل تعديل رسائله الاتصالية بالحذف أو الزيادة أو اكتشاف معلومات جديدة، فهو اتصال مرن ، يتحقق منها ويتم الرد عليها بدقة (كالملتقيات، الندوات المنظمة لمكافحة آفة معينة في إطار الاتصال العمومي حيث يكون نوع الاتصال الذي يربط المرسل و المستقبل شفوياً) كما يقوم المرسل باختيار الفكرة التي تناسب المتلقي، فإذا حصل إرباك أو تشكيك في الرسالة فإن المرسل يقوم مباشرة بتعديل فكرة، وهذا النوع من الاتصال يستخدم كافة الحواس الإنسانية أهمها: السمع، البصر، فهذا النوع من الاتصال عبارة عن مشاركة اجتماعية إيجابية مثال على ذلك الندوات الملتقيات، .... إلخ[1].

❖ **خصائص الصوت:** حتى يكون الاتصال اللفظي المنطوق فعالا يجب أن تكون نبرة الصوت و قوته و انتفاضة ذات تأثير كبير على مسار العملية الاتصالية حيث بإمكان المرسل إعلاء صوته قليلا للتركيز على نقطة معينة و بالإمكان إحداث التأثير المطلوب، إذا كان صوت المرسل أكثر انخفاضا من صوت المستقبل، فالصوت المرتفع ينم عن الغضب أو التهديد أو القوة أو الوضوح أو عدم الاحترام أو بعد المسافة بين المرسل و المستقبل أو الألم، أما الصوت المنخفض ينم عن الخوف أو المرض أو الخجل أو الاحترام أو التهديد أو السرية، أما الصوت السريع (أي عدد الكلمات التي تقال في فترة محددة) قد يعني العصبية أو الغضب أو الشعور بالخطر أو السباق مع الزمن[2].

على المرسل أو القائم بالاتصال اختيار الصوت المناسب للموقف الاتصالي المناسب .

❖ **خصوصية الصوت العربي:** يقال إن اللغة عبقرية الإنسان و اللسان عبقرية اللغة و للمفردات العربية عبقرية، فمثلا كلمة " ريح " تمد نفسها و مخارجها،

1- عبد العظيم الغرباني: تقنيات الاتصال التعليمي من القرآن و السنة م . س . ذ، ص 35

2- تيسير مشارقة: مدخل إلى الدراسات الإعلامية م . س . ذ ، ص 34

تصفر مثل الريح عند التلفظ بالكلمة، و كلمة نوم توحي بالسبت و الهدوء و هي خصوصية لا توجد الا في اللغة العربية[1]. وطالما كان للبلاغة الإنسانية تأثير على العقول قبل القلوب لاسيما البلاغة النبوية التي تقول الحقيقة في فكر صريح و مجاز لا يقدر عليه إلا بليغ، فقد عرف عنه صلى الله عليه و سلم فصاحته بل إنه كان أفصح العرب دون تكلف في القول و لا بقصد تزيينه بل لا يتجاوز هدفه إبلاغ المعنى الذي يريده بأسلوب غاية في الروعة حيث يتضمن الحكمة و البلاغة في آن واحد، فقد أوتي جوامع الكلم التي تعني الكلام الذي قل عدد حروفه و كثر عدد معانيه و نزه عن التكلف، فاستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر و ابتعد عن الغريب، فجمع بين المهابة و الحلاوة و بين حسن الإفهام و قلة عدد الكلام مع الاستغناء عن إعادته و قلة حاجة السامع إلى معاودته بالحجة و البرهان فلا يحتج إلا بالصدق و الحق، فلم يسمع الناس قط اعم نفعا و لا أعظم لفظا و لا أعدل وزنا و لا أجمل مذهبا و لا أكرم مطلبا و لا أحسن موقعا و لا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه من كلامه و أقواله صلى الله عليه و سلم، فكان يخاطب كل قول بلهجتهم ومذهبهم فلا يكون إلا أفصحهم خطابا و أسدهم لفظا و أبينهم عبارة فكانت لرسالته و قع و تأثير، فقد جمع الله فيه هذه الصفات و أخلص له أسبابها فخصه بكتابه و اصطفاه برسالته الخالدة[2]. فكان حقا ان يكون قدوة لكل قائم بالاتصال خاصة إذا كان الهدف المصلحة العامة. إن أهم عوائق الاتصال اللفظي المنطوق هو التشويش و التشويش قد يكون دلالياً، أي تشويش على المعنى الدلالي عندما يكون للكلمات و العبارات المنطوقة أكثر من معنى مما يربك المستقبل و يؤدي إلى سوء الفهم أو عدم الفهم الناتج عن عدم الفصاحة في الكلام أو عدم الفهم ......، و غيرها من العوائق التي قد تؤدي إلى فشل الاتصال اللفظي المنطوق و بالتالي فشل رسالة الاتصال العمومي.

1- تيسير مشارقة: مدخل إلى الدراسات الإعلامية، م . س . ذ ، ص 34

2- مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة رحاب، الجزائر ص 282

ب) **الاتصال المكتوب الفعال:** الحديث عن اللغة اللفظية المكتوبة في مجال الاتصال العمومي يقود إلى الحديث عن أهم دعامة اتصال عمومي مكتوب ألا و هو الكتاب كأحسن نموذج عن هذا النوع من الاتصال كونه ذو مصداقية و فعالية كدعامة اتصال مكتوبة[1].

فالكتاب كأهم دعامة اتصالية مكتوبة في مجال الاتصال العمومي – يعد أساسيا لإرسائها و من أهم الضروريات في أي مجتمع و في أي زمان، مهما بلغت تكنولوجيا الإعلام و الاتصال من تطور، فالكتاب حضارة لا تموت، منتوج يسمح ببث فردي للرسالة المرغوب فيها يتطلب احتياطات كبيرة عند الاستعمال من أجل علاقة جيدة بين ثنائية أثر / تكلفة إذ لا يجب أن تكون الكتب فارغة المحتوى، فيكون دورها سطحيا، بل عليها أن تعلم و تؤثر و تعطي القدرة على التخطيط للمستقبل، فهي وسيلة ممتازة في عملية التعليم لأنها تترجم كل مظاهر الحياة، و هي واحدة من السمات التي تقاس بها كل حضارة، فهي مجهود مهم لإعادة بناء حياة الناس لاسيما إن كانت البداية مع مرحلة الطفولة، فكل الكتب التي يتعرض لها الطفل في صغره تعد إحدى مفاتيح تكوين شخصيته مستقبلا، بالتالي تكوين الحضارة، فإرساء أسس الاتصال العمومي عبر الاتصال المكتوب مبكرا في المجتمع يمكن أفراد هذا المجتمع من إقامة علاقات مع المحيط و التعرف عليه ثم استعمال المعارف المستقاة من الكتاب[2]. للكتابة القدرة على اجتياز المسافات والذاكرة تسمح للجمهور المستهدف بالحضور رغم بعده و الكتابة تجسيد للفكر، تحرر الاتصال من قيد الحضور المباشر للمستهدف عن طريق نصه اللفظي فبفضل الكتاب تجد الكتابة دعامة تسمح للثقافة بالوصول إلى أكبر عدد من الجمهور فالثقافة المعرفة، كلها تتجسد و ترسل عن طريق الكتاب، فالكتاب استثمار ذو

1- أمال عميرات: الاتصال العمومي و كتاب الطفل ، المدرسي م . س . ذ، ص 34

2- أمال عميرات: الاتصال العمومي في الجزائر وكتاب الطفل المدرسي، م . س . ذ ، ص 34

قيمة رمزية بل مقدسة، ففي حداثتنا نصوص مقدسة ، قوانين، مذاهب علمية أو فلسفية هي كلها ركائز ثقافتنا[1].

و أيا كان نوع الاتصال منطوقا أو مكتوبا في مجال الاتصال العمومي، عليه مراعاة الضرورات السبع عند صياغة الرسالة من قبل المرسل و هي: الصراحة، الوضوح، الإنجاز، الإيجاز، الواقعية الانضباط.

وعلى العموم فإن لغة الاتصال العمومي تتميز بخصوصية اللغة الإعلامية و من أهم خصائصها:

- أن تكون لغة سليمة، دقيقة و موضوعية .
- أن تكون مشوقة حتى يقبل الجمهور المستهدف على المرسل و يتابع الرسالة حتى نهايتها.
- لغة تتطلب التماسك في الموضوع وغير قابلة للتفكك.
- لغة واضحة ليست علمية بحتة و لا أدبية بحتة.
- لغة عملية متداولة في الندوات والاجتماعات[2].
- لغة تستثمر ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني.
- لغة لكل الناس ألفاظها بسيطة و تعبيراتها سهلة.
- لغة تتوخى إقناع العقل و إمتاع العاطفة.
- لغة فيها بيان وإجمال ، شفافة و حاملة للحقائق لا تستعرض القدرات البلاغية
- لغة مباشرة و بسيطة لا تحتاج إلى جهد للفهم و الإدراك[3].

تكمن أهمية اللغة بصفة عامة في مجال الاتصال العمومي بأنها أداة نقل و حاملة للأفكار فهي الوسيط بين المرسل و المتلقي لذلك على المرسل أن يراعي دائما

1 -Francis Balle: Medias et Société ، 11 em édition ، montchrestien ، Paris ، 2003 p 39

2- تيسير مشارقة : مدخل إلى الدراسات الإعلامية , م . س . ذ ، ص 53.

3- المرجع السابق، ص53.

مطابقة لغة الجسد مع اللغة المنطوقة أو المكتوبة مع مراعاة مقومات الثقة المتمثلة في الإقناع الذي يبدأ بالمصداقية .

أهميـة الإشـارات و الرمـوز في الاتـصال غـير اللفظـي في مجـال الاتصال العمومي:

إن الإشارة غير اللفظية تقوم بدور بارز في الاتصالات و العلاقات الإنسانية لاسيما في مجال الاتصال العمومي، فعلى الرغم من أننا قد لا ننطق بكلمة واحدة فان مظهر الأفراد و لباسهم و أعمالهم و تحركاتهم و أوضاعهم و توقيت حركاتهم، كلها قد تعتبر أساساً لمعلومات لها تأثير على السلوك .

هناك ارتباطات كثيرة للرموز غير اللفظية بأنظمة اللغة اللفظية و لعل الاختلاف الأول بينهما يكمن في عدم الوعي و الاهتمام العام بالرموز غير اللفظية مقارنة بالرموز اللفظية حيث يتجلى هذا الاختلاف بوضوح إذا أخذنا بعين الاعتبار التباين في الأسلوب الذي يتم به التدريب على هذين النوعين من الرموز أثناء دراستها في المدارس، حيث يبذل الكثير من الجهد في تعلم اللغة اللفظية من تعليم قواعد النطق و النحو و الدلالة و التطبيق و تدريب على استخدام اللغة المكتوبة و المنطوقة في جميع مستويات التعليم و هي كلها مهارات أساسية مهمة من أجل الاستخدام الصحيح للغة اللفظية، لكن بالمقارنة لا تلقي الرموز اللفظية إلا القدر اليسير من الاهتمام في أغلب المدارس و لا توجد مهارات للتدريب عليها إذا قورنت بالإنشاء و الأدب و الخطابة مع أن هذه المجالات لها أهمية واضحة عند التعامل و جها لوجه، مع ذلك فإن قلة اهتمامنا بالرموز غير اللفظية لا تعني أبدا أنها أقل أهمية للسلوك البشري من اللغة اللفظية[1].

فعلى القائم بالاتصال مراعاة هذه الإشارات غير اللفظية و إدراكها لخيار الأسلوب الاتصالي المناسب لكل رسالة .

1- السيد النفادي: السميوطيقا و علاقتها بالفلسفة و العلم، عالم الفكر، الكويت، 2002، ص 37

فتعبيرات الوجه مثلا توضح الحالة الانفعالية حيث تحمل معنى السعادة، الشقاء، الخوف، الغضب، التعجب، ... فهناك 33 تعبيراً للوجه، تتضمن 14 و ضعاً للحاجب و 4 أوضاع لجفن العين و 7 أوضاع للفم جميعها يستخدم خلال الاتصال اللفظي كتدعيم له أو بدونه.

حركات الجسم: الذي يحتوي على 3 أبعاد خاصة بلغة الجسم تتضح من خلال تغير حركة الرأس، تعبيرات الوجه و حركات اليد و عادة ما تصاحب الاتصال اللفظي ومن خلال حركاتها الرمزية تحمل معها العديد من المعاني التي تدل على الموافقة أو الرفض أو التعزيز اللغوي، و قد قام البعض بعدة استخدامات للإشارة و العلامات غير اللفظية باستخدام حركات الجسم - كشعار أو رمز لتأكيد حديث ما كاستخدام حركات الرأس للدلالة على الموافقة أو الاتفاق في الرأي.

- تستخدم للدلالة على الانتباه كما يقال أو التعبير عن متابعة الموضوع.
- تعتبر إشارات و علامات تعود الفرد على استخدامها وأصبحت جزءاً من شخصيته.
- كما أن الثقافة تلعب دورا هاما في حركات الجسم[1].

اتجاه النظرات: على القائم بالاتصال مراعاة اتجاه النظرات مع مراعاة أن هناك اختلاف بين الناس، فيما يتعلق باتجاه نظراتهم أثناء الحديث، فالاتجاه البعيد للنظرات يستخدم أثناء الاستماع و العكس صحيح بالنسبة للتحدث و الكلام، وعادة ما تتقابل العيون بين المتحدث و المستمع و يزداد تردد نظرات المتحدث إلى المستمع في حالة الارتباك أو الكذب خلال الحديث و يبدأ التفاعل بين المرسل و المستقبل عن طريق اتصال العين لفترة ، ثم يتوالى عن طريق لمحات متقطعة تزود المرسل بالرجوع يدل على مدى استجابة المستقبل و يستطيع المرسل أثناء العملية

1- محمد محمود مهدلي: الاتصال الاجتماعي في الخدمة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2005، ص 187

الاتصالية أن يتصرف من خلال نظرات المستقبل على مدى ثقته أو خوفه أو ارتباكه أو تردده.

المسافة و أوضاع الجلوس: تختلف أوضاع الفرد خلال حديثه و المسافة بينه و بين المتحدث معه، فهناك العديد من المعاني و التعبيرات التي تزيد من فهم القائم بالاتصال للمستقبل، و كلما استطاع القائم بالاتصال أن يدرب نفسه على الملاحظة الدقيقة كلما استطاع استخلاص العديد من الرسائل غير اللفظية التي تدعم ما يحصل عليه من معلومات بالاتصال اللفظي فاكتساب المهارة في هذا المجال مرتبط بالقدرة على الملاحظة الدقيقة لاستجابات المستقبل خلال العملية الاتصالية[1].

غير أن الاهتمام بالرموز اللفظية على حساب الرموز غير اللفظية يرجع الى أن اللغة و تراكيبها محددة يسهل استيعابها إذا قورنت بطبيعة غالبية الرموز غير اللفظية التي لم يتفق على تحديد قواعدها و أسسها، فحيثما كانت اللغة فإن الوثائق الخاصة بها كالتراكيب و القواعد نجدها في مصادر مختلفة مثل المعاجم والكتب، بالمقابل لا توجد معجم وأدلة تبين لنا قواعد السلوك غير اللفظي، فيما عدا بعض الكتب التي تشير إلى طريقة معاملة الناس و اختيار الناس اللباس المناسب و الحركات الملائمة و الحركات الملائمة، لكن ليس لهذه الكتابات مصداقية معاجم اللغة اللفظية و دقتها و مكانتها[2].

يمكننا أن نقول أن اللغة تستخدم أكثر من الرموز غير اللفظية في محاولات إرسال رسائل ذات هدف محدد وهذا عامل إضافي يشرح السبب في أننا نهتم بالمقدرة اللفظية أكثر من الاهتمام بالمقدرة غير اللفظية، فطالما اعتبرت اللغة اللفظية مسألة اجتماعية تتطلب التدريس و التوضيح بينما ما يتعلق بمظهر الإنسان و طريقته في التعامل و حركاته، فهي أمور شخصية و خصوصية لا تتطلب مناقشة أو تحليل في المدارس أو في مكان آخر، غير أن العقود الأخيرة ومع ازدياد الدراسة للغة

1- المرجع السابق، ص 188.

2- السيد النفادي: السموطيقيا و علاقتها بالفلسفة و العلم، م . س . ذ، ص37

اللفظية و أنماطها و السلوك غير اللفظي برز الاتصال غير اللفظي بوصفه مجالا يستحق الدراسة وموضوعا عاما كرس له العديد من الدراسات يطلق عليه مصطلح السميولوجيا أو السميوطيقا وهما مصلحان منقولان عن الإنجليزية وهما بدورهما منقولان عن الأصل اليوناني SEMION بمعنى الإشارة أو العلامة وأحيانا أخرى يطلق عليها علم العلاقات، فوسائل الإعلام تنقل وتخلق فيضا من العلامات و الرموز فظهرت الدراسات المهتمة بدراسة السمولوجيا في الخطاب الإعلامي منذ الأربعينات من القرن العشرين حيث أثير نقاش واسع حول العلاقة بين السميولوجيا و اللسانيات بمعنى هل سميولوجيا الصورة مجرد نقل حرفي مباشر لمفاهيم اللسانيات مطبق على النماذج البصرية و في هذا الإطار تطورت مناهج تحليل الصورة سيولوجيا[1]. أما أيكمان و فريزن (EKMAN ET FRISEN) فيعرفان لغة الإشارات بأنها منبهات جسمية تترجم الألفاظ أو هي الترجمة الحركية للتلفظ المنطوق بغرض تعزيز اللغة المنطوقة مثل الإشارات المصاحبة للحديث و الصادرة بتلقائية دون تخطيط مسبق كحركات الأيدي مثلا[2]. و على العموم يمكن تلخيص وظائف الإشارات كالتالي:

- تتمم الحديث العادي بما تضيفه من معاني لا تحتاج إلى ألفاظ.
- هي البديل المناسب للتغلب على اللغة الأجنبية التي تواجه الفرد في حياته فيستخدم اللغة غير اللفظية.
- هي البديل المناسب في حالة صعوبة الاستماع سواء لبعد المكان أو الضوضاء أو ضعف حاسة السمع للمتلقي.
- لغة مستقلة لكثير من الأنشطة في المجتمع مثل التمثيل، الخطابة، المرور.
- تعزز أثر الحديث و تجعله أكثر تأثيراً وتحسن تقديم المعلومات للآخرين
- الوسيلة الوحيدة المصاحبة للكلمات الصعبة و تساعد على تفسيرها.

1- المرجع السابق ، ص 38

2- عبد العظيم الغرباني: تقنيات الاتصال التعليمي من القرآن و السنة، م . س . ذ ، ص 92

- تعمق التفاعل بين طرفي الاتصال.
- تؤثر في الفرد بعد عملية الاتصال لبقاء أثر الرسالة و تقوية تذكرها.
- الوسيلة التي يتم بها التعبير عن صدق العواطف الداخلية للفرد.
- تنبه وتجلب الانتباه و تقلل من ملل الرسائل اللفظية[1].

❖ مركز الأنشطة غير اللفظية في الدماغ: يزداد الاهتمام بهذا الموضوع عالميا ويعتقد أن نصف الدماغ الأيسر يؤدي دورا مسيطرا على عمليات اللغة ،و أن الأنشطة الأخرى التي تتطلب عمليات متسلسلة أو متابعة منطقية كالرياضيات ، تعتمد على نصف الدماغ الأيسر كذلك وعلى العكس فإن نصف الدماغ الأيمن يؤدي دورا هاما في التعرف على ملامح الوجه و القوام و الجسم و ما يتعلق بالفن والموسيقى و غيرها ، مما يتطلب التكامل في العمليات العقلية و الإبداع و التخيل، وقد أظهرت الدراسات أن بعض الأفراد الذين حدث لديهم ضرر أو إصابة في نصف الدماغ الأيمن وجدوا صعوبة في الإدراك المكاني و العلاقات المكانية و التعرف على الأشياء المتشابهة و الوجوه المألوفة.

❖ أنماط الرموز غير اللفظية: هناك خمس فئات عامة من المؤشرات غير اللفظية و هي المظهر، الحركة اللمس، و استخدام المكان و استخدام الزمان:

أ) **المظهر:** عند تكوين الانطباع الأول بصفة عامة يكون المظهر هو المصدر الأساسي الوحيد للمعلومات و ربما كانت من الشواهد المثيرة التي تأكد أهمية المظهر تلك الدراسات التي أجريت لتحديد ما يفضله كل جنس من الشباب في الجنس الآخر، حيث بينت أن الجمال و الجاذبية أهم من العوامل الأخرى مثل المعرفة، تقدير الذات، التفوق الأكاديمي، القدرة وقوة الشخصية[2].

1- عبد العظيم الغرباني: تقنيات الاتصال التعليمي من القرآن و السنة، م . س . ذ ، ص 93

2- برونت روبين: الاتصال و السلوك الإنساني ترجمة فايز اللطيف أورفلي، الإدارة العامة للبحـوث، الريـاض، 1991 ، ص 184

وهنـاك دراسـة أخـرى تؤكـد أن الجاذبيـة الجـسدية ليـست مهمـة لاختيـار الرفيـق و تفـضيله بـل أنهـا في الغالـب تنبـئ عـن كيفيـة النجـاح و الـشعبية و الـروح الاجتماعيـة و القـدرة علـى الإقنـاع و الاسـتمتاع بالحيـاة، فعـدد العوامـل المشتركة في إبراز المظهر كثيرة منها: الوجه، العينان، القوام و البنية الجسدية، الثياب و الزينة.

- **الوجه:** في مجموعه يكون نظاما متكاملا، فالجبهة و العينـان و الأنـف و الأذنان و الشفتان و الذقن و الفم توجد بينهما علاقة متبادلـة تـؤدي جميعهـا أعمـالا وظيفية لا يمكـن لأي منهمـا أن يؤديهـا وحـده أبـدا، بالإضـافة إلى مـا يـسهم بـه كـل منهـا مـن أهميـة في المظهـر الكلـي للوجـه وتـؤدي تعـابير الوجـه دورا هامـا بوصـفها مصدرا للبيانات المتعلقة بالحالات الانفعالية للإنسان، بل أهم مصدر لهـا مثـل حـالات الفـرح، الخـوف، الدهـشة، الحـزن، الغـضب، الاشمئـزاز، الاحتقـار، الاهتمـام، فالمـشاعر مكتوبـة بوضـوح علـى الوجـوه، ويعتقـد البـاحثون أن دور الوجـه بالنـسبة للعاطفة أمر مشترك لـدى كـل أفـراد الجـنس البـشري، فمـا هـو عـام أو مـشترك بـين أفراد الجنس البشري من تعبيرات الوجـه هـي الأوضـاع المعينـة الـتي تتخـذها عـضلات الوجه عندما يعبر الشخص عن انفعال معين، أما الحوادث و الظروف الخاصـة المثيرة للعواطف مختلفة فهي تختلـف مـن إنـسان لآخـر ومـن ثقافـة لأخـرى فقـد تقتضي هـذه التقاليد أن نبالغ في التعبير عن انفعالاتنا أو أن نحاول إخفـاء حقيقـة شـعورنا أو نظهـر غير ما نبطن[1].

- **تحـديق العـين:** العينـان مـن أكثـر عناصـر الوجـه تـأثيرا في العمليـة الاتـصالية فالتقـاء النظـرات بـين المعـارف تختلـف عـن تلـك الـتي تنطبـق علـى الغربـاء، فـيمكن للنظـرات المتبادلـة أن تـساعد علـى فهـم الأفكـار كمـا يمكـن أن دلالات الاهتمـام و الانتبـاه، و سـواء كانـت النظـرة خاطفـة أو لا مباليـة، أو جانبيـة فهـي تشكل أساسا للاستنتاج حول اهتمامات الناظر و مقاصده و أهدافه وحتى اتجاهاته

1- برنت روبين: الاتصال و السلوك الإنساني م . س . ذ ، ص 195

كما يمكن بسبب النظرة الملاحظة والتوجيه و التدقيق و الإخفاء و التجنب و تهدئة الأمور.

- **الثياب و الزينة:** تؤدي عددا من الوظائف كالوقاية، الحماية الجسدية والنفسية، تأكيد الذات، التمويه الانتماء، بيان المكانة أو الدور وكذلك بالنسبة لأدوات التجميل و المجوهرات و النظرات و الوشم، فكلها لها دلالات و هي شواهد أساسية للحكم نوعيا مثل الجنس، العمر، الشخصية و مدى سهولة التعامل معها كما تدل على الحالة المادية و الوضع الطبقي و الذوق و القيم و الخلفية الثقافية فهي مؤشرات يستدل بها و تعطي انطباعا على أساس هذه المظاهر[1].

- **البنية الجسدية:** ترتبط أيضا بالمظهر، فالشخص المترهل البدين الذي يكون وزنه أكثر من الحد الطبيعي يفترض أن يكون دمث الخلق، هادئا، مرحا، راضيا، منبسطا، متسامحا، و الذي يبدو بارز العضلات، خشن العظام فصورته النمطية أنه نشيط، كثير الجدل، ميال لإثبات ذاته، يحب المنافسة واثق من نفسه، جريء، متسلط و متهور، أما الطويل النحيف فيميل إلى التحفظ و العزلة، صعب المراس، قلق، حذر، انطوائي، شديد التدقيق في التفاصيل، حساس و خجول.

ب) الأفعال: يقال أن الأفعال تتحدث بصورة أعلى من الأقوال وما نفعله أو ما لا نفعله يمكن أن يكون أكثر دلالة لدى الآخرين من مظهرنا و أقوالنا و على أساس أفعال الشخص يمكن تحديد أي نوع من الأشخاص هو وكيف يمكن أن تكون ردود أفعاله في مواقف مماثلة مستقبلا، فأفعال الشخص لها اثر كبير من أي قول فالمظاهرات و المفاوضات، الاحتجاج، المسيرات ، الحج، حتى وإن تمت في إطار جماعي فهي أفعال أكثر قوة من الكلام.

ج) الإيماءات و الإشارات: او حركات الجسم، الرأس الذراعين و الساقين و القدمين كلها تقوم في الاتصال البشري حيث قد تكون هادفة ترسل رسائل تستهدف

1- المرجع السابق، ص 205.

تحقيق أغراض معينة، محددة، و قد تكون عرضية، عشوائية تحدث مصادفة وبعضها يستخدم بديلا عن اللغة أو مكملا لها[1].

- **اللمس:** عندما تتسع الإيماءة إلى درجة أنها تتضمن اتصالا جسديا مباشرا هنا يحدث ما يطلق عليه البيانات اللمسية حيث تبدأ البيانات الخاصة باللمس في الجنس البشري قبل الولادة بوقت طويل بين الأم و الجنين فيصبح هو الوسيلة الأولى التي تربط بين الطفل و أمه ثم والديه وصولا إلى دلالة الرسائل اللمسية في التحية و تقاليد السلام مثل المصافحة و العناق كتعبير عن الدفء و المحبة والصداقة الحميمة

د) **استخدام المكان:** استخدام المجال ووضع الجسم أمران مهمان في الجلوس، ففي حالة الجماعة مثلا، غالبا ما تكون بعض أوضاع الجلوس أكثر ارتباطا بمستوى عال من النشاط و القيادة من بعضها الآخر، إن وضع الإنسان في مقدمة الجماعة مع فاصل مكاني يعطيه المكانة اللائقة و السلطة الكافية .

هـ) **أهمية الوقت و الزمن:** هي عوامل هامة في عملية الاتصال، فالزمن الذي يستغرقه كل واحد من المتحدثين مصدر مهم للمعلومات بما يجعله أكبر تأثير من مضمون الحادثة أو المناقشة نفسها[2].

إن التعبيرات المختلفة لتقدير قيمة الوقت و حسن استغلاله و المعاني المختلفة للحضور مبكرا أو متأخرا عن الموعد تختلف من ثقافة لأخرى ومن وضع لآخر وحالة التأخر و التبكير في الحضور يمكن أن تكون في حد ذاتها مصدر للمعلومات

إن أنواع سلوكاتنا اللفظية التي نمارس بعضها قد تكون مجموعة من البيانات التي تشكل جزءاً من البيئة المحيطة بنا، وتصبح هذه البيانات معلومات مهمة عندما يهتم وتقدر قيمتها و يجري استخدامها، خاصة في مجال الاتصال العمومي الذي يكرس الاتصال اللفظي و غير اللفظي لتمرير رسائله.

1- برنت روبين: الاتصال و السلوك الإنساني م . س . ذ ، ص 216

2- المرجع السابق، ص 216

ففي مجال الاتصال العمومي اللغة الصامتة تلعب دوراً متميزاً ، فالتبادل اللفظي ليس وحده الكفيل بإيصال رسائل الاتصال غير اللفظي، حتى أننا يمكننا اعتباره وسيلة اتصال مستقلة فالناس لا يتحدثون فقط بالكلمات بل أيضا بأجسادهم و بالأشياء وهو ما يسمى باللغة الصامتة فهو شفرة تختلف من ثقافة لأخرى يمكن استغلالها لتمرير رسائل مختلفة[1]. وقد استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الاتصال غير اللفظي أو الإشارة كثيرا في توضيح كثير من المعاني، فقد أشار إلى عدد أيام الشهور بأصابع يده وكان يشير إلى القلب بيده في أكثر من حديث ولمنزله كافل اليتيم أيضا بأصابعه، كما يدعم أحاديثه بالإشارة إلى العضو المقصود مثل الإشارة على اللسان عند تنبيهه على مسؤولية الكلام و غيرها من الأمثلة التي تدل على أهمية الاتصال غير اللفظي في تدعيم إيصال الرسالة المحمدية للمتلقين حيث بالإضافة إلى استعماله حركات الأصابع واليد استعمل التخطيطات و الأشكال ليوضح المعاني في أكثر من حديث كما أشار على ألوان معينة واستخدم لونا في بعض المواقف ليؤكد أن الألوان في السنة لازمة لمواقف الاتصال البصري[2].

علاقة الاتصال العمومي بأنواع الاتصال الأخرى:

بعدما تبين أن الاتصال العمومي أصبح ضرورة ملحة في المجتمعات التي تريد أن تحيا حياة صحيحة ملؤها الرفاهية و الحضارة لأنه الوسيلة الوحيدة لإقناع الأفراد بضرورة تغيير سلوكاتهم نحو الأفضل لصالحهم و لصالح مجتمعهم ككل، لا بد من الإشارة إلى بعض أنواع الاتصال الأخرى التي لها علاقة متداخلة مع الاتصال العمومي و من أهمها:

---

1 – Jaques Dnrand: Des fermes de communication ، op.cit ، p05

2- ع /* العظيم ع /السلام الغرباني: تقنيات الاتصال التعليمي من القرآن و السنة، م . س . ذ .، ص 15

التسويق الاجتماعي:

حيث يعد التسويق الاجتماعي أداة فعالة للاتصال العمومي الذي يشمله، إذ أن الاتصال العمومي يتخذ كأداة التسويق الاجتماعي للترويج أفكاره عن طريق الحملات الإعلامية التي يعتمد عليها هذا التسويق الاجتماعي بالدرجة الأولى، هذا الأخير الذي يعد تجسيدا للتطورات المتلاحقة في العلوم الاجتماعية بصلة عامة و العلم الاتصال بصفة خاصة .

يقدم التسويق الاجتماعي إطار عمل يساهم في إحداث التغيير المنشود مستخدما في ذلك النظريات و النماذج الخاصة بالاتصال و الإقناع للتاثير في معارف و اتجاهات وسلوكيات الجمهور المستهدف من الاتصال فهذا الأخير يستخدم التسويق الاجتماعي ليشكل مدركات الجمهور بالتأثير ،فيحدد القائم بالاتصال (سواء كانت حكومات أو منظمات أو جمعيات أو جماعات ضغط) الهدف، وعندما يكون هذا الهدف من أجل مصلحة المجتمع ككل فإن هذا التسويق الاجتماعي يكون أداة للاتصال العمومي به يمكن أن تؤثر في الجمهور المستهدف من الاتصال العمومي[1].

فالاتصال العمومي أوسع و أنبل لأن التسويق الاجتماعي قد ينحصر على المصلحة الخاصة الضيقة في حين الاتصال العمومي هدفه دائما وأبدا المصلحة العامة بعيدا عن الاعتبارات الشخصية للمنظمة.

إن مفهوم التسويق الاجتماعي أوسع مدى من التسويق التجاري (الذي يعد أصله) ليمتد على نطاقات أوسع، فالجامعات و الجمعيات الخيرية و غيرها من المؤسسات غير الربحية تحتاج إلى تسويق منظماتها لكسب الدعم السياسي و الاجتماعي بنفس درجة أهمية الكسب المادي، و يركز التسويق الاجتماعي على احتياجات الجمهور المستهدف و معرفتها وشكل المنتجات أو الخدمات المفضلة لديه

1- كريمان فريد: المسؤولية الاجتماعية و التسويق الاجتماعي، دار النهضة، القاهرة 2006 ص 08

فتكون الرسائل ترجمة لتلك الاحتياجات و بذلك يقوم على احتياج السوق نفسه فهو وجه آخر للتسويق التجاري[1].

وهنا يكمن الفرق الجوهري بين الاتصال العمومي و التسويق الاجتماعي، حيث أن الاتصال العمومي يستهدف مواضيع قد يظهر أن الجمهور لا يحتاج إليها و لا يهتم بها لكنها أساسية من أجل استمرار المجتمع بسلوكات صحيحة حضارية بل إن دور الاتصال العمومي هو توعية أفراد المجتمع بصفة عامة و الجمهور المستهدف بصفة خاصة بالمواضيع و القضايا الأساسية في حياته بشكل أفضل و صحيح.

قد يستخدم التسويق الاجتماعي كأداة له لترويج فكرة أو قيمة معينة من أجل سلوك معين صحيح، أما التسويق الاجتماعي كعملية اتصالية مستقلة فهو ترويج لمنتج اجتماعي نزولا عند رغبة الجمهور المستهدف و احتياجاته فيكون هذا المنتج الاجتماعي فكرة أو ممارسة تترجم في اتجاه أو فعل فالفكرة الاجتماعية المروج لها قد تكون اتجاها يستهدف تدعيم اتجاه حالي أو تغيير اتجاه موجود كما قد تكون ممارسة تترجم في فعل كالترويج للقيام بفعل واحد لتحقيق النتائج المرجوة مثل كفالة اليتيم مثلا عن طريق تحليل البيئة و استخدام المحفزات.

و بذلك فإن هناك تداخلاً بين الاتصال العمومي و التسويق الاجتماعي يستعمل فيها الاتصال العمومي التسويق الاجتماعي كأداة ليحقق أهدافه عن طريق الحملات الإعلامية التي هي أداة أخرى يستغلها الاتصال العمومي للتأثير على المستهدفين من رسائله[2].

الحملة الإعلامية في إطار الاتصال العمومي:

يعرفها معجم DICOM للاتصال أنها مجموعة الأعمال أو النشاطات المتوافقة و المنسجمة و التي تتداول على فترة محددة حيث توفر المعلومات بشأن

1- المرجع السابق، ص 20

2- كريمان فريد: المسؤولية الاجتماعية و التسويق الاجتماعي، دار النهضة، القاهرة 2006 ص 08

المتغيرات و العوامل المؤثرة في المجتمع و الظروف البيئية السائدة مع دراسة خصائص الجمهور المستهدف[1].

كما تحدد الحملة الإعلامية أهدافها بدقة و هي النتائج النهائية المتوقعة التي يرغب في الوصول غليها و من المهم أن تتسم هذه الأهداف بالمرونة أي قابلية التعديل و الموضوعية أي قابلية التنفيذ، لذلك فإن توفر المعلومات بشأن الجمهور المستهدف و الظروف المحيطة به ضرورية مع دراسة خصائصه البسيكولوجية ومدى اتفاقه مع ما تثيره الحملة من أفكار واتجاهات، ثم القنوات و الوسائل و الرسائل مع تحديد الإطار الزمني للحملة[2].

الحملة على العموم عمل إبداعي فني تستعمل التقنيات الاتصالية بطرق معينة و بجدية لتصل إلى التحفيز و الإقناع[3].

و تعتمد على قواعد و أسس أهمها تلك التي يطلق عليها بقاعدة الوحدات الثلاثة (Les 3T) و هي الموضوع (Le Thème)، الوقت (Le Temps)، الكلية (Le Tout).

الموضوع: يتم معالجته حيث يشترط أن يكون موضوعا واحدا فقط لأن تعدد المواضيع في حملة واحدة يؤدي على تشتت ذهن المتلقي و نقصان فعالية الحملة

الوقت: تتم الحملة في فترة محددة بدقة و على الحملة أن تستثمر في وقت معين معروف و مدروس.

---

1 -West PHALEM ، Marie ، Hélène: Le DICOM ،Le dictionnaire de la communication professionnelle
1992 P 72 ، PARIS ، Ed: Triangle

2- فؤاد عبد المنعم البكري: التسويق الاجتماعي و تخطيط الحملات الإعلامية، م . س . ذ، ص 73

3 -Michel LeNet: La Communication Publique ، op.cit ، p 110

الكلية: يكون الاتصال العمومي فعالا عندما يبذل الجهد الاتصالي في عمل واحد من أجل رسالة واحدة بدل تقسيم الجهد إلى عدة أعمال، فالجهد يجب أن يكون موحداً في عمل واحد لتزيد الفعالية الاتصالية[1].

إن الحملة الإعلامية في إطار الاتصال العمومي هي البحث عن طريقة لإيصال الفكرة إلى المتلقي بأكثر إقناع، فأفضل الحملات هي التي تقدم في محتواها حلول للمشاكل و تقترح ما هو إيجابي بديلا عن السلبي، وتحتوي عل حلول عملية وتظهر كيفية التصرف أثناء حدوث المشكل فالرسالة تقوي الفكر حول موضوع معين في وقت معين وتقدم الحلول ومثال ذلك الحملة التي تتعلق بحوادث المرور وضرورة استخدام حزام الأمان، فلا تكتفي الحملة هنا بأن تذكر أن ترك حزام الأمن خطر بل تستعين في الرسالة بشخص يظهر كيفية استخدام حزام الأمان كنموذج يستعين به الجمهور و يجعل المتلقين يشاركون في العملية و في السلوك حيث تقدم تبريرات و هو أمر مهم مع إظهار الخطر الذي يواجهه الفرد عندما يقوم بالسلوك السلبي .

إذن فمهمة الحملة الإعلامية في الاتصال العمومي هو التجريب و عرض صور تمثيلية أو حقيقية لتقدم البراهين و الأرقام أو المنحنيات، لأن البراهين تكون مرتبطة بالواقع فلا نقول: احذر السرعة بل إن البرهان الأقوى يكون: احذر الخطر إبتداء من 80 كم / سا و هو أكثر تحديدا ووضوحا حيث لا يجب على الحملة أن تتخذ مواضيع عامة لأن ذلك يفقدها فعاليتها، بل موضوعا واحدا ومحددا يكون أكثرفعالية[2].

الإمضاء في الحملة ضروري يدل على صاحب الحملة أو المعلن لأنه مهم في أي حملة إعلامية فكم من حملة فقدت فعاليتها لأن المعلن غير معروف أو منعدم الثقة، فمن يملك المصداقية يمكنه الإمضاء بثقة.

1 -Michel LeNet: L'Etat annonceur ، op.cit ، p 157

Jbid .p 161 -2

الشعار يمثل دورا فعالا في الحملة فهو يشد الفكر و الانتباه، سهل التذكر، يلخص الحملة بدقة، بعبارة قصيرة أو جملة تلخص في كلمات كل مميزات و محتويات الحملة و يتم تكراره على طول مدة الحملة الإعلامية و هذا يكسب قوة أكثر للحملة الإعلامية فمثلا كان شعار حملة ضد التدخين بفرنسا " Prenons la vie à pleins poumons" .

فقد دعا إلى التخلي عن التدخين و خوض الحياة برئتين وخوض الحياة برئتين ملؤهما الهواء النقي و ليس التبغ وما يعكرهما و في مثال آخر " On à pas de pétrole mais on à des idées " .

هو شعار محفز يعكس فكرة عميقة، ليس لدينا بترول لكن لدينا أفكار، فالشعار مهم في الحملة يحفز و يدفع للفعل، لذلك يطلق على الشعار أنه عمل فني ملخص يتطلب بحث و إخراجه يتطلب تطبيق القواعد الأساسية للإقناع فالشعار يتضمن نصيحة و هو دعوة واضحة و صريحة للمتلقي للاستجابة، كما أنه يجب أن يكون قصيرا حتى يكون سهلا للحفظ و الفهم، كما أنه يجب أن يتكرر لكي يتمكن من التواجد في كل مكان مما يسمح له بالانتشار و الاستمرار لمدة طويلة مما يضمن فعالية أكثر للحملة و بالتالي للاتصال العمومي[1].

و على العموم فمادامت الحملة الإعلامية كنشاط اتصالي متكامل يستخدمه التسويق الاجتماعي لترويج فكرة معينة فإن كلاهما (أي التسويق الاجتماعي و الحملة الإعلامية) أداتان بيد الاتصال العمومي قد تستعملهما لتحقيق تأثيرات على الجمهور المستهدف وفقا للأهداف المسطرة و المخطط لها و الموضوع الذي ترتكز عليه.

واذا انطلقنا من مبدأ أن كل اتصال يقع تحت معاني الصالح العام هو اتصال عمومي أو اتصال اجتماعي، المهم مهما اختلفت التسميات هو عبارة عن حق الجمهور في المعلومة و البحث عن الحقيقة و العمل من أجل الانخراط الاجتماعي

---

1 - Michel LeNet: L'Etat annonceur , op.cit , p 161.

والمبادئ المؤدية للمصلحة العامة[1] فإن الدعوة الإسلامية المحمدية لها علاقة وطيدة بهذا النوع من الاتصال حيث لا تعارض بين هذين النوعين من الاتصال اللذان ينصبان في بوتقة واحدة هدفهما الأساسي مصلحة الفرد و المجتمع على حد سواء.

الدعوة الإسلامية:

مفهوم الدعوة: لفترة طويلة كان يتم الخلط بين مفهومي الدعاية و الدعوة، إلا أن الممارسة الفعلية أثبتت التباين الواضح بين المفهومين، فالدعاية في سبيل الوصول إلى أهدافها يمكن أن تلجأ إلى تشويه الحقائق و تزييف الوعي و المعرفة، أما الدعوة فهي تتجه إلى العقل في إعلانها عن المبادئ السامية و التعبير عن العقائد والأفكار و تستهدف الإيمان بها بتقديم الحقائق و الاعتماد على التواصل المنطقي في عرضها و الإقناع بها، لذلك ارتبط مفهوم الدعوة بالحقائق الدينية والأفكار الإصلاحية التي تتجاوز مجرد تغيير الاتجاه على التمسك بهذه الحقائق ودعمها و اعتبارها مرشدا للسلوك الانساني و دليلا لتقويمه[2].

لقد تحققت للإنسانية وسائل عالمية جعلت الناس يسمع بعضهم بعضا و يرى بعضهم بعضا كأنما يعيشون في بيت واحد و لم يعد الإنسان بما وجد من آيات في الأفاق حبيس أرضه أو أسير قومه بل أصبح – بما تحقق له من وسائل – إنسانا عالميا يحتاج في جميع أمره على أسس عالمية للتعامل مع الأجناس المتوعة و الشعوب المتعددة و الألسن المختلفة و المصالح المتداخلة أو المتباينة.

و الدعوة الإسلامية و هي تنتسب إلى الحق وحده دون سواه – لها أعماقها في فطرة الخلق و حقائق الوجود، فليس دخيلة على فطرة الناس أو بعيدة عن شؤونهم فهي ترشد إلى الغاية و تدعو إلى الاستقامة و تعني بكل شأن في كل زمان و مكان وتحفظ النفس من التردي في الباطل في قصد أو قول أو فعل و تعلي من قيمة

1 – Boris Libois: La communication Publique , op.cit , p 33

2- محمد عبد الحميد: نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير، ط 3، عالم الكتب، القاهرة، 2004، ص 54.

الإنسان حيث كان وهي تعلمه أن الأشياء مع عظمها وكبرها خلقت من أجله و سخرت له.

فالدعوة الإسلامية إذن هي دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعا تجددت على يد محمد رسول الله (ص) خاتم النبيين كاملة وافية لصلاح الدنيا و الآخرة و هي تستمد بقاءها من أمرين الأول كونها من رب العالمين و الثاني صلاحيتها لكل زمان و مكان بعد مجيئها على يد خاتم الأنبياء و المرسلين[1].

لقد كانت نبوات الأنبياء الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم محدودة الزمان و المكان وقد بعث الله أكثر من نبي في وقت واحد وهذا تدرج طبيعي للوصول إلى الكمال و طبيعي أيضا أن تستوعب الرسالة الخاتمة أصول الرسالات السابقة و تتحدث عن رجالاتها و تعد الأيمان بهم أصلا في الإيمان بها

وهم جميعا يأخذون من مشكاة واحدة و يدعون إلى إله واحد، فالدعوة الإسلامية هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني و تقرير الحقوق و الواجبات، بل هي دين الله الذي ارتضاه للعالمين تمكينا لخلافتهمو تسييرا لضرورتهم ووفاء بحقوقهم و رعاية لشؤونهم و حماية لوحدتهم و تكريما لإنسانيتهم ، و إشاعة للحق و العدل فيما بينهم، فهي الاعتراف بالخالق والبر بالمخلوق ، و هي دعوة لا تتغير بتغيير الزمان و المكان، وهنا تكمن روعتها وأهميتها[2].

وعليه فإنها دعوة لا تتناقض مع الأهداف الأساسية للاتصال العمومي بل تتقاطع معه في كونها تهدف للمصلحة العامة من حيث أنها أهداف إنسانية بعيدة عن المصلحة الشخصية الضيقة، بل أن الدعوة الإسلامية تتجاوز الاتصال العمومي لأنها أشمل منه من حيث أنها صالحة لكل زمان و مكان ومن حيث كونها دعوة لصيانة الإنسان وتقديس كرامته ودعوة إلى الأخوة الإنسانية العامة بلا تفرقة بسبب الجنس أو اللون أو النسب، دعوة لإقرار الحق و العدل و إشاعة الخير و البر و للنظر

1- محمد الراوي: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ط 1، مكتبة العبيكات، الرياض، 1995، ص 6.

2- محمد الراوي: الدعوة الإسلامية ، م . س . ذ، ص 51

في الكون و الانتفاع بما فيه و الإقرار بموجده، هي أيضا دعوة للسلم في أبر صوره وأكرم سبيل للحب و الإيثار و الشفقة و الرحمة و مكارم الأخلاق، دعوة للتهذيب الفرد و تكافل الجماعة بصفة عامة، دعوة لاتساق الإنسان مع الكون بإرادته وعمله مع اتساقه بفطرته و طبيعته وآيات الله في الكون وفي خلقه تبصره وتهدي وترشد، فالإسلام قد رسم حدودا واضحة للعمل المشروع عبر دعوته، كما وضع منهجا متميزا للمعاملة بين الناس وبين الحلال و الحرام والنافع و الضار وأقام حدوده ومعاملته على رعاية المصلحة العامة ورفع الضرر " **لا ضرر ولا ضرار** " وجعل شؤون الناس كلها تقوم على قواعد الصدق والحق و العدالة و الأمانة كما أقام نظامه كله على أساس الاعتراف بالله و اليوم الآخر و الاستقامة في السلوك[1].

لقد كانت شرائع الدعوة الإسلامية محققة لصيانة النفس و العقل و المال و العرض والنسل و تلك غاية ما ترمي إليه أوفى الشرائع و أبرها بدنيا الناس وقد اختار الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم حتى يكون رسولا و مرسلا لهذه الرسالة المتمثلة في الدعوة الإسلامية للناس كافة.

❖ **الدعوة الإسلامية دعوة إصلاحية:** حيث تحرص على الرقابة الاجتماعية والمعارضة النزيهة بحيث تدعوا الناس بأن يكون بعضهم على بعض رقيبا خاصة العلماء و الحكماء الذين عليهم واجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و بعبارة تلائم روح العصر تدعو إلى تكوين الرأي العام للسهر على احترام الآداب العامة وتنفيذها تأمينا للإصلاح الاجتماعي فأخلاق الدعوة الإسلامية ليست الأخلاق البسيطة و السلبية فقط المقتصرة على كف الأذى و إسعاف الضعفاء ومنح الصدقات، بل الأخلاق القوية الإيجابية.

أيضا فهي تحارب بكل جرأة الظلم و تزهق الباطل و تبحث عن أسباب الفساد و تعالج في مهدها، فكم من مصلح لم يكترث بمقدمات الآفات و الأمراض الاجتماعية و كان اصلاحه سطحياً عقيماً و هذا الإصلاح بعيد عن طبيعة الإسلام

1- المرجع السابق، ص 54.

الذي يعالج الإجرام بروح سيكولوجية تعتمد على مداواة الأسباب القريبة و البعيدة قبل النتائج كما يعالج الفقر بحمل الأغنياء على البذل، والخمر والميسر و الربا بالنهي من الاقتراب من أسبابها غير المباشرة كالقرب منها و النظر إليها ... لكن مصلحي الإسلام و حاملي لواء الدعوة اليوم أبعد الناس عن هذه السيكولوجية الإسلامية بسبب اقتصارهم على المواعظ و النواهي و الأوامر، في حين أن الدعوة الإسلامية لها أدوات بل استراتيجيات تواجه بها مختلف الآفات انطلاقا من إرادة الفرد[1].

إن الإسلام داع إلى إصلاح البشر من جميع أنواع الخلل الموجودة في الحياة وإن اصلاح البشر يؤدي إلى إصلاح العالم، لأن الإنسان هو سلطانه، و إصلاح البشر يحصل بإصلاح أفراده ثم إصلاح مجموعه في حال اجتماعه، فالإصلاح الاجتماعي إذن هو الغرض الأسمى للإسلام، والدعوة الإسلامية في الإصلاح كانت موزعة على طورين، الأول معظمه للإصلاح الفردي (بمكة حيث أقام الرسول قبل الهجرة) و الطور الثاني بعد الهجرة بالمدينة معظمه للإصلاح الاجتماعي[2].

وما إن دخل الإسلام في طوره الثاني من الإصلاح عند الهجرة الا و قد كانت له جماعة صالحة كاملة، لما يناط لها بعهدتها من الإصلاح، بأسلوب قدوتهم و معلمهم، حيث كانت تسود الدعوة إلى الإصلاح السامحة و سهولة المعاملة أي وسطا بين الشدة و التساهل و السماحة تدل على الجود و البذل، أي أن يكون المصلح باذلا في حالات المشادة، فالسماحة من أكبر صفات الإسلام الكائنة وسطا بين إفراط و تفريط " أحب الدين على الله الحنيفة السمحة " ومعنى السماحة هو التيسير المعتدل و اليسر الموصوف به الإسلام، وقد أشار على إتحاد الوصفين أو تلازمهما الإمام البخاري إذ قال " باب الدين يسر " فالسماحة أكمل وصف لاطمئنان النفس و أعون على قبول الهدى و الإرشاد و النصح .

1- محمود مهدي الإستانبولي: عظمة الإسلام ط 2 المكتب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 347.

2- محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، تونس، 2006، ص 20.

للسماحة أثر في سرعة انتشار الشريعة أو القانون أو السلوك وطول دوامه إذ أرانا التاريخ أن سرعة امتثال الأمم للشرائع و دوامهم على إتباعها كان على مقدار اقترابها من السماحة، فالشدة تجعل المستهدفين ينصرفون أو يفرطون في المطلوب منهم[1] لذلك فقد وصلت الأمة فيما مضى إلى مكانة في الخلق و الرخاء وتسابق على تحقيق الخير في شتى الميادين لأن مبعث كل شعور الفرد و الإنسان بأنه يحرز خير لنفسه لما يقدم لغيره من معونة أو عمل صالح طيب، وتلك طبيعة الإسلام التي قام مجتمع مثالي يزخر بالخير و يتفاعل في التسابق عليه مستضلا بقانون الحق في ساحة العدل، حيث أساس الإصلاح الاجتماعي الموعظة الحسنة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و إماطة الأذى عن طريق الناس و إعانة من يحتاج و الإصلاح بين المتخاصمين و التقريب بين المتباعدين و إمداد المجتمع بالنسل الصالح و عمل كل خير فيه مصلحة للعامة و للأمة.

و في هذا الإطار لا تقنع الدعوة الإسلامية بتقديم النصيحة و بيان السبل بل تعمد إلى الوسائل العملية لصيانة هذا التكافل ورعاية الغير وتحيق البر ومعاقبة كل عابث لا يأبه بما ينجر من عواقب على المجتمع جراء عبثه و عدم مسؤوليته[2].

لأن البناء واحد والطينة واحدة والمصير مشترك وليس من حق أي أحد أبدا كان يهدم البناء و هو عمق فريد في التكافل بل في الوقاية و رعاية الناس و سلامتهم، لا يمكن للإنسانية أن ترى أقوم و لا أكرم ولا ابر و لا أرحم لشأنها من هذا التوجيه النبوي الكريم الذي يصون و يرعى وحدتها و يحقق تكافلها و تماسكها و قيامها على حسن التقدير و التدبير إن التكافل في الإسلام حياة عاملة و فطرة حية لأنه يتصل بمصدر الحياة و خالق الكون يتصل بالإيمان بالله و الثقة به و التقرب اليه و ما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع و انفصل[3]. فأين هي النظريات الحديثة للاتصال العمومي التي تنادي بالمصلحة العامة من هذا العمق في تربية النفس البشرية لتخدم الإنسانية جمعاء .

1- المرجع السابق. ص 20.

2- محمد الراوي: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، م . س . ذ، ص 410

3- المرجع السابق، ص 43

الفصل الثالث

أبعاد الاتصال العمومي وعلاقتها باستراتيجية الدعوة المحمدية

يمثـل الاتـصال مفهومـاً أساسـياً في الفكـر الاجتمـاعي و في حياتنـا المعاصـرة فهـو بمثابـة الميكـانيزم الـذي يـسمح باسـتمرار الحيـاة و العلاقـات الاجتماعية وفق معايير معينـة لما يتميـز بـه مـن مقـدرة تعبيرية على نقل وتوصيل الأفكـار للآخـرين و اسـتمرارية التـأثير وتجـاوز عنـصر الـزمن و عامـل المكـان و السرعة و القدرة على الانتشار و الوصول إلى أفراد المجتمع كافة، أي انه يعطـي المجتمـع القـدرة على الانتظـام و فـق قـيم معينـة، لـذلك تحـاول البحـوث المعاصـرة تأكيد مشروعية هذا العلم لما يتضمنه مـن أهـداف نبيلـة غايتهـا المـصلحة العامـة مـع مراعـاة بعـض الجوانـب والاعتبـارات المـستمدة مـن علـم الاجتمـاع، الاقتصـاد، التربيـة، السياسـة[1].

نظرا لشساعة و رحابة مجال هذا النوع مـن الاتـصال الـذي يمـس كافـة حياة الإنسان فالحياة الاجتماعية كلها مجال للاتـصال العمـومي حيـث المـشاكل و الآفـات ذات الأبعـاد المختلفـة اجتماعيـة كانـت أو صـحية أو اقتـصادية أو سياسية، فكلها تمثل أبعاداً مختلفة و متنوعة للاتصال العمومي.

وتعتـبر الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أول الـدول الـتي اهتمـت بأبحـاث الاتـصال وأخـذت دول العـالم عنهـا معظـم نظريـات الاتـصال، كمـا نقـل العـالم العربـي الكـثير مـن نمـاذج الاتـصال ونظرياتـه الغربيـة الأمريكيـة ومـازال يفتقـر حتـى الآن إلى نظريـة عربيـة خالـصة في الاتـصال كمـا أن هنـاك ميـادين كـثيرة للاتـصال لم يتطـرق إليهـا البـاحثون العـرب في هـذا المجـال وميـادين أخـرى تحتـاج إلى مزيد من البحـث والدراسـة، و كـثير مـن الدراسـات العربيـة في مجـال الاتـصال تعـالج مـشكلات فرعيـة بغـير تعمـق بالإضـافة إلى تأثرهـا بالتيـار الغربـي دون

1- حميد جاعد محسن الدليمي: علم اجتماع الإعلام، رؤية سوسيولوجية مستقبلية، دار الشروق عمان، 2006، ص 45.

مراعاة لطبيعة مجتمعاتنا العربية الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و حتى الثقافية فأسندت جميع أصول العلوم إلى أوربا أو أمريكا وطبقت نماذج، دون مراعاة الخصوصية العربية تطبيقا أعمى، فنحن لا ننكر اجتهاد الغرب في مجال بحوث الاتصال، لكن لا يمكن أن ننكر أيضا أصول هذه العلوم و بدايات الاهتمام بها بل وحتى ممارستها[1].

إن الاتكال على نظريات الغير وما يؤلفه أساتذة الغرب جعل علومنا تبقى جامدة دون دراسة و بحث، بل وجعل غيرنا يبحث فيها خاصة في مجال الاتصال العمومي، الذي تجمع أغلب المراجع على أنه علم حديث، فكنظرية، هو فعلا حديث، لكن كممارسة سيحاول البحث أن يبين أقدميته، حيث مارسه معلم البشرية محمد صلى الله عليه و سلم بكل أبعاده، فإذا كان الاتصال العمومي يعرف بأنه كل اتصال يهدف للمصلحة العامة بأبعاده المتعددة و المختلفة، كالاتصال الصحي، البيئي ومحاربة مختلف الآفات (كآفة المخدرات والسيدا و الكحول .... وكل ما يمكن أن يمس مصلحة المجتمع فإن ما تقوم به الجماعات المحلية، كالبلديات أو المجالس العامة و الجهوية في سعيها لترقية المشاريع ومحاولة خلق الشعور بالهوية أو الانتماء القومي يدخل أيضا في إطار الاتصال العمومي، فكل القطاعات، ثقافية كانت أو نقابية أو دينية، مرورا بالجمعيات الإنسانية، إذا مارست اتصالا بهدف المصلحة العامة، فذلك يدخل في حيز الاتصال العمومي الذي أصبح اليوم يمس كل مجالات الحياة نظرا لانتشار الآفات بما في ذلك المجاعات و الحروب التي يعرفها العالم اليوم[2].

1- محمود حسن إسماعيل: مبادئ علم الاتصال و نظريات التأثير، مكتبة الدار العالمية، القاهرة، 1998، ص 34

2 -Clande Jean Bertrand: Medias 2em edition , Ellipses , Paris , 1999 , p 23

و إذا كان الأمر كذلك في النظريات الغربية فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد دعا إلى ذلك في جملة واحدة « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » وبين الاسلوب في ذلك بقوله « الدين النصيحة » وهو ما يسمى اليوم شعارا - في إطار الاتصال العمومي حيث النصيحة تتضمن في الشعار، كما بين وتميز رسالة الإسلام التي جاء به في قوله « الايمان تسع وتسعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »[1].

البعد الاجتماعي:

يرتبط الاتصال العمومي ارتباطا وثيقا بالقضايا و المشكلات الاجتماعية بحيث أصبح من الضروري أن تتم دراية الاتصال العمومي في الإطار الاجتماعي الواسع لما له من تأثير اجتماعي قوي، وللدور الحاسم الذي قوم به في عملية التغيير الاجتماعي إلى درجة دفعت الكثير من الباحثين الى التأكيد على أن كل تحليل للتغير الاجتماعي لابد أن يركز على مبادئ وميكانيزمات الاتصال العمومي[2].

حيث يركز هذا الأخير على تعديل السلوك أو تغييره انطلاقا من الفهم الكامل للقوى النفسية الضرورية التي تقود السلوك الإنساني بدراسة تكوينه النفسي والاجتماعي والحضاري في محاولة لتدعيم الأفكار والاتجاهات أو تغييرها لإحداث التغيير المستهدف في الجمهور المستهدف و الذي يبدأ من التنشئة الاجتماعية التي تعتبر الوسيلة التي يتحقق بها ربط الفرد منذ صغره بمجتمعه عن طريق تعليمه كل القيم و الرموز والمعايير الاجتماعية و إدماجه في جماعته سواء كانت عائلة أو أصدقاء أو وطن[3]. و الاتصال العمومي هو الكفيل بذلك عندما يدعو إلى خلق الجو الحضاري الملائم للتقدم والنهضة بإشراك الفرد منذ الصغر في أهدافه لإرساء

1- محمد علي أبو جادو: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، مرجع سبق ذكره ، ص 15.

2- محمد سيد فهمي: فن الاتصال في الخدمة الاجتماعية، دار الوفاء الإسكندرية، 2006، ص 123.

3- محمد سيد فهمي: فن الاتصال في الخدمة الاجتماعية، م، س، ذ، ص 123.

التغيير الاجتماعي والتحديث الذي ينشده الاتصال العمومي الهادف نحو المصلحة العامة.

فالتغيير الاجتماعي يهدف لتغيير المجتمع و تحديثه و تحقيق التحضر، بنشر المعرفة و تنمية القوانين والقواعد الجديدة الملائمة من أجل الوصول إلى حالة مثالية في المجتمع وهي مهمة صعبة تقع على عاتق القائم بالاتصال وقدرته على صياغة رسالة مقنعة بضرورة التغيير من أجل حياة اجتماعية أفضل تبدأ بالتنشئة الاجتماعية مرورا بالتغيير الاجتماعي وصولا للسلوكات الحضارية المطلوبة.

فالمجتمع عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون معا بتعاون و تضامن ويرتبطون بتراث ثقافي أو معتقد معين و لديهم الإحساس بالانتماء لبعضهم غير أن إدراك دور التنشئة الاجتماعية في تشكيل شخصية الفرد يحتاج لكثير من البحث والدراسة، فهي وسيلة لاستقرار المجتمع تؤدي إلى استمرار قيمه و نظمه وبقاء معاييره و ثقافته و هي أيضا وسيلة لإصلاح المجتمع وتحسينه و تطويره، فليس هناك إصلاح حقيقي للمجتمع إلا إذا قام على أساس تنشئة الأجيال .

و للمجتمع أهمية كبرى في ذلك و الاتصال العمومي من بين ما توفره البيئة الاجتماعية التي تدعو كل جماعة مستقرة في محيط اجتماعي لتبني مجموعة من المواقف و السلوكيات الملائمة وللتنشئة الاجتماعية دور مهم في مجال الاتصال العمومي إذ تعد أفراد المجتمع منذ الصغر لتقبل وتبني المعايير و القيم و المواقف و السلوكات الصحيحة، فهي مهمة في تكوين شخصية أفراد المجتمع إذ تكسبهم الصفات الإنسانية من خلال التفاعل مع البيئة المحيطة وتكسبهم السلوك الاجتماعي من خلال التعامل مع هذه البيئة[1].

التعامل مع البيئة ينمي في الأطفال الصفات الإنسانية التي تميزهم عن سائر الكائنات الأخرى و تسمو بحاجتهم الإنسانية و ذلك بضبط الانفعالات و التحكم في إشباع الحاجات و التنشئة الاجتماعية هي التي تخفف من تلك الضغوط الواقعة

1- بلقيس إسماعيل دغستاني: التربية الدينية الاجتماعية للأطفال، ط 2، مكتبة العبيكات، الرياض، 2005 ، ص 95

على الفرد للتوفيق بين الدوافع البيولوجية الفردية و بين مطالب المجتمع بهدف تحقيق الضبط الاجتماعي، تعلم الأدوار الاجتماعية، تحقيق التكيف الاجتماعي ونقل التراث الثقافي[1]. [1]

و الدعوة الإسلامية المحمدية بدورها تركز على هذا البعد الاجتماعي من خلال الدعوة إلى صلاح الفرد و الجماعة، فالإسلام إعلان صحيح للرأي القائل بأن الإنسان اجتماعي بالطبع لذلك حض على الاجتماع و التكتل و شجع على الإتحاد و الدخول في الجماعة الواعية أو ما يسمى بالإرادة العامة، حيث أفضل الأعمال بعد الإيمان، التودد إلى الناس و تشجيع الأفراد على الامتزاج و التآلف و التحابب ، فالمؤمن يألف و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف، فهي دعوة للتعاون و التناصح و التعاون على الخير و الكسب و الانتصار على الظالمين، و هي انعتاق من الأنانية والخيانة بل دعوة إلى الأمانة و الإخلاص بين الناس و أن يرضى لهم ما يرضى لنفسه .

علاقته بالدعوة:

دعوة الإسلام دعوة توجيه نحو التضامن الاجتماعي بالدرجة الأولى ودعوة ملحة لتكوين أمة متساندة متعاونة و قد أوضح أن الناس مسؤولون عن بعضهم البعض وكل شر يصيب الفرد أو يصدر منه ينتقل إلى الجماعة التي لا سلامة لها و لا طمأنينة إلا بسلامة الجميع[2].

فالدعوة الإسلامية لا تتعارض مع البعد الاجتماعي للاتصال العمومي بل يتكاملان ان لم نقل تتجاوزه في بعض النقاط، فهي نداء حار لاحترام الجماعة وإطاعة نظمها العادلة للتوفيق بين صالح الفرد و صالح المجتمع، فإذا تعارض صالحهما قدم ما كان عاما، كما يقدم دفع المفسدة على جلب المنفعة، فهي حرب على الإتكالية و الجبرية، فلا إصلاح فيها دون وعي و تغيير و سعي وتهديد للمفسدين و المهملين، فالمصلحة العامة رائد الجميع و أمام الحق يخضع المفسدون

1- بلقيس اسماعيل داغستاني: التربية الدينية و الاجتماعية للأطفال، م، س، ذ، ص 303

2- محمود مهدي الأسطنبولي : عظمة الإسلام، م، س، ذ، ص 100

الذين يعبثون بسلامة الجماعة و حريتها، بتطبيق أقصى العقوبات عليهم، فهي ثورة تهذيب للتقاليد الجماعية و العادات الرتيبة لهدم الضار منها و التمسك بما هو صالح لكل الجماعة[1].

التغيير وضبط الحركة البشرية

إن نزوع الإنسان على الحركة لتغيير الواقع و تطويره حقيقة ثابتة منبثقة أولا من الطبيعة الكونية الممثلة في حركة المادة الكونية ومنبثقة من فطرة هذا الإنسان وهي مقتضى وظيفيته في خلافة الأرض فهذه الخلافة تقتضي الحركة لتطوير الواقع وترقيته.

أما أشكال هذه الحركة فتتنوع وتتغير وتتطور بل إن ضرورة من ضروريات صيانة النفس البشرية و الحياة البشرية أن تتحرك داخل إطار ثابت وأن تدور حول محور لا يدور يتمثل في أحكام دين الإسلام التي تتميز بالثبات والمرونة في آن واحد، يتجلى هذا الثبات في المصادر الأصلية النصية القطيعة للتشريع من كتاب الله تعالى وسنة رسوله و تتجلى المرونة في المصادر الاجتهادية التي اختلف فقهاء الأمة في مدى الاحتجاج ما بين موسع ومضيق ومقل ومكثر، غير أن هناك أحكاما لا تتغير لا حسب الزمان و لا حسب المكان ولا اجتهاد الأمة كوجوب الواجبات و تحريم المحرمات و الحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، فهذا لا يتطرق إليه تغيير و لا اجتهاد يخالف ما وضع عليه، و هناك نوع آخر من الأحكام يتغير بحسب اقتصاد المصلحة له زمانا و مكانا وحالا[2].

الانسان يحكم الحياة و ليس الحياة من تحكمه، يخضعها لمثله ومبادئه وليست الحياة من تخضعه لواقعها وهبوطها، فيحفظ بذلك للمجتمع توازنه بين الثبات و التطور، فبدون هذا التوازن المستند على العقيدة والفضيلة و التشريع لا وجود لأي قيمة من القيم العليا بل يؤدي عكس ذلك إلى اضطراب الحياة كلها من

1- المرجع السابق، ص 324

2- سعد المعرفي: خصائص ثقافة الأمة الوسط، ط 1، مكتبة إبن كثير، الكويت، 2008، ص 42

قلق نفسي وتحلل خلقي و تفكك اجتماعي، و ما حصل في عصور الانحطاط و الشرود عن هدي الإسلام الصحيح ما هو إلا نتيجة لفقدان هذا التوازن وتجميد التغيير و التطور بتوقف الاجتهاد في الفقه و الإبداع في العلم و الأصالة في الأدب و الابتكار في الصناعة[1].

أهمية الأخلاق كأساس للسلوك الاجتماعي اللائق:

على العموم فان علاقة البعد الاجتماعي للاتصال العمومي بالدعوة الإسلامية واضحة من خلال أهداف هذه الأخيرة التي يظهر فيها البعد الاجتماعي من خلال أهدافها التي تكفل للناس جميعا الرقي و الصلاح و السعادة (وليس للمجتمع فقط) هذه الأهداف تتلخص في كلمات ثلاث: الحق و الخير و الجمال وهي خلاصة الرسالة الإسلامية التي أساسها الأخلاق، و الأخلاق كعادات صالحة و نافعة ومستمدة من العاطفة هي نتاج قوة العزيمة و الصلابة و التفكير و العقل و هي تؤدي إلى الوظائف التالية:

- تجعل سلوك الفرد متصفا بالثبات و التماسك و التوافق.
- يمكن التنبؤ بتصرف الشخص و سلوكه في المواقف المختلفة.
- تجعل الفرد يتجه بانتظام و استمرار نحو غايته العظمى و يثابر لتحقيقها.
- يمكنه اختيار المسلك الصحيح المستقيم في أي موقف من المواقف مهما كان الاختيار صعبا، فالأخلاق تعطي قوة في الإرادة و العزيمة[2].

فالأخلاق نظام معقد للغاية تدخل فيه مركبات متعددة كالغرائز و العادات و العواطف و تفاعل عوامل كثيرة في الحياة يكون الدين على رأسها، و الأخلاق الإسلامية منبعثة عن العقيدة الإسلامية التي تحدد الفرد المسلم السلوك الأخلاقي و القيم الاجتماعية و السلوكات الصحيحة، فالأخلاق لا تمليها المصلحة أو تسيرها المنفعة متى انتهت المنفعة أو المصلحة انتهت الأخلاق، إنما الأخلاق الإسلامية ثابتة و

1- المرجع السابق، ص 46

2- بلقيس اسماعيل داغستاني: التربية الدينية و الاجتماعية للأطفال، م، س، ذ، ص 12

القيم الإسلامية لا تتغير لأن الأوامر و النواهي يتلقاها الفرد المسلم من الله و عندما خاطب الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه و سلم وصفه بأنه ذو خلق عظيم وهو توضيح لجوهر الدعوة الإسلامية أي أن الرسول بعث مؤدبا و متمما لمكارم الأخلاق بل جعل المتخلقين بالأخلاق الفضلة أحب الناس إليه و أقربهم منه درجة، لذلك فدعامة الدعوة الإسلامية الأولى بل الدين الإسلامي كله الأخلاق الحسنة[1].

إن القرآن و السنة بينا جملة الأخلاق الصالحة و الآداب الحميدة بصورة واضحة لا غموض فيها ليكون المجتمع مجتمع متماسك، يحافظ على شخصيته المتميزة، فالدعوة الإسلامية تدعو على الصدق، البر، العدل، معرفة الواجب، أداء الحق، الحلم، الحياء، الصبر، الشجاعة، العزة، التواضع الرحمة والشفقة، الوفاء، العفة، صلة الرحم، رعاية حق الجوار، صون اللسان، عمل المعروف، عيادة المريض، إغاثة الملهوف، رعاية الفقراء، ...، وهي كلها مقومات أخلاقية بمفهومها الإسلامي التي أوجب الدين العمل بها، أما ما يتعارض مع الأخلاق الإسلامية فقد أمر الدين بالابتعاد عنها لأنها تهدم جوانب الأخلاق لدى الإنسان، منها الكذب، شرب الخمر، الحسد، الزنا، الربا، الظلم، شهادة الزور، الإفساد في الأرض ،.... فالخلق حال أو أهيئة للنفس تصدر عنها الأفعال بلا تدبير، فالإحسان ميل نفسي يحمل صاحبه على البذل و العطاء في جميع الظروف بغير تفكير[2].

إن الأخلاق تجعل من الفرد على استعداد للإتيان بأحسن الأفعال و في نفس الوقت كارها لأخرى، فالخلق باطني في الإنسان يترجمه السلوك و الناظر إلى الإنسان لا يرى الأخلاق و إنما يشاهد العمل أو الفعل فالأخلاق هي السبب و السلوك هو النتيجة، و التربية تكون ناقصة إذا أهملت الأخلاق، فالأخلاق أساس كل تربية، فهي تهذيب، لذلك فإن الدعوة الإسلامية تربية دينية تعني بتنمية الشخصية القوية المفكرة الصالحة الواعية التي تعمل من أجل دينها وتزويد الناس بالمعارف و

1- المرجع السابق، ص 14

2- بلقيس اسماعيل داغستاني: التربية الدينية و الاجتماعية للأطفال، م، س، ذ، ص 16

العلوم الدينية و الدنيوية من أجل خير الإنسان في الدنيا و الآخرة، فالحاجة الأصلية في النفس البشرية إلى العقيدة الدينية مهمة لأن الإيمان لازم في حياة الإنسان ومصدر من مصادر القوة و الاطمئنان وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية و الفلسفية والأنثروبولوجية حيث ما تشكو منه الحضارات المعاصرة من آفات ناتجة عن ضعف التمسك بالقيم الدينية وبفضائل الأخلاق و الاتجاه إلى التبذل و التحلل و الانغماس في الشهوات و الفساد يصدر في أغلب الأحوال عن ضعف في العقيدة الدينية و نقص النوازع إلى الإيمان لذلك فالتربية الدينية منذ الصغر تغرس مكارم الأخلاق، فالتربية عملية أخلاقية تحتاج إلى وقت ليتمكن الفرد من اكتساب أنماط السلوك الصحيح على أساسها[1].

لذلك فإن دعوة الإسلام حق و الحق لا يتأثر بالعاطفة و الهوى بل عليه تقوم حياة الأمم و ليس المجتمع فقط وقد عني الإسلام بالحق و أوضح سبله فأعلن أن الله حق و كتابه حق وأن الحق هو الذي ينفع الناس.

أما الخير فهو دليل الناس فلا فائدة في علم أو عمل أو سياسة لا تتحلى بالإخلاص و الصلاح و الأمانة و كل ذلك هو الخير وما تدعو إليه رسالة الإسلام في جميع و مختلف المناسبات، ويبقى الجمال الذي خصته دعوة الإسلام بأعظم نصيب وحثته عليه بأن يتجلى الخير و الحق فيه، فالتشريع الإسلامي دعا إلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن و أمر بالإحسان إلى الفقراء ونهى عن المن و الأذى و حض على النهي عن المنكر بالمعروف وخير قدوة في ذلك محمد صلى الله عليه و سلم الذي حققها – كقائم بالاتصال – بأسلوب موفق ونموذجي لأي قائم بالاتصال[2].

لقد تجاوزت أهداف الدعوة الإسلامية – اجتماعيا – الجمهور المستهدف من مجرد كونه مجتمعا فقط بل خاطبت الناس أجمعين، فتجاوزت بذلك حدود الزمان و المكان بل إن القيم التي دعت وتدعو لها لا تزال صالحة و ستبقى كذلك في كل

1- المرجع السابق، ص 75

2- محمود مهدي الاستانبولي : عظمة الإسلام .م، س، ذ ، ص 330.

زمان و مكان فهي دعوة تلح على التضامن الاجتماعي و سلوك و آداب اللباقة وإتباع طائفة من الواجبات مع مختلف الأشخاص لتوطيد أواصر المحبة و اتحاد الجماعة حتى تكون كالجسد الواحد حرصا على الإصلاح و سلامة المجتمع بل الأمة بأكملها.

أهمية الوازع النفسي: تجدر الإشارة إلى أن إصلاح المجتمع أو الأمة من إصلاح الفرد و إصلاح الفرد لا يكون إلا بإصلاح عقله، لذلك فإصلاح عقل الإنسان هو أساس إصلاح جميع خصاله ثم إصلاح أعماله و على هذا الإصلاحين (العقل والأعمال) مدار قوانين المجتمع الإسلامي.

إن العقيدة هي أساس التفكير، فإذا ربي العقل على صحة الاعتقاد تنزه عن مخاطر الأوهام فعرف الحقائق و المدركات الصحيحة وتهيأ لقبول التعليم الصالحة و العمل الحق و الأمة التي تنشأ على هذه الأصول تنشأ لا محالة على عزة النفس و قوة الإرادة فمن صحت عقيدته صح تفكيره في كل نواحي الحياة العقلية و العلمية شرط أن لا يشوبها الخطأ في الفهم و عليه فإن صح التفكير صلح العمل مع وجود الوازع النفسي[1].

إن الوازع النفسي يمنع السلوك من الانحراف عنها اكتسبته من الصلاح حتى يصير تخلفه بذلك دائما وشبيها بالاختياري و ضعف الوازع النفسي في المسلمين اليوم و تحريفهم حقيقته سبب انحطاطهم، لكن الإسلام فتح باب تجديد هذا الوازع بالتربية، فالوازع النفسي مهم لما له من آثار في الإصلاح الفردي و الجماعي، فعندما يتأصل هذا الوازع يمكننا الاستغناء عن الجبر، فتاريخ السيرة النبوية لم يحفظ لنا احتياج الرسول صلى الله عليه و سلم إلى إقامة أوامر الإسلام بين أتباعه بالقوة والسلطان بل دام المسلمون زمان إقامتهم بمكة لا وازع يزعهم عن تجاوز حدود الله و الشريعة غير وازعهم النفسي الناشئ عن كمال الإيمان، بل حتى الجاني كان يجيء للرسول صلى الله عليه وسلم بدافع الوازع النفساني ليقر بجنايته ويسأله إقامة الحد عليه، و لم يكن الرسول يحتاج إلى التنفيذ بالقوة في صور نادرة .

1- محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار سحنون، تونس 2006 ، ص 82

ولما استقر أمر الإسلام اندفع القرآن في التشريعات العامة التي تضمنتها سورة المائدة و النور والنساء و البقرة و أمثالها و كان المسلمون يعملون بما جاء في الشريعة من تلقاء أنفسهم ويتحاكمون فيما أشكل من الحقوق إلى رسول الله فينصرفون عن رضا بما حكم، فلم تحتاج الشريعة على إيجاد شرطة ولا قضاة آنذاك، بل قرر ذلك الوازع النفسي الذي هو وازع التقوى في العمل بما جاءت به الدعوة الإسلامية وبوازع نفسي آخر نابع من الأول وهو إعلان وجوب الرضا بما يحكم به الرسول صلى الله عليه و سلم وهو تعزيز للوازع النفسي الفردي بإيجاد وازع نفسي في الشؤون الاجتماعية وكلاهما نفسي[1].

لقد أثبت الواقع و التاريخ أن الإسلام عظيم في وعيه فقد دعا أتباعه إلى مساعدة من يرونه يحسن على الهيئة الاجتماعية بمشروع أو تأليف أو أي عمل كان، لأن الأعمال العظيمة لا تقوم على مجهود الأفراد مهما كانت قوتهم، فالدعوة الإسلامية تحتم على المسلمين مد يد المعونة لمن يقومون بمشروعات نافعة، منتجة ولو من غير تكليف، لكن ما أبعد المسلمين اليوم عن هذا المبدأ العظيم فهم لا يعبأون بالمصلحين و لا يساعدونهم و ربما عاكسوهم و ثبطوا هممهم حتى تفشل إصلاحاتهم و تحرم الأمة خيرها[2].

من الأمور الأساسية لخير الإنسان و سعادته وشحن مواهبه و بعث استعداده ليأتي بأفضل ما أودع الله فيه هو تحبيب الجمال إليه، بل جعله جزءا منه بل جعله هو الحياة ثم صياغة التربية في المنزل و المدرسة و الشارع و في ميادين البيئة بهذا التحبيب و بهذا الجمال (الجمال في كل شيء، فالقوة جمال، و العدل جمال وحسن المظهر والعلم والشجاعة وكل ما هو متناسق ومنسجم عكسه القبح و الدمامة) [1]

إن للدعوة الإسلامية مقصد هام هو المقصد الخلقي الاجتماعي أي القدرة على تنظيم التجمع البشري واستمرار تواصله بما يحفظ لأفراده الحرية من جهة

1- محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام .م، س، ذ ، ص 84

2- محمود مهدي الاستانبولي : عظمة الإسلام ، م، س، ذ ، ص 329

وللمجتمع سلامة المسيرة من جهة أخرى ومزيدا من الحرية والتوعية المنظمة القائمة على التوجيه الإلهي ، فالتكفل الاجتماعي في الإسلام يظهر الناس على أنهم محتاجون لبعضهم في كل شؤون الحياة فهم في مجموعهم يؤلفون قوة متماسكة لا تبدو في تماسكها واكتمالها إلا بقوة كل فرد من أفرادها وسعادته، كالجيش لا تتم له القوة الكاملة إلا إذا تمتع كل فرد فيه بقواه الجسمية و المعنوية، وبمقدار ما تتوفر السعادة لكل فرد فيه يعتبر المجتمع سعيدا[1].

وقد فطن العالم في عصره الحديث إلى هذه الحقيقة وبدأ ينادي بالتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع لكنه قصر مفهوم التكافل الاجتماعي على تحقيق المطالب المعاشية للفئات المحرومة من الغذاء والكساء و السكن و الصحة .... أما الإسلام فقد فطن إلى هذه الحقيقة منذ 14 قرنا بعد أن قرر أن حق التملك و التي لا تتم كرامة الإنسان بفقدان واحد منها، نظرا إلى الذين تحول ظروف الحياة بينهم و بين تمتعهم بها فاعتبر المجتمع هو المسؤول عن تحقيقها لهم، ومن هنا انبثقت فكرة التكامل الاجتماعي في الإسلام، و هو حين ينادي بها لا يجعلها قاصرة على المطالب الغذائية أو السكنية أو الكسائية، بل يجعله شاملا لكل نواحي الحياة المادية و المعنوية، فاهتمام الدعوة الإسلامية بالعلاقات الاجتماعية تتسع ابتداءً من نقطة الارتكاز و هي النفس البشرية وانتهاء وانتهاءً بالمحيط الإنساني الذي يشمل كل بني الإنسان فحدد منهجها متكاملا للتعامل الأخلاقي لكل فئات المجتمع من المقربين على الأبعد وصولا إلى المحاربين و الأعداء[2].

الخصوصية الاجتماعية في الإسلام :

العلاقات الاجتماعية في الإسلام لها قواعد ثابتة تتبع و تتصل بعقيدة ثابتة ربانية تحمل صفات الرحمة و الصدق و العدل و الإخلاص و الأمانة و هذه هي الخصوصية الاجتماعية في الدعوة الإسلامية و التي لا نجدها في نظريات أخرى

1- عزمي طه السيد: الثقافة الإسلامية، الشركة العربية المتحدة، القاهرة، 2008، ص 165

2- المرجع السابق، ص 165

اجتماعية، إذ تفصل العبادة عن العلاقات الاجتماعية بالتالي ليست لها قواعد ثابتة ولا مرجعية صادقة، فالدعوة الإسلامية بشريعتها و عقيدتها و أخلاقها أقامت نظاما من العلاقات الاجتماعية على أسس واضحة صالحة لكل زمان و مكان لم تجد لها مثيلا في كل القوانين الوضعية و الأعراف الدولية لذا كتب لها الخلود و الثبات، ومازالت نموذج فريداً للحضارة فالإنسان حيث يعرف أن الحياة الدنيا ليست نهاية الأحداث تعتدل حياته و يستقيم أمره ولا يدركه اليأس، حين يرى بعض الانحرافات البشرية بل يحاول التصحيح و الإصلاح و يعمل حساب لقاء ربه بعدم الانحراف من خلال التطبيق الرباني الملائم لفطرة الإنسان بالحياة الطيبة و الأمن و الاستقرار والتكافل الاجتماعي و التعاون و العدل و الحق بين البشر و تطهير المجتمع من مظاهر الانحراف المختلفة فمن اخص خصائص الإسلام أنه دين التكافل و التعاون على البر و التقوى لأنه دين الأخوة و المساواة و لا معنى لهما بغير التكافل الذي يعبر عن وحدة الأمة ويؤكد أنها كالبنيان المرصوص، فالتكافل و التعاون ليس مقصورا على الجانب المادي وليس تفضلا وإحسانا بل هو حق واجب وفريضة مشروعة يشمل القيم و المشاعر و المودة بين أفراد المجتمع و المعاملة الحسنة فهو شامل في كل صوره و أشكاله، فهو التكافل بين الفرد و ذاته (الشهوة) و بين الفرد وأسرته (النفقة) و بين الفرد و الجماعة (المسؤولية الاجتماعية) و بين الأمة والأمم (فقراء الأمة) وبين الجيل و الأجيال المتعاقبة (الميراث) فالتكافل بين الفرد وذاته هو أساس التكافل الاجتماعي، فكف النفس عن شهواتها هو طريق الصلاح[1].

الواقع الاجتماعي المسلمي اليوم: رغم توفر الضوابط الاجتماعية للمجتمع المسلم فإن مجتمعات المسلمين خرجت عليها حتى وصلت إلى ما و صلت إليه اليوم من ضياع و تحلل وتخلف وهزيمة و هوان مما يدعو إلى ضرورة المبادرة بإصلاح اجتماعي عاجل يعيد لأمة الإسلام التزامها الديني و دورها الرائد على مستوى العالم من جديد

1- عزمي طه السيد: الثقافة الإسلامية م، س، ذ ، ص 166

وبداية الإصلاح تكون من حسن التشخيص لأسباب التفكك الاجتماعي و التحلل الديني الذي تعاني منه الأمة حاضرا و الذي يمكن إنجازه في النقاط التالية الذكر[1].

- إغراق قيادات الأمة السياسية و الاقتصادية في الترف المخل رغم تحذير الله و رسوله من ذلك.
- كثرة الفتن بسبب الترف وتوقف الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وعموم الفساد.
- ومع غياب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر انتشرت الفتن وعم الفساد وكثرت الخلافات و المنازعات وتفرقت كلمة الأمة و انفرط عقدها ومع فرقة كلمتهم طمع في بلادهم فاحتلت غالبيتها و أقصي الإسلام عن مقامات اتخاذ القرارات وفرض على المسلمين نمطا متغربا من الحكام عمدوا الى تغريبهم عن دينهم حتى لم يبق من الإسلام إلا اسمه و مع دعم أعداء الإسلام للحكام في ديار المسلمين، غربت العقيدة و العبادات و الأخلاق و المعاملات وتمت المفاصلة بين العبادة و السلوك، وانتشر سوء الفهم وسوء التطبيق وأسيئ للإسلام إساءة بالغة، فحكمت البلاد بنظم وضيعة قهرية جبرية، ظالمة أشاعت الفساد في البلاد و العباد، فتغرب التعليم والعلام وتخلف البحث العلمي و التقني و غرق الاقتصاد في الربا وتخلفت أساليب الإدارة وانحلت المجتمعات انحلالا مدمرا و أترفت الجيوش ترفا مفسدا ونسي أغلب المسلمين كتاب الله و سنة رسوله و أهملوا لغة قرآنهم و كثرت المواقع التي تعلن إلحادها و تطاولها على الإسلام دينا وكتابا ونبيا و سنة وحضارة إنسانية، والحكم بغير ما أنزل الله لا يخدم إلا الطبقة الحاكمة التي تسن القوانين التي تحمي مصالحها فقط وتعيينها على توريث حكمها إلى أن ينقلب الجيش أو تقبض أرواحهم[2].

1- زغلول النجار: رسالتي إلى الأمة ، م، س، ذ ، ص 446.

2- المصدر السابق ، ص 450.

- و بعد هذا الوهن و الفصل بين العبادة و السلوك تكون كلها شواهد على ضياع الدين و الأمانة وتولي الأمور لغير أهلها وتفشي خراب الذمم وانتشار الربا و الغش وتطفيف الكيل و الميزان و الرشاوى و المحسوبية وشيوع الإدمان و الجريمة وتفكك الأسرة و انحطاط السلوكيات وانتشار الأمراض و الأوبئة حتى التي لم تكن معروفة من قبل و نسيان الموت و كل ذلك يحذرنا منه الرسول قبل ألف وأربعمائة سنة.

أليست كلها قضايا الاتصال العمومي اليوم التي تنادي بها أغلب النظريات للحد منها ؟ ألم يكن من باب أولى أن يلتزم المسلمون بدينهم فلا يغرقوا في الآفات التي حذر منها رسولنا منذ قرون، ألم يتجاوز معلم البشرية زمانه بالتحذير منها بل أكثر من ذلك بالدعوة للوقاية منها ؟ ولو وعى المسلمون دينهم وطبقوه ولم يفصلوه عن سلوكهم وحياتهم لكان أغناهم عن آفات عديدة و البحث عن حلول لها باستيراد نماذج جاهزة يمكن أن لا تكون فعالة في بيئات مختلفة[1]، فعلى سبيل المثال لا الحصر من بين الأساليب التي يدعوا إليها منظرو الاتصال العمومي للحد من آفة ما و التأثير في المتلقي أسلوب الإغراءات الجنسية[2]. وهو أسلوب متناقض تماما مع ما تدعو إليه أساسيات الاتصال العمومي المتمثلة في المصلحة العامة.

ومحاربة الآفات على رأسها آفة السيدا، أو ليس الإغراء الجنسي آفة خطيرة أيضا يستوجب محاربتها ألا تجر وراءها آفات خطيرة متعددة أهمها آفة السيدا والغريب في الأمر أن الباحثة قد لاحظت أن الطلبة في علوم الأعلام و الاتصال يأخذون هذه المعطيات كمسلمات بل نظريات لا تناقش بل يجب تطبيقها بحذافيرها وكأنها قرآن لا يجب الخروج عنه، أليس من باب أولى الإلتزام بتعاليم ديننا الذي لم يترك مجالا إلا ووضع فيه السبيل الصحيح لحياة كريمة و بأسلوب حضاري، أليس التركيز على الغريزة الجنسية للتأثير في المتلقي إهانة له و لكرامته، ألم تتفق

1- المرجع السابق، ص 451

2- أنظر M.LeNet et la communication publique ص 118

النظريات على أن أساس الاتصال العمومي هو التربية، ومتى كانت التربية تتم بالإغراء الجنسي؟ . وهل يمكن محاربة آفة بآفة أخرى ؟ لقد ترك المسلمون الحق المؤدي إلى الحضارة و اتبعوا الباطل المؤدي لمزيد من الآفات بل و انبهروا به، فليس عيبا أن نأخذ الحكمة من الآخرين الذين يختلفون عنا في العقيدة و الدين بل تفوقوا علينا في عدة مجالات، فالحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها أخذها لكن ليس أخذا أعمى دون تمحيص وفهم وفرز لما قد يلائم خصوصيتنا ومجتمعنا واحتياجاتنا فنحن أيضا نمتلك عقلا مفكرا ومبادئ و قيماً لكن الانبهار وعقدة الدونية حالت بيننا وبين الاجتهاد و التفوق فليس كل ما نستورده جاهزا يصلح أن يكون حلا و ضرورة لأنه كذلك في بيئات مختلفة عنا فديننا لا يتصادم مع الدولة ولا مع العلم ولا مع التقدم كما هو الحال في أديان أخرى غير الإسلام، لأنها وصايا و ارشادات روحية و تربوية تحتمل الفصل بين الدين و الدولة في حين أن الإسلام نظام كامل للحياة عقيدة و شريعة و أخلاق ولا يحتمل الفصل بين الدين و الدولة و بين الشريعة و الحياة وبين العقيدة و الأخلاق بالتالي لا مكان فيه للعلمانية[1].

لقد جاء الإسلام ليكون منهجا شاملا ومتكاملا للحياة بكل أبعادها الفردية و الاجتماعية المعنوية و المادية، الدنيوية و الأخروية له خاصية الاستجابة قواعد الثوابت و المتغيرات الكليات و الجزئيات، المطلقات و النسبيات لذلك فهو منهج له قدرة المواكبة و الاستجابة لتحديات الحياة ومقتضيات الزمان ومتطلبات العصر، يضاف إلى ذلك أن مفهوم الاجتهاد يعتبر من المفاهيم الفعالة كمبدأ الحركة في الإسلام ليقوم بمهمة التكييف و التنزيل و التطبيق وتحديد كافة أشكال وصور العلاقة بين النص و الواقع[2].

البعد الصحي:

إن البعد الصحي للاتصال العمومي نشاط اتصالي يقوم من خلال مختلف وسائل الاعلام يهدف إلى تدعيم السلوكيات الصحيحة الإيجابية ومحاولة المنع أو

1- زكي الميلاد: الإسلام و المدينة، الدار العربية للعلوم، ط 1، بيروت، 2007، ص 88.

2- المرجع السابق ، ص 89 .

التقليل من السلوكات السلبية، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات حيث يتم ذلك من خلال التأثير على المعتقدات و الاتجاهات و السلوكات.

فالتوعية الصحية هي الهدف الأساسي للاتصال العمومي ذو البعد الصحي، حيث محوره الإنسان الذي يستطيع عن طريق إحساسه بالمسؤولية الوصول إلى أعلى مستوى من الرعاية الصحية، ويتحقق ذلك عن طريق **التثقيف الصحي** الذي يعتبر تضييقا للفجوة بين المعرفة الصحية و السلوك الصحي، وذلك من خلال تحفيز الفرد على تحسين ما يقدم له من معلومات صحية في سلوك يومي ييسر الحفاظ على الصحة، ومن مقومات نجاح التوعية الصحية أن ترتبط المعلومات بمصالح وحاجات الفرد وأن يكون تطبيق هذه المعلومات ميسورا حسب الإمكانيات و المعطيات الذاتية و البيئية و أن تقدم هذه المعلومات الصحية بكيفية تتلاءم من سن ومستوى تعليم و الظروف الاجتماعية و الثقافية للجمهور المستهدف، بالتوعية من أن يستند هذه الأخيرة على حقائق علمية بعيدا عن أي شكل من أشكال التهويل و إثارة الرعب و الخوف، فإقناع الناس بإتباع ودعم الممارسات التي من شأنها أن تؤدي الى حياة مليئة بالصحة واتخاذ القرارات الخاصة بهم سواء فرديا أو جماعيا من أجل تحسين حالتهم الصحية ومن أهم أهداف البعد الصحي للاتصال العمومي وذلك يتطلب تدخل أفراد المجتمع من أجل التغييرات اللازمة على سلوكهم و المشاركة الاجتماعية في اتحاذ القرارات فالوعي العام هو المفتاح الأول لنجاح التوعية الصحية و من ثم التثقيف الصحي[1].

كما أن البعد الصحي للاتصال العمومي يرتكز أيضا على الجانب الوقائي بهدف الارتقاء بصحة الإنسان والحد من المشاكل الصحية ومنع حدوثها بدلا من التركيز على الجانب العلاجي الذي يكلف الكثير، حيث لم يعد تحقيق مفهوم الصحة العامة للمواطنين يتأتى من خلال معالجتهم من الأمراض المختلفة بل أصبح

1- عزة مصطفى الكحكي: الآثار المعرفية للحملات الإعلامية بالتلفزيون، دكتوراه في الإعلام، جامعة القاهرة، 1998 ص 137.

التركيز منصب على محاولة وقايتهم من الأمراض المزمنة و المعدية بتغير بعض العادات والسلوكات الصحية و السلبية للفرد التي تمكن من التغلب على الكثير من الأمراض[1].

بالإضافة إلى تجنب الإصابة بها مع ضرورة الأخذ بالمتغيرات النفسية والسلوكية للفرد في الاعتبار و كذا الجماعات المرجعية التي ينتمي إليها، فكلها تلعب دوراً خطيراً لا يمكن إغفاله سواء بتدعيم محاولات التغيير أو بدحضها والتقليل بأهميتها ولكي يصبح الاتصال الصحي العمومي فعالا في تحقيق أدواره، لا بد للقائمين بالاتصال من الدراسة الواعية المتأنية للجمهور المستهدف، و التي تؤثر على مستويات تعرضه وإدراكه وتبنيه للرسالة الصحية وتحديد أفضل الأساليب لصياغة الرسالة بأنسب الطرق التي تناسب هذا الجمهور واختيار أنسب الوسائل لتقديمها وتحديد مدى الثقة و المصداقية، فنجاح الاتصال العمومي ذو البعد الصحي يعني نجاح جزء هام من التنمية المجتمعية و البشرية الشاملة باعتباره جزءاً من العملية التنموية، وما يندرج على الكل بالضرورة يندرج على الجزء، فاستخدام أنسب الطرق (الاستراتيجيات الاتصالية) للتأثير على معارف واتجاهات وسلوكيات الأفراد حيال بعض الموضوعات الصحية وذلك بهدف تحسين الصحة العامة للمجتمع والصحة الخاصة للأفراد، ومن الاستراتيجيات الاتصالية[2].

التي يتخذها الاتصال العمومي الصحي لتحقيق أهدافه كما يلي:

- حوار مفتوح بين الجمهور المستهدف والمتخصص.
- نشر و إذاعة المخاطر الصحية والخاصة.
- تطوير نظم الاتصال على بعدين: المرسل والمتلقي لأكبر قدر ممكن من الناس.

1- وسام محمد أحمد نصر: دور حملات التوعية في التثقيف الصحي، دكتوراه في الإعلام، جامعة القاهرة، 2006، ص149.

2- وسام محمد أحمد نصر: دور حملات التوعية في التثقيف الصحي، م س ذ ، ص158.

- الدقة والإتاحة أو التوافر، أي ضمان وصول المعلومات لأكبر قدر ممكن من الناس دون أخطاء.
- التوازن أي أن مضمون الرسالة يحتوي على فوائد و أضرار الموقف الاقناعي لترك حرية الاختيار.
- التناسق: أي التناسق بين أجزاء الرسالة.
- التوافق مع ثقافة المجتمع.
- المصداقية لدى مصدر الرسالة.
- التكرار لضمان حصولها على فئات جديدة.
- الأخذ بأسلوب عدم المباشرة بشرط عدم الإغراق في الرمزية.
- سهولة الفهم أي وضوح الرسالة الصحية و الوقائية[1].

وعلاقة الدعوة الإسلامية بالبعد الصحي للاتصال العمومي علاقة وطيدة إذ أن الإسلام إعلان لعظمة الإنسان وحسن تركيبه ووجوب صيانة هذا الكيان الرائع وهو ثورة على الضعف يدعو إلى اكتساب القوة وتعلم السباحة و ممارسة الرياضة البدنية، فهو إعلان لحق السيادة و الحياة، يدعو إلى الاستماع باطياب العيش شريطة الاعتدال، وحارب إهمال صحة الأبدان، حتى أنه دعا إلى ضبط التغذية ونهى عن الجشع و الإفراط في الأكل و الشرب

❖ **المنهج الوقائي في الإسلام:** لقد كانت الدعوة الإسلامية سباقة لإرساء مفاهيم جديدة في ميدان الصحة و في مقدمة هذه المفاهيم الوقاية التي تعد فتحا جديدة في ميدان الصحة، فلقد حظي المجتمع المسلم نتيجة تشريعات الإسلام ووصاياه الصحية التي قضت على كثير من الأمراض العضوية و الاجتماعية والنفسية التي كانت منتشرة و في مقدمتها: الإدمان على الخمر و الفواحش، ومن عظمته أنه استطاع القضاء على هذه الأمراض لان التشريع الإسلامي جعل مفهوم الصحة مفهومها (تعبديا)، فلم يكتف مثلا بالدعوة إلى الطهارة بل جعلها شرطا في

1- محمود مهدي الإستنبولي: عظمة الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص 58

صحة الكثير من العبادات، ولم يكتف بالتحذير من أضرار الخمر بل حد لشاربها حدا رادعا في الدنيا و الآخرة، وهكذا سائر التشريعات المتعلقة بالصحة، بل أنه جعل أجرا كبيرا لمن يأخذ بأسباب الوقاية، حيث يتجه الإسلام إلى وقاية خمسة أمور أساسية في حياة الإنسان: الدين، النفس و العقل و النسل و المال وهو ما يطلق عليه الضرورات الخمسة ،فالوقاية معلم أساسي من معالم التشريع الإسلامي، فالوقاية وسيلة لدفع الضرر عن الفرد والمجتمع وجلب المنفعة لهما .

إن للتشريع الإسلامي منهجاً وقائياً يستهدف وقاية الفرد و المجتمع من الأمراض النفسية و العضوية و الاجتماعية حيث تشكل العناصر التالية المنهج الوقائي في الإسلام:

أ) الوقاية بالعبادة: كالدعاء و الصلاة و الزكاة.

ب)الوقاية بالطهارة.

ج) الوقاية بالحض على العادات الحسنة (كعدم الإسراف في الأكل و الشرب).

د) الوقاية بتحريم الخبائث كالميتة و الدم ولحم الخنزير.

هـ)الوقاية بالعزل الصحي أو الحجر الصحي.

و) الوقاية بالتداوي[1].

وعليه فالدعوة الإسلامية كانت سباقة لإرساء مبادئ جديدة في ميدان الصحة في مقدمتها مبدأ الوقاية الذي بينه في عدد من الأحكام و التشريعات التي وضعها و لا سيما الأحكام المتعلقة بالطهارة و تحريم الخبائث و صيانة الضرورات الخمسة .

وقد بلغ من عناية الإسلام بالأمور الوقائية أنه جعل العبادات نفسها تؤدي إلى هيئة القضايا المستجدة على الساحة الطبية بحاجة إلى اجتهادات فقهية جديدة، أبرز هذه القضايا: البحث عن تأثير زرع الأعضاء البشرية و الصناعية، البحث عن أدوية بديلة تغني عن استعمال الأدوية المحرمة مثل المخدرات و غيرها .

1- أحمد محمد كنعان: (المنهج الوقائي في الإسلام) مجلة عالم الفكر، المجلد 28، العدد 01، بيروت 1999، ص09

بالإضافة إلى البحث عن التأثيرات العضوية و النفسية للأكل من المحرمات التي أظهر العلم ضرراً مع معظمها بوضوح، بالوقاية و العلاج وإمكانية الاستفادة منها في تطوير العلاج النفسي، والبحث أيضا في الأحاديث التي ورد فيها وصايا باستعمال بعض الأطعمة و الأشربة من باب الوقاية أو العلاج و ما ثبت في الصحيحين عن شرب ماء زمزم وكيف لهذا الماء تأثيرات مباشرة على جهاز المناعة[1].

البعد التعليمي التربوي:

يؤدي الاتصال العمومي ذو البعد التعليمي التربوي دورا هاما في العملية التعليمية ويؤكد الخبراء أن العلاقة التبادلية بين الاتصال و التعليم هي علاقة إيجابية خصبة فالاتصال يوجد وسطا تربويا تكميليا للمدرسة و يؤدي دوره في التهيئة للبرامج التعليمية وفي استخدام الوسائل الاتصالية في عملية التعليم المدرسي والتعليم خارج المدرسة بحيث يتاح للأفراد إمكانية تجديد معارفهم ومهاراتهم واكتساب معارف ومهارات جديدة والتربية أوسع و أشمل من التعليم لذلك فأهمية الاتصال العمومي التربوية تزداد يوما بعد يوم، لما تلعبه من دور فعال لا يقل أهمية عن دور المؤسسات التربوية نفسها فعملية التربية تعتبر عملية تشمل الفرد طوال حياته منذ لحظة ميلاده[2]. وتجدر الإشارة إلى أن عملية التربية أشمل من التعليم، فالتعليم نشاط مخطط يضبط و يعالج مجموعة من النشاطات التي تؤدي إلى تغيير سلوك المتعلم في الاتجاه المرغوب فيه، أما التربية فهي عملية مخططة ترمي إلى مساعدة الفرد على النمو السوي المتكامل من النواحي الجسمية و العقلية و الانفعالية و الاجتماعية ليصبح قادرا على التكيف فيستجيب لشروط محيطة ويحمل خبرات جديدة[3]. و لما كانت التربية تشمل التعليم فإن تركيز الاتصال العمومي

1- أحمد محمد كنعان: المنهج الوقائي في الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص11

2- محمد سيد فهمي: فن الاتصال في الخدمة الاجتماعية . م . س . ذ ، ص 124

3- محمد صالح أبو جادو: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية .م . س . ذ، ص 268

منصب على البعد التربوي الذي يشترط علماء التربية أربعة شروط أساسية ليحقق أهدافه:

- **الفاعلية:** بوضع الجمهور المستهدف في ميدان الحياة نفسها منذ الصغر، يدرك مشكلاتها ويفكر في حلولها فيؤثر و يتأثر بالبيئة.
- **الاستمرار:** يجب أن تستمر الخبرة و تظل بعد حدوثها ذات أثر على حياة الفرد المتعلم فتدفعه إلى خبرات أخرى و مجالات جديدة تنمو فيها خبرات و تتجدد، فهي وسيلة لتحقيق أهداف أخرى.
- **التطبيق:** و هو شعور المتلقي للاتصال بنتيجة الخبرة في حياته.
- الشمول: حيث تتصف العملية الاتصالية التربوية بالشمول إذا توفرت فيها 3 جوانب متكاملة، وزودت الطفل بقسط من المعلومات و المفاهيم إذا دربته على قدر مناسب من المهارات و إذا أكسبته موقفا ما نحو الخبرة التي يمر بها تجعله يميل لسلوك معين إذا واجه مثل تلك الخبرة مرة أخرى[1].

أهم ما يستهدف الاتصال العمومي ذو البعد التربوي:

- **التوجيه:** حيث تكون المدرسة الاتجاهات الفكرية المرغوب للفرد منذ صغره باتخاذها الكتب وغيرها من الوسائل كدعائم تعليم و إعلام بالتخطيط لاستخدامها وكوسائل مساعدة لتحقيق الأهداف، وهي عملية متجددة خاصة إذا مر المجتمع بمرحلة الإصلاح أين تتغير القيم الاجتماعية وتظهر قيم جديدة، فكلما قلت خبرة الجمهور المستهدف بالموضوع زاد احتمال اكتسابه للموقف المعروض سواء كان تلميحا أو تصريحا.

فالدعوة إلى شيء هو توجيه الناس إليه إذا حدث الانحراف ينكر الموقف بالتالي السلوك فيعد المنحرفون خارجين عن نظام الجماعة ولهذا الخروج خطورته على الفرد داخل الجماعة لذلك تهتم مختلف المؤسسات الاجتماعية باستخدام مختلف وسائل التعليم و الإعلام و الاتصال من أجل التربية في إطار الاتصال العمومي

1- فتح الباب ع / الحليم سيد: و سائل التعليم و الإعلام، م . س . ذ، ص 67

فالتثقيف زيادة في المعرفة خاصة فيما يتعلق بنواحي الحياة العامة و هي تساعد على اتساع أفق الفرد وفهمه لما يدور حوله من أحداث.

و التواصل الاجتماعي بالوسائل الإعلامية والتعليمية تقوي الصلة الاجتماعية بين الأفراد فيزيد إحتكاكهم ببعضهم ويتمكنون من التعارف الاجتماعي بالتعرف على مختلف الشخصيات و المؤسسات و الهيئات و المصالح التي لها دور في المجتمع.

أما الترفيه فهو لا يعني التسلية فقط بل الترفيه الذي تلعبه هذه الوسائل الإعلامية والتعليمية والتربوية – و الذي يؤثر أيضا في اتجاه فلسفة مرسومة للمجتمع – هو ما يطلق عليه الترفيه الموجه الذي يؤثر لأنه يساهم في الإمتاع و الترفيه[1].

فالاتصال العمومي ذو البعد التربوي يهدف لتوعية المجتمع ليكون على استعداد لتبني الموقف الملائم ومن ثم السلوك الصحيح.

البعد التربوي للاتصال العمومي و الدعوة الإسلامية: إن رسالة الإسلام رسالة تربوية راقية دعوة الى التوفيق بين مطالب الدنيا و الآخرة وبين الجسم والروح، توجيه رفيع للآباء و المعلمين ليحسنوا معاملة من يشرفون على تربيتهم ويعدلوا بينهم، حيث توضع قواعد تربوية في غاية السمو و الرقي تحث على احترام شخصية الطفل و الرفق به و تبسيط العلوم له، حيث رفع الإسلام من قيمة الطفولة ووجه الأنظار نحوها خاصة أولئك الذين فقدوا آباءهم، كما أنذر من خطر الصحبة ودعا إلى حسن اختيار الرفيق للصغار و الكبار، كما نهى بتربيته اليقظة المشرفين على تربية الأبناء من الكذب عليهم خشية تلقيهم الكذب بالقدوة[2].

كما أن الدعوة الإسلامية توجه توجيها ساميا لاختيار مناهج التعليم بصورة دقيقة ليستفيد منها الطالب فائدة حقيقية، كما أنه يشير إشارة صريحة إلى التعليم التجريبي ودعوة جريئة لعدم الاعتماد بمبدأ السلطة الذي كان منتشرا في العالم

1- فتح الباب ع / الحليم سيد: و سائل التعليم و الإعلام، م . س . ذ، ص 58

2- محمود مهدي الأستنبولي: عظمة الإسلام ، م . س . ذ ، ص 267

ليعلن الإسلام بضرورة المشاهد و العيان في كل قول من الأقوال مهما كان مصدره، كما أن الإسلام وعي تربوي نبه إلى خطورة الوراثة و البيئة ودعا إلى وجوب اختيار الأزواج من أهل الصلاح و القوة فذلك أضمن للحصول على ذرية طيبة، كما أنه دعوة صريحة إلى تربية النشء تربية صارمة تتمثل فيها القوة و الرجولة بأكمل معانيها و أسمى مظاهرها، حيث يدربهم على حياة الخشونة استعدادا للطوارئ كالصوم و الحج و الحض على ممارسة الرياضة منذ نعومة أظافره بالوضوء و بالصلاة في خمس أوقات وهي من أنواع التربية الجسمية .

إنها دعوة إلى تربية تقدمية رفيعة تحث على الاهتمام بجميع نواحي الحياة الإنسانية من جسدية و عقلية و خلقية وذو قيمة ورسم صورة المؤمن القوية العظيمة ليعمل على إعداد النشء بالحض على طائفة من الآداب ينبغي أن نأخذ الأولاد بها و إعلان لصلاح كل ما يخرج من نشء، فحارب الفكرة التربوية القائلة بفساد الطفل و أنه شرير، فحدة الطفل و شراسته في صغره تكن وراءه خيرا كثيرا في كبره مما يستوجب العناية به وبأمثاله وعدم قهره وقتل شخصيته لأنه في الحقيقة وبعد التجربة يظهر في ميدان الحياة العملية – إذا وجه جيدا – نشاط وخير أكثر من الأطفال الهادئين، لذلك فالدعوة الإسلامية تشجيع للآباء على تربية أبنائهم و العناية بهم ووعدهم بامتداد حياة الإنسان بعد موته بامتداد حياة أبنائه الصالحين[1].

كما لم تغفل هذه الدعوة التوجيه التربوي السيكولوجي الذي يأمر المعلمين و المصلحين بالنزول إلى سوية من يعلمونهم و يخاطبونهم والترفيه عنهم من حين لآخر، وجعل العلم إجباريا على الذكور و الإناث بتشريع تقدمي لم يعرفه الغرب إلا آنفا، لكن الواقع اليوم يحتقر ويذل ويرعب الأبناء فيقتلون فيهم العزة و الحيوية بهذه السلوكات المضرة ويخلقون منهم أطفال معقدين، ولا غرابة بعد اختلاف التربيتان أن يختلف المصيران فقد غزا أسلافنا العالم وغزانا نحن الأجانب[2].

1- محمود مهدي الأستنبولي: عظمة الإسلام ، م . س . ذ ، ص 274

2- المرجع السابق ص 275

تكمن قيمة الدعوة الإسلامية التربوية في كونها تجعل من الإنسان خليفة الله في الارض مطالب بتأدية وظيفته فيها حسب المنهاج الذي رسم له، حيث وهبه الله من الطاقات الكامنة والاستعدادات المذخورة ما يمكنه من ذلك.

والاستخلاف في الأرض ليس مجرد الملك والقهر و الغلبة و الحكم وإنما هي هذا كله شرط استخدامه في التربية والإصلاح والتعمير و البناء وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه، وهي القدرة على العمارة و الإصلاح لا على الهدم و الإفساد، بتحقيق العدل و الطمأنينة لا الظلم والقهر وقدرة على الارتقاع بالنفس البشرية والنظام البشري وذلك بالتمكين للدين في القلوب لتصريف الحياة وتدبيرها بالصلاح والعدل و القيم و الأخلاق التي قررها الله حتى يكون كامل الحضارة، فأما الإبداع المادي وحده، فلا يسمى حضارة لأن الحضارة المادية قد تكون و تكون معها الجاهلية، أما حضارة الإسلام فقد تحققت في نموذج بشري فريد أقام على هذه الأرض دولة حكمت بالعدل ونشرت لواء الأمن و استقرار لان الإنسان المسلم يؤمن أن وراء هذه الحياة حياة أخرى باقية فيزداد العمل الصالح وهذا هو الربط المستمر بين الإيمان وحسن القول والعمل والبعد عن الأذى و الضرر وهو بعد تربوي لا نجده في مناهج أخرى سواء في المنهج الإسلامي، فليس الإسلام نظرة فلسفية تربوية أو تعاليم مجردة و إنما هو الحياة بجميع جوانبها تبدأ بنظام الإنسان المبني على العدل والصدق والتراحم، بل نظام علاقة الإنسان بالبيئة والأرض و السماء و النبات و الحيوان بمنهج تربوي فريد يبدأ منذ الصغر[1]. [1]

واقع التربية و التعليم عند المسلمين اليوم: لقد عزل التعليم في غالبية بلاد المسلمين عن روح التربية الإسلامية الصحيحة فهمشت في مختلف نشاطات الحياة وهمش الإسلام بتحجيمه في هيئة متناثرة من علوم الدين وفي بعض الشعائر التعبدية المجردة عن السلوك والمعزولة عن المفهوم الشامل للعبادة في الإسلام والتي تهدف إلى بناء الإنسان الصالح الفاهم لرسالته في هذه الحياة عبدا لله يعبده بما أمر

1- عزمي طه السيد: الثقافة الإسلامية الشركة العربية المتحدة للتسويق، القاهرة , 2008, ص 187

ومستخلفا ناجحا في الأرض مكلفا بعمارتها و إقامة شرع الله وعدله في ربوعها باستجماع عناصر القوة المادية و الروحية في المجال الذي هيأه الله و التعاون مع المسلمين الآخرين من أجل تحقيق ذلك.

وأخطر السهام التي وجهت إلى التربية و التعليم في ديار المسلمين سهم المفاصلة الكاملة بين علوم الدين وعلوم الدنيا في ازدواجية معيبة عزلت جميع العلوم المكتسبة عن الدين وعزلت علوم الدين عن العلوم المكتسبة وبذلك عزلت الدين عن حياة الناس وعزلت حياة الناس عن الدين[1].

ولهذه الازدواجية في التعليم ما يبررها في الغرب لأنه لا وجود لأي مبررات في عالمنا الإسلامي الذي قامت حضارته على أساس من شمولية المعرفة مع احترام التخصص وتتجسد أزمة التعليم و التربية في العالم الإسلامي المعاصر في النقاط الأساسية التالية:

- إلغاء مدارس تعليم القرآن.
- تصفية نظم التعليم الإسلامي وإحلالها بنظم تعليمية مادية بحتة منقوصة قاصرة، تعلم الفرد و لا تربيه.
- نتيجة لذلك دارت جميع المعارف المكتسبة في هذا الإطار و أنكرت شمول الدين بركائزه الأساسية (العقيدة والعبادة و الأخلاق و المعاملات) لمختلف أنشطة الحياة، ففقدت معاهد التعليم دورها التربوي بالكامل.
- الازدواجية في تعليم ديني لا يعرف المعطيات الكلية للمعارف المكتسبة وتعليم مدني ينكر ويتجاهل المعارف الدينية مما أضعفت النظامين وباعد بينهما.
- حصر المعاهد الدينية والكليات و الجامعات الإسلامية على الحفاظ على التراث ونقله للأجيال مما أزهد الناس فيها وفيه[2].

1- زغلول النجار : رسالتي إلى الأمة، م . س . ذ ، ص 239

2- زغلول النجار : رسالتي إلى الأمة، م . س . ذ ، ص 240

- تقصير غالبية المسلمين في تقديم البديل الإسلامي للنظم التعليمية المادية السائدة و الدفاع عنه و العمل على تحقيقه أمرا واقعا في حياة المسلمين .
- اعتماد غالبية معاهد ومدارس التعليم في العالم الإسلامي على نظم بالية قديمة في كل من التدريس و الاختبار تعتمد أساس على الحفظ دون إعمال العقل مما أفقد الطلبة القدرة على الابتكار و الإبداع و التجديد.
- السماح للعديد من المنظمات الأجنبية و المحلية غير إسلامية بالهيمنة على عملية التعليم الخاص في مختلف مراحلها.
- عدم الاهتمام بالمعلمين تكوينا وتعليما واحتراما و تقديرا في المجتمعات الإسلامية المعاصرة مما أفقد المعلم الكثير من دوره في العملية التربوية للأجيال الناشئة.
- انتشار فوضى الدروس الخاصة مما أفقد المدارس و المعاهد دورها التعليمي و التربوي ووسط هذا الركام من المشاكل التعليمية التربوية تبقى جميع الشعوب المسلمة متعلقة بالإسلام ومتشوقة لرؤية أبنائها على أساس من فلسفته وأهدافه ومقاصده وأسسه ومحتواه و أساليبه، من عقيدة و عبادة و أخلاق ومعاملات هدفها بناء الإنسان الصالح على أساس الإيمان الصادق و العمل الصالح و الأخلاق الفاضلة بمحتوى متكامل من المعرفة الشاملة واحترام التخصص وتعدد الأساليب والوسائل و المنهجية بتعدد المجالات مع الانفتاح التام على كل أمر نافع.

إنها رؤية تربوية إستراتيجية تعمل على بناء الأجيال بل الأمم و الحضارات بإعداد الفرد الصالح للمجتمع الصالح انطلاقا من مبادئ يؤمن بها وقيم وأخلاق يتحلى بها، وذلك هو الرقي وليس مجرد الإقناع أو الإكراه بالتشريع الذي يمكن أن يكون قاصرا أحيانا – مقارنة بالنظرة الإستراتيجية للإسلام في إعداد و تربية الفرد من أجل مجتمعه بل عالمه، لكن الواقع يفيد بانعدام تطبيق هذه السياسة

التربوية الإسلامية، فلا تخطيط و لا إستراتيجية مرسومة للقيام بالعملية التربوية بمختلف مستوياتها وتعدد أنشطتها واستيعاب رسالة الإنسان في هذا العالم[1].

البعد السياسي:

إن أول مظهر ظهر به الاتصال العمومي كان ذا بعد سياسي بحث، وذلك منذ أن استعان الرئيس الأمريكي (Eiznhower) بشركة إشهارية لتدعيم حملته الانتخابية سنة 1952 فتحدى بذلك خصومه الذين آخذوه على بيع نفسه مثلما يباع الصابون، حيث كانت مبادرته تلك أول إعلان إشهاري لفائدة المصلحة العامة تستخدم في المجال السياسي، و تبين منذ ذلك التاريخ أن استخدام الاشهار ممكن في مجال المصلحة العامة تماما مثلما تستعمل المنتوجات المعدة للاستهلاك وللترويج، وبذلك فالاتصال العمومي ذو البعد السياسي يكون في شكل انتخابات ممكن ينطلق من المواطنين إلى السلطة أو يكون في شكل إعلام و اتصال دبلوماسي بين الدول أي من السلطة إلى المواطنين، كما أن الأزمات والمشاكل كالمظاهرات والإضرابات هي كلها أمثلة عن الاتصال العمومي حيث وجودها تعبير عن شعور ووجهات نظر مجموعة معينة، فالاتصال العمومي ذو البعد السياسي يرمي إلى إرساء الديمقراطية والحوار لمقاومة الأزمات المختلفة وكثيرا ما يحمل في طياته دعاية تقدم في قالب مجموعة إيحاءات ورسائل إعلامية غايتها دعم نظرية واتجاه حزب أو موقف شخص قصد الحصول على عدد أوفر من المؤيدين، وقد أصبحت الدعاية عن طريق الاتصال العمومي أداة مرغوب فيها[2]. [2] يخدم سياسة تكون جزء من إستراتيجية منجزة من قبل الحكومة تتمثل أهدافه في:

- التوعية السياسية اللازمة للمواطنة الصالحة و أهدافها .
- التعريف بالمؤسسات الاجتماعية والمرافق العامة ودورها ونظامها في المجتمع .
- تقدير دور الفرد في بناء المجتمع والحفاظ على مؤسساته.

1- زغلول النجار : رسالتي إلى الأمة، م . س . ذ ، ص 241

2 -Michel LeNet: L'Etat annonceur , op.cit p 236

- التحذير من الآفات والمشاكل الاجتماعية كالاحتكار و الرشوة وتعطيل المرافق العامة وتجاوز الأنظمة والقوانين المعمول بها في المجتمع[1]. [3].

لذلك فالاتصال العمومي من خلال هذه التنشئة السياسية يعتبر أحد أدوات تحقيق الأهداف السياسية التي تعتبر تعليما ، لأن السياسة في حد ذاتها مثل التعليم تكتسب بواسطة المدرسة ووسائل الإعلام ومؤسسات الأخرى لها صلة بالتكوين و التثقيف في الشرعيات السياسية التي تستمدها الحكومات فتتجلى من خلال مبرر المصلحة العامة وفائدة الجمهور التي تتدرج في الاتصال العمومي[2].

فعمليات الاتصال العمومي تجلب شرعيتها من مبدأين:

- الضرورة الموضوعية لمكافحة الآفات
- فائدة اتخاذ الإجراءات اللازمة عن طريق الاتصال

فالمبدأ الاول يقتضي ضرورة معرفة نتائج الآفات ورؤية واضحة لأهميتها مما يعطيها حق محاربتها فالسلطة السياسية لديها امتياز أمر المواطن بترك بعض العادات بصفتها حافظة الأمن والمصلحة العامة، فتبين له كيف يجب أن يسلك باسم العيش الأفضل للجميع السلوك الصحيح، وهو ما يشبه الانتخابات، فالمنتخب يصبح الحكم الذي يفكر في المواطن وعن طريق هذا الإجراء يعتبره المواطن كذلك، فمحاربة الآفات تجد شرعيتها السياسية في الفعل الديمقراطي أما المبدأ الثاني فهو يعمل على معرفة مدى خدمة العملية الاتصالية للآفة، فسلطة الإقناع تكمن في جلب الفرد إلى تعديل سلوكه رغما عنه، وتبقى الأبعاد السياسية للاتصال العمومي واحدة من المفاتيح الرسمية للنظام السياسي.

إن أي عمل ذو نوعية يستوجب بذل مجهود لفهم المواقف المراد تعديلها بالسعي نحو تقسيم واشتراك في القناعات مع الآخرين، وإذا حدث الشك في تلك القناعات يغيب الوعي و الإحساس بالمشكلة، وكلما تطور المجتمع ونمط الحياة

1- صالح ذياب الهندي: أثر وسائل الإعلام على الطفل، ط 1، دار المكتبات والوثائق الوطنية، عمان، 1995، ص 64

2 - Michel LeNet: L'Etat annonceur , op.cit p 255

كلما طلب المواطن المشاركة في القرارات مما يتطلب إدماجه في صيرورة التغيير، فيشارك باقتراحاته، بوجوده وحضوره، فكلما أقحم الفرد في العملية الاتصالية كلما كانت النتائج أفضل [1].

فالتربية الوطنية وتعليم المواطنة هو ذلك الجزء من التعليم السياسي الذي يؤكد على كيفية مشاركة المواطن الجيد في الحياة السياسية داخل وطنه بشكل صحيح أما التلقين السياسي الإيديولوجي فهو يهتم بتعليم إيديولوجية سياسية معينة لتبرير وقبول نظام حكم معين، فالقائم بالاتصال في هذا المجال يؤثر على التطور السياسي للفرد من خلال تاسيس نوع من الثقافة التعليمية أو النظام الاجتماعي في المجتمع ابتدءًا من الفصل الدراسي، بوضع قواعد ينظر إليها كنموذج للسلوك اللائق[2].

فالقائم بالاتصال هنا يعبر عن سلطة المجتمع عن طريق وسائل الإعلام والتعليم التي من أهمها الكتاب (كمرحة أولى) الذي ينشر القيم الثقافية المتعددة يتضمن محتوى سياسي محدد والآخر يحمل معاني سياسية ضمنية تعمل على بلوغ أهداف معينة[3].

علاقة البعد السياسي للاتصال العمومي بالدعوة الإسلامية:

لقد قررت الدعوة الإسلامية أن لكل موطن حقه السياسي وحقه في المراقبة والنصح لأولياء الأمور لأنه مسؤول عن مستقبل الأمة، فالمجتمع ككل متكافل في تأييد السياسة الرشيدة وإنكار الفساد والانحراف فيها ويدخل ذلك تحت عموم قوله صلى الله عيه وسلم " كلكم راع وكل مسؤول عن رعيته " ومن هنا أجمع الفقهاء على أنه إذا أجار مسلم رجلا حربيا وأعطاه الأمان فقد أصبح هذا الأمان محترما تلزم به الدولة مهما كان المجير عالما أو جاهلا قويا أو ضعيفا امرأة كانت أو رجلا إلا إذا اقتضت مصلحة الدولة عكس ذلك، بل أن كل مسلم في الدولة أن يتكافل

---

1 -IBID , p 236

2- ريتشارد داروين: التنشئة السياسية، ترجمة ع / الله أبو القاسم خشيم، جامعة قاريونس، البنغازي 1990، ص 170

3- ريتشارد داروين: التنشئة السياسية، م . س . ذ ، ص 179

مع بقية مواطنيه بالدفاع عن سلامة البلاد ولا يعفيه من هذا الواجب مقام أو منزلة إلا المرض أو عذر إعاقة مثلا[1].

إن الدعوة الإسلامية المحمدية يمكن قراءتها سياسيا، فعلى سبيل المثال دولة المدينة التي أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفها أول فعل سياسي بالمفهوم المعاصر للكلمة بعد الهجرة مباشرة سبقتها مجموعة من الإجراءات السياسية اللازمة لترتيب البيت أولا من الداخل كالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والحروب الدفاعية التي خاضها الرسول لتثبيت أركان تلك الدولة الناشئة والتي استدعت إبرام سلسلة من المعاهدات السياسية مع مختلف القوى الداخلية والخارجية، فالدعوة الإسلامية جاءت في المقام الأول كدعوة ربانية تحمل في طياتها مشروعا متكاملا لإصلاح الدنيا بالدين، دعوة قدرها الله تعالى وضمن حفظها ومن أجلها بقيت الأرض موصولة بالسماء عبر أمين الوحي جبريل الذي تنزل على النبي موجها ومعلما ومصححا للأخطاء بشكل فوري وعلني، الأمر الذي حماها من الانهيار.

الدعوة الإسلامية واختلاف الرأي: إن أبرز الضوابط العلمية التي تعتني الدعوة الإسلامية بتنشئة الإنسان عليها عند الاختلاف في الرأي هي الالتزام بالدقة العلمية عند إبداء الرأي وأن طرح الآراء والأفكار و الالتزام بالموضوعية وعدم إقصاء الآخر والتركيز على القواسم المشتركة التي تقرب وجهات النظر عند الاختلاف والرجوع عن الرأي إذا تبين للفرد أنه أخطأ وأن يتحمل الإنسان الرأي المخالف صواب وإمكانية تعدد الصواب عند اختلاف الآراء وعدم إجبار الآخر بالأخذ برأي معين لأن ذلك كله يسهم في إثراء الحياة الفكرية بما يتضمنه من تعدد وتنوع في الرؤى والأفكار[2].

1- عزالدين بليق : منهاج الصالحين م . س . ذ ، ص 425

2- علاء عبد المجيد يوسف الشامي: دور الخطاب الديني في وسائل الاتصال في تشكيل الاتجاهات، دكتوراه في الإعلام جامعة القاهرة، 2006، ص 96

ومن الآثار الإيجابية التي نتجت عن الاختلاف الذي وقع بين العلماء المسلمين في فروع الشريعة الإسلامية وضع قواعد للاجتهاد يلزم على المجتهد إتباعها والسير عليها حتى يكون اجتهاده سليما ومبنيا على قواعد صحيحة والاجتهاد هو الحركة العلمية البناءة التي تدعو إليها الدعوة الإسلامية لبيان مقومات الشريعة الإسلامية ووسيلة استمرارها و به يتم التعرف على الأحكام الشرعية لما يجد من حوادث وقضايا تطرا على الحياة مما يدل على حيوية الشريعة ومرونتها لاستيعاب حاجات الناس في كل مكان وزمان وقد حرص الرسول صلى الله عليه و سلم على تعدد الرأي في المسألة أو القضية الواحدة مما يدل على مشاورة الرسول (ص) أصحابه بالمدينة للخروج لملاقاة جيش قريش في غزوة أحد خارج المدينة أو الدفاع عنها من الداخل واستجاب الرسول (ص) لرأي الأغلبية التي ترى الخروج لملاقاة جيش قريش خارج المدينة، فقد خلق الله الناس متفاوتين في الجسم و العقل والميول والاتجاهات والألوان و اللغات ويترتب عن ذلك اختلافهم في الآراء و الأفكار ويتطلب ذلك تربية أفراد المجتمع على الالتزام بالضوابط و الآداب الإسلامية عند الاختلاف ليؤدي ذلك إلى تحقيق الفائدة والمصلحة للجميع[1].

الدعوة الإسلامية والقيادة: إن القيادة شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي بين القائد و الأتباع وهو سلوك يقوم به القائد للمساعدة على بلوغ أهداف الجماعة وتحريكها نحو هذه الأهداف و القيادة الحقيقية هي الإحساس بمطالب الجماعة و التعبير عنها وإيجاد الوسائل لتحقيقها وتجميع لقوى الأفراد وراء الجهود المحققة لها ، وهذا المعنى يعطي القيادة قوة كبيرة وأهمية واضحة في أي تنظيم اجتماعي.

تظهر الحاجة للقيادة بصورة ماسة عندما تمر الجماعة بأزمة من الأزمات أو تتعرض لخطر من الأخطار، سواء كان داخلي أو خارجي مما يؤدي إلى تماسك الجماعة واتحادها في ظل قيادة قوية موحدة، وللقائد صفات قيادية يجب أن يتحلى

1- محمود يوسف محمد: دور المؤسسات التربوية في تنشئة المسلم المعاصر، م . س . ذ ، ص 81

بهـا، أهمهـا: القـدرة علـى اتخـاذ القـرار الـصحيح في الوقـت المناسـب، الـشجاعة، الإرادة، تحمل المسؤولية، معرفـة مبـادئ الحـرب و الخـبرة بأصولها، نفسية مـستقرة ثابتـة بعـد النظـر وصـحة التوقعـات، الثقـة المتبادلـة مـع مـن يقـودهم، المحبـة المتبادلـة، شخصية قوية مهابة، اللياقة البدنية، مـاض ناصـع جميـل، وقـد كـان الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم مـبرزا فيهـا، جعلتـه قائـدا مثاليـا وقـدوة حـسنة، لـذلك حقـق في مـدة وجيـزة مـا لم يحققـه أي قائـد عـسكري أو زعـيم سياسـي في مختلـف العـصور، فالحرب ليست علما بل فن الحـرب عمليـة معقـدة أكـثر ممـا نتـصور وعوامـل النـصر فيهـا كـثيرة التـشعب، فلـيس كـل مـن طبـق نظريـات معينـة حقـق انتـصارا[1]. إن الحقيقـة الكاملـة للـدين الإسـلامي أن يناقـد إليـه أتباعـه انقيـادا كـاملا لـذلك لم يكـن النبي صلى الله عليه وسلم يقتنع من الداخلين في الإسلام بمجرد القول و العمل بقواعـد الإسـلام ثـم يتركهـم وشـأنهم لأنـه لايقـر أحـد علـى باطـل ولأنـه عليـه تغـيير المنكـر أيضا فـإن التفاضـل في القيـادة لـيس خاصـا بالـدين فحـسب بـل هـو بالـسياسة وحـسن الخـبرة في أمـور الحـكم[2].

على هذا الأساس كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسير في اختيار ولاته وقادة جنده، فإن كانت الصفات المطلوبة سلامة العقل و سلامة البدن و العدل وصحة العقيدة والعلم و النزاهة و الشجاعة ورجاحة العقل وبعد النظر وحسن التصرف و الخبرة في أمور الدولة وسياسة الرعية والمقدرة على تأليف القلوب وتوحيد الأمة و الحزم و المشاورة و البعد عن الاستبداد و الاستئثار بالرأي ... كلها صفات مهمة، فإن صفتين مهمتين لا يمكن التهاون فيهما لأن فقدان أحدهما يدمر الأمة ويقضي عليها، فالصفة الأولى التي لا تتغير هي صحة العقيدة لأن منحرف العقيدة ينحرف بالأمة ومن طبيعة البشر أن يقلد الصغار الكبار وأن يكون الناس على دين ملوكهم و قادتهم.

1- أحمد راتب عرموش: قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية و العسكرية، ط 3 دار النفـــائس، بـــيروت 2002، ص 156 .

2- محمد الطاهر بن عاشور: النظام الاجتماعي في الإسلام ، م . س . ذ ، ص 194

والصفة الثانية لا يعطيها بعض الناس أهمية كبرى بل ينتبهون إليها و هي العدل، فالعدل صفة تنبه لها بعض الفقهاء دون غيرهم وأولوها عناية خاصة وأفاضوا بالحديث عنها حتى ليقول أحدهم « الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم » كما أن « دولة الظلم ساعة ودولة العدل على قيام الساعة » لأنه إذا عجز الشعب عن مقاومة الظلم يتخذ مواقف سلبية من القضايا المصيرية وغير المصيرية، فيعجز القائد عن الإصلاح ويعم الفساد و يسرع الانهيار وقد يتأخر بحسب شدة الظلم و الاضطهاد وكلما تأخر الانهيار كان أقوى و كان الإصلاح أصعب، أما إذا تعرضت الأمة لاعتداء خارجي فإنها سرعان ما تنهار و ينقلب النظام وهذا ما حصل لهتلر و وموسولوني وغيرهم، فالعدالة شرط لازم في كل الظروف و الأحوال[1].

ولو أردنا تحديد عناصر القوة في الإدراك الإسلامي بالوجود السياسي كتعبير عن امتداد للتراث المرتبط بتلك الخبرة لوجدنا كثيرا من عناصر القوة:

- الإسلام ليس فقط تنظيما لعلاقة الإنسان بالإله بل يتناول أيضا السلوك اليومي بجميع مظاهره و متغيراته، و هو أسلوب حياة، و أحد أسباب فشل الحضارة الكاثوليكية هو أنها فصلت الدين عن الدنيا، كما استبعدت الشيوعية العنصر المعنوي واعتبرت الإنسان مادة فقط و الإنسان في الحقيقة جسد و روح وعقيدة واقتناع وعنصر معنوي و التوازن بينهما ضروري وهو جوهر التصور السياسي الإسلامي.
- الإسلام لم يعرف القطيعة في حياة الإنسانية: لم ينقطع في جميع مراحله بوصفه حضارة سياسية فقد أعلن مبدأ المساواة، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ألغى التفرقة العنصرية و هي المقدمة الحقيقية في تاريخ الإنسانية للثورة الفرنسية، فالتجديد عرفه الإسلام في جميع مراحله حتى في مراحل الجمود

1- أحمد راتب عرموش: قيادة الرسول، م . س . ذ ، ص 216

وقفل باب الاجتهاد فالإسلام هو الذي قاد جميع حركات التحرر في المنطقة العربية لذلك فهو[1].

- ثورة مستمرة من أجل إرساء القيم والمبادئ.
- الشعور بالانتماء إلى ما يسمى بالأمة الإسلامية: ظل مسيطرا على جميع التغيرات الاجتماعية و الدينية للمجتمع الإسلامي خالقا تضامنا حول عناصر التقديس الديني الإسلامي
- جوهر الإسلام هو العقل: فجوهره دعوة على إعمال العقل بأن يترك للإنسان منطقه المجرد يتعامل مع الواقع الذي يحيط به، فيترك المواطن ينظم واقعه السياسي بإرادته المستقلة وهو بذلك أكثر الأديان عصرية، يلتقي مع خبرة الإنسان المعاصر، يقيم العلاقات السياسية على مبدأ البيعة أي الإرادة الجماعية . و الإجماع عنده مصدر مباشر لتنظيم العلاقة السياسية أي الإدارة الجماعية، ويعرض على الحاكم مبدأ الشورى أي مبدأ تعدد الإرادات في صنع القرار السياسي القومي و غير القومي ويفرض مبدأ المسؤولية على كل من يملك سلطة، فلاحق دون التزام «كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته» ككل من يملك سلطة مسؤول إزاء من يمارس في حقه تلك السلطة.
- لقد أعلن الإسلام وحدة قيم الممارسة في التعامل الداخلي وكذلك التعامل الدولي: فكما أن المسلم يخضع لقواعد و أخلاقيات معينة فكذلك غير المسلم يجب أن يخضع كمبدأ عام لنفس قواعد التعامل، هذه الناحية أذهلت عالم القرون الوسطى في الحروب الصليبية التي عبر عنها مؤرخو ذلك العصر من الأوربيين بالشهامة العربية، فإخضاع التعامل الخارجي لنفس قواعد التعامل الداخلي تعبير عن قيم واحدة مطلقة لا تعرف الاستثناء.

1- حامد عبد الله ربيع: مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي، تحرير، سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، ط 1 مكتبة الشروق القاهرة 2007 ص 374

- مظهر آخر من مظاهر القوة في الدعوة الإسلامية في بعدها السياسي يثيرها الواقع المعاصر و هو علاقة الإسلام بالعالم الثالث: فلم تستطع أي حضارة غربية من استيعاب المجتمعات المختلفة و الملونة وبرغم الإغراءات التي تقدمها الشيوعية مثلا فإن تعاليم ماركس لم تجد لها صدى في المجتمعات الإسلامية في جنوبي الإتحاد السوفياتي سابقا و في غرب الصين و على العكس من ذلك الحضارة الإسلامية كانت لا تزال تنشر في الشعوب دون أي قوة سوى الإيمان و الحبشة نموذج واضح حيث ارتفع الإقبال على الإسلام إلى 40 % من المجموع الكلي للسكان و هو تعبير عن حقيقة أساسية هي أن أقرب التصورات الإيديولوجية السياسية إلى مجتمعات العالم الثالث الآسيوي و الإفريقي هو الإسلام[1].

إن علماء النظرية السياسية يتحدثون عما يسمى بنهاية الإيديولوجيات وهذا يعطي للإسلام دفعة قوية، فالعالم المعاصر يعيش فراغا فكريا حقيقيا، يبحث عن نموذج للوجود السياسي، من هنا تبرز قوة الإسلام خاصة من تلك المواقع التي استطاعت أن تظل محتفظة بولائها وانتمائها ولو في الوعي والشعور الجماعي.

- إن أهم عنصر من عناصر القوة في الدعوة الإسلامية ذات البعد السياسي: مبدأ العدالة، فأي نظام سياسي يقوم على مبدأ الحرية وينسى معنى العدالة أو يجعل مرتبتها عقب الحرية مصيره الفشل[2].

كذلك أي نظام سياسي يرى أن المساواة هي اللبنة الأولى لوجوده مصيره الإخفاق، فالإسلام يجعل العدالة محوره الأول والسياسي لنظام القيم الإسلامية وهو ليس مراد فالنظام قضائي حيث لكل ذي حق جحقه بل إنه جوهر التعامل فكل صاحب سلطة يجب أن يكون عادلا، فغير العادل يفقد شرعيته، و العدل مثالية تغلق كل تعامل سياسي و غير سياسي.

1- حامد عبد الله ربيع: مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي، م . س . ذ ، ص 376

2- المرجع السابق، ص 377

- يرتبط مبدأ العدالة الاعتدال أي التوسط و رفض المبالغة، فتعاليم الإسلام تقوم على فرص الالتزام الذي يستطيع أن يتحمله الإنسان العادي، و الأمة التي توصف بأنها خير أمة أخرجت للناس هي أمة وسط، و الإسلام دين الفطرة، يرفض التزامات ويعطي حقوقا و كلها خصائص تضفي على الدعوة الإسلامية ذات البعد السياسي قوة في صراعه الفكري مع النماذج الأخرى للوجود السياسي[1].

المشاكل المعاصرة و الواقع السياسي الإسلامي:

لعل السؤال الذي يطرح نفسه كيف لأمة تملك مثل هذه الخصائص ونقاط القوة أن تؤول إلى ما آلت إليه، فالأمة تعاني من التفتت و الانقسام على جميع المستويات، سياسي، وحدود، وتجزئة فرضها المستعمر، أرض محتلة، انحراف عقائدي شمل غير الملتزمين بالإسلام و الملتزمين أيضا، تعصب بعيد عن العلم في صفوف الكثير من المسلمين وهجمة معادية شرسة لم يعرف لها التاريخ مثيلا، مدعومة بالتكنولوجيا الحديثة والتفوق العلمي المذهل وتخلف اقتصادي وسياسي وعلمي ...

لكن الأخطر في الاختلاف الفكري و التشرذم العقائدي فهو من أكثر الآفات التي تفت عضد الأمة لقد وقف المسلمون عاطفيا في صدر الإسلام مع الرومان في حربهم ضد الفرس وكلاهما عدو ومع ذلك تمنى المسلمون أن يتغلب الروم لأنهم أهل كتاب و الفرس مشركون، و في عصرنا الحاضر المسلمون أشداء فيما بينهم رحماء بالأعداء حتى من لا يطلق لحيته عند بعضهم كافر مرتد يستحق القتل بينما لا يستحق من يدعو إلى نبذ الإسلام أن يجادل بالتي هي أحسن على أقل تقدير إن القائد المسلم المعاصر يجب أن يكون بعيداً عن التعصب، قادرا على توظيف ظاهرة الاختلافات المذهبية في مصلحة الإسلام وجعلها ظاهرة مناقشات هادئة لا تمنع التعاون والوقوف صفا واحدا في وجه عدو مشترك.

1- حامد عبد الله ربيع: مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي، م . س . ذ ، ص 376

القائد المعاصر يجب أن يكون مؤهلا لتوحيد المفترق لا لتقسيم المؤتلف، يجب أن يفرق أيضا بين الإرهاب ومكافحة العدوان، بين الجهاد و قتل الناس في سبيل المال، بين الحزم والظلم بين الشورى والفوضى، بين التديفن و التعصب، بين المرونة السياسية والتنازل عن الحقوق حتى لا تتوالى التنازلات [1].

خلاصة القول أن الإسلام دين سياسة و دين عملي عالج أمورا واقعية أكثر من النظرية، فليس من المعقول أن يفتح مدنا من غير أن تكون له قواعد سياسية يتماشى بموجبها ويتعامل الغالب مع المغلوب بمقتضاها، فالدين من كان عمليا في روحه جعل للمصلحة العامة اعتبارا فوق سائر الاعتبارات، فالدعوة الإسلامية ذات البعد السياسي لا تفرق بين السلطة الروحية و السلطة الزمنية، ليتعذر الفصل بينهما، فهي دعوة للسعادة الدنيوية و الأخروية معا، فيها من النظم الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الروحية المرنة ما يكفل لها تبوأ سدة الحكم باعتبار فلاسفة أجانب ومفكرين كما تمنح الحكام باعتبارهم المسؤولين أمام الله و أمام الشعب من الطغيان و السير وراء الباطل ومنع المادة التي طالما قادت الأمم إلى الحروب ظلما وعدوانا، ومن هنا كانت ضرورة تسليم الحكم في الإسلام إلى جماعة تعرف نظام الحكومة الرشيدة، وتدرك التبعات المترتبة عليها أمام الله و أمام الشعب نحو ما كان عليه فخر رجال الحكم في العالم: ابوبكر و عمر اللذان ضربا مثلا في كيفية تولي أمور الناس[2].

النموذج الإسلامي والممارسة السياسية: الحضارة الإسلامية حضارة خالقة وخلاقة تمثل قسط ضخما من الممارسات في النطاق القومي والإقليمي و الدولي، لكن هل تملك أصالة في تأملاتها السياسية ؟

العلاقة بين الفكر و الممارسة علاقة دياليكتيكية ثابتة إذ لا حركة دون فكر مسبق لأن الحركة هي التصور ولا فكر دون خبرة والخبرة هي الحركة،

1- أحمد راتب عرموش: قيادة الرسول م . س . ذ ، ص 218

2- محمود مهدي الأستانبولي: عظمة الإسلام ، م . س . ذ ، ص 365

وتبلورت من حيث نتائجها، فكيف نستطيع إلغاء عنصر من عناصر التراث الإسلامي ؟ كذلك الخبرة لم تكن مغلقة، لقد تعاملت مع الغرب و الشرق ومع الحضارات الهندية و الصينية و الفارسية، ومارست الارتباط الفكري و الحركي بالحضارات اليونانية و الرومانية وخلقت معهم اتصالا، فكان التعامل بالتأثير والتأثر إذ لا تنشأ حضارة من العدم واستمرارية الصراع الإنساني في سبيل تأكيد الذات لم تتقطع ولن تتقطع وكما أخذت ممن سبقها قسطا من المفاهيم والخبرات قدمت بدورها لمن لحقها آخر التراكمات الفكرية و الحركية ساهمت فيما وصل إليه الإنسان في صراعه ضد الظلم و العبودية[1]. وأول المتغيرات المهمة في تطبيق هذا النموذج الإسلامي:

- سيادة الأخلاق ووحدة قيم الممارسة، فالنموذج الإسلامي يقوم عل أساس الإطلاق في كل ما له صلة بالأخلاقيات، إنه لا يعرف مبدأ إعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله ولا يقبل أن تكون الحركة إلا على القيم و الأخلاقيات حتى في النظام السياسي، لذلك لا يقبل الفصل بين الحياة الخاصة و الحياة العامة[2].

فمالا يصلح في الحياة الخاصة فلا موضع له في الحياة العامة، وشرط الولاية العامة تحقق مواصفات الصلاحية للولاية الخاصة (وهو مبدأ مهم في الاتصال العمومي بالمعنى الحديث) و ما ينطبق على المواطن العادي ينطبق على الحاكم، بل إن القواعد الممارسة الأخلاقية لا تقتصر على قواعد التعامل القومي و الداخلي أي مع المواطن المسلم و المواطن غير المسلم في حالة السلم، بل تتعدى ذلك إلى التعامل مع غير المسلم و في حالة الحرب، فمنع الاعتداء على الأطفال و النساء و الشيوخ وعدم تخريب الممتلكات و غيرها معروفة في أخلاقيات الإسلام وسيادة هذه الأخلاقيات ظلت ثابتة ولو بقسط من مراحل الانحلال و التحلل التي أذهلت الصليبيين حيث عبروا عنها بالفروسية و الشهامة و هو تعبير عن أخلاقيات ممارسة السياسية.

1- حامد عبد الله ربيع: مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي، م . س . ذ ، ص 297

2- المرجع السابق، ص 298

- سيادة الأخلاقيات و النظرة المتميزة للحضارة الإسلامية في تعاملها مع الوجود الإنساني: وهي قاعدة أخرى مطلقة لم يقدر لها التحليل الكافي من حيث آثارها السياسية و هي النظرة إلى الحياة الدنيوية على أنها معاناة و التعامل مع السلطة على هذا النحو هو على أنه اختبار حيث ممارسة الحكم محنة و الخضوع للحكم محنة و الحياة اختبار يبدأ من إخضاع المواطن لاختبار عسير و ينتهي بإثبات القدرة و الصلابة كإنسان مؤمن، فتصير السلطة واجبات قبل أن تكون حقوقا وامتيازات والطاعة لا تكون لما هو مخالف للتقاليد الدينية و القواعد الأخلاقية، و السلطة لا تعني الاستسلام، فمن واجب المواطن تقويم السلطان إذا أخطأ، و المسؤولية التزام، لأن مخالفة الأخلاقيات الإسلامية منكر، فالحضارة الإسلامية ترى في الحياة الدنيا إعداد لاستقبال الحياة الأخرى[1].
- مفهوم الاتصال هو محور النموذج الإسلامي للممارسة السياسية، الاتصال بأوسع معانيه يقصد به نقل المدركات وخلق الاقتناع بتقديم صورة واضحة ومحددة للحقيقة موضع المناقشة والحضارة الإسلامية أساسها نشر الدعوة و العقيدة، محورها ووظيفتها خلق الإقناع بالحقيقة الدينية، واجب الرسول هو الدعوة و الدعوة لقاء بين مرسل ومستقبل و الداعي يجب عليه تقديم الحقيقة ليكون المستقبل على استعداد لتلقي الحقيقة، إنه تربة يجب أن تكون صالحة لتنبت البذرة لتؤتي ثمارها، فالدولة وظيفتها الدفاع عن العقيدة وأساس شرعية السلطة ومحور و سبب وجودها هو نشر الدعوة، فالدين و السلطة يتفاعلان تحقيق ديناميكية واحدة، محور هذا التفاعل هو الدين و أداة الدين هي السلطة و المواطن يحقق ذاته من خلال الاستجابة إلى قواعد الممارسة الدينية.

1- حامد عبد الله ربيع: مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي، م . س . ذ ، ص 298

- إن القيم في الإسلام دينية سماوية أخلاقية تسود الحاكم قبل المحكوم وهي جوهر عقد " البيعة " تعطي للمحكوم حق " الثورة " بل واجب رفض الحاكم لأنه يصير من قبيل الطغيان، فتعدد مراكز القوة[1].
- جوهر الحضارة الإسلامية العقيدة التي تقوم على مبدأ الارتقاء الديني، ففي المجتمع غير المسلم هناك أهل الكتاب و عبدة الأصنام و المسلمين، وهناك الأتقى و أقل تقوى، فجوهر الحضارة الدينية يصير تميزا طبقيا من منطق مفهوم التقوى هذه الحقيقة تعني الاختيار، الشعب المسلم هو الشعب المختار وصاحب الوظيفة الحضارية القيادية و الإسلام خير الأديان ومحمد خاتم المرسلين صلى الله عليه و سلم.
- الدعوة الإسلامية تقوم على الإقناع و الاقتناع وتؤمن أن التعامل يجب أن يجعل من القوة المحرك التالي للاقناع و الاقتناع، فالقائد مدعو لاستخدام القوة إن اقتضى الأمر ذلك، فالحق الذي لا تسانده قوة لا قيمة له و فرض الاحترام سياج لابد منه للدولة من أجل هيبتها[2].

خصائص العلاقة السياسية في الإسلام: - هي علاقة مباشرة لا تعرف الوسيط، يقف كلا الحاكم و المحكوم موقف المساواة دون عقبات اجتماعية أو نظامية.

- هي علاقة كفاحية تفرض على المواطن الدفاع عن المثالية الحركية بجميع الوسائل و الأدوات.
- علاقة مطلقة لا تعرف التمييز و لا التنوع، فمفهوم التنوع الطبقي أو التدرج التصاعدي لا تعرفه التقاليد الإسلامية، و التميز بين الحاكم و المحكوم تميز وظيفي لا ينبع من متغير الانتماء ولا الاستمرارية الوراثية.

1- المرجع السابق، ص 300.

2- حامد عبد الله ربيع: مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي، ص 302.

- لقد جمع النموذج الإسلامي بين خصائص متعددة ليقوم بذاته الخاصة والمتميزة، فهو يجمع بين الفكر و الحركة ويخلق توازن بين الحاكم و المحكوم ولا ينسى أن السيادة وليدة القوة وأن القوة تحمي الشرعية والجمع بين الخصائص المتباينة و المتعارضة هو المحور الحقيقي الذي منه تنبع طبيعة ويتحدد جوهره في الممارسة السياسية.

- إن تقبل النظرة إلى تطبيق القيم الإسلامية لما لا يقبل النقد و التقييم مبالغة أخرى لأنها تخلط بين التراث الإسلامي الحضاري و التطبيقي كممارسة وضعية، فهناك فشل في تطبيق القيم السياسية الإسلامية بدرجات متعددة و متنوعة تبدأ على الأقل منذ مقتل عثمان فشل خبرة إنسانية في حاجة إلى دراسة وتعمق، هناك أيضا فشل فكري في عملية إحياء التراث الإسلامي وتحليل معاناة المسلمين لتقديم كل ذلك بوصفه تراثا بلغة العصر الذي يعيشه[1].

أهمية القيادة الرشيدة لإنقاذ البشرية من التردي المادي و الروحي والأخلاقي: إن نهضة كل أمة في التاريخ ارتبطت بقائد سار بها على دروب المجد، ودراسة حياة محمد صلى الله عليه وسلم و الإقتداء به تبقى أهم وسيلة لنهضة المسلمين و بعثهم من جديد فكما قال العقاد: إن التاريخ كله بعد محمد صلى الله عليه و سلم متصل به و مرهون بعمله وإن حادثا واحدا من أحداثه الباقية لم يكن ليقع في الدنيا كما وقع لولا ظهوره، فهو لا يقارن بغيره من القادة المشهورين في التاريخ و أحسن دليل على ذلك الإنقلاب الذي حققه بالإسلام مقارنة بما كان عليه حال العرب قبل ظهوره[2].

لقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم أسس دولة الإسلام وأكمل خلفاؤه وصحابته البناء، لكن تخلف المسلمون بعدهم وبقي الإسلام ينتظر القيادة الصالحة الواعية القادرة على استيعاب الماضي و العيش في الحاضر، و دراسة الجانب القيادي

1- المرجع السابق، ص 327

2- أحمد راتب عرموش: قيادة الرسول السياسية و العسكرية ، م . س . ذ، ص 07

في شخصية محمد صلى الله عليه وسلم تلقى ضوءا على سبل بعث المسلمين من جديد، فهو كقائد صلى الله عليه وسلم يمثل قدوة إذا قاد الناس من الولاء للعشيرة أو القبيلة إلى الولاء للأمة الواحدة، ونظمت العلاقات الاجتماعية بين عناصر المجتمع الجديد المؤلف من مسلمين و يهود في معاهدة عرفت في كتب السيرة باسم «الصحيفة» لينتقل بعدها للكفاح المسلم ضد القوى التي حاربته و منعته من نشر دعوته في مكة و الأخرى المتربصة له في المدينة ولكي يضمن النصر كان لا بد من توفر 3 شروط ضرورية لكل نصر:

- قيادة ممتازة متوفرة في شخصيته صلى الله عليه وسلم.
- جنون ممتازون أعدهم لذلك بتربيتهم.
- قضية عادلة و الدعوة الإسلامية أعدل دعوة عرفتها البشرية وحروب المسلمين الأوائل أكثر الحروب عدلا ومشروعية[1].

لقد حقق الرسول صلى الله عليه وسلم في مدة وجيزة ما لم يحققه أي قائد عسكري أو زعيم سياسي في مختلف العصور ففتح مكة ووحدة الجزيرة ومحاربة الرومان و أنذر الفرس، ولما مات كان جيش المسلمين يتأهب للتوجه للجبهة الشمالية إلى أرض فلسطين.

لقد اتصف صلى الله عليه وسلم بصفات قيادية متميزة هي نموذج للقيادة المعاصرة:

- القدرة على اتخاذ القرار الصحيح في الوقت المناسب: إذا توافرت له المعلومات الكافية الصحيحة و الدقيقة عن العدو و الصديق و الأرض وحوله مستشارون (أركان حرب) اكفاء وكان يملك ملكات فعلية راجحة ومحاكمة سريعة.
- الشجاعة الشخصية و الإرادة القوية الثابتة.
- تحمل المسؤولية بلا تردد.
- معرفة مبادئ الحرب و الخبرة في أصولها.

1- أحمد راتب عرموش: قيادة الرسول السياسية و العسكرية ، م . س . ذ، ص 156

- نفسية مستقرة ثابتة لا تتبدل في حالتي النصر و الهزيمة، فالسيطرة على النفس في حالات النصر و التحكم في الانفعالات على أنواعها أصعب من السيطرة عليها في حالات الهزيمة فكم من قائد قتله غروره بانتصارات وهمية، أما محمد فقد فتح مكة وليس أقدر منه على تقدير ذلك و أهميته ومع هذا فقد رآه الناس يدخلها حاني الرأس خاشعا لله و تواضعا لعباده لم يغره نصره ولم يدفعه انفعاله لانتقام[1].
- العمليات النفسية وإستراتيجية المواجهة: لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم أبرز قادة العمليات النفسية عبر التاريخ، فقد كان يستخدم في الغزوات الثماني و العشرون التي قادها بنفسه مدرسة عسكرية متقدمة على عصره سواء في تطبيق مبادئ الحرب الأساسية كما يفرضها اليوم أو في مجال الحرب النفسية المساندة لهدف الحرب و لا غرابة في ذلك فقد علمه شديد القوى، خريج المدرسة الربانية، مارس الحرب النفسية، الدفاعية و الهجومية، فقد استخدم الإجراءات النفسية الدفاعية بإشاعة الأمل و التفاؤل في المسلمين و الحفاظ على روح التآخي و منع أسباب إثارة الفتن و السماح بالترفيه البريء و الإكثار من الدعاء لتقوية العزائم و القوة، و نهج نهجه الخلفاء الراشدون في معاركهم و فتوحاتهم مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وصولا إلى صلاح الدين الأيوبي.
- بعد النظر وصحة التوقعات.
- معرفة نفسية الجنود و إمكانياتهم.
- المحبة المتبادلة بين القائد و عساكره و الثقة المتبادلة بينهما أيضا.
- شخصية القائد القوية و المهابة و لا تكون كذلك إلا إذا كان الشخص صادقا، جوادا ووفيا و لينا و محبوبا و متواضعا، لأن هذه الصفات تطلق على شخص مهاب محترم ومختلف عن الشخص القوي المخيف[2].

1- سياسة ابو النصر: الإعلام و العمليات النفسية في ظل الحروب المعاصرة واستراتيجية المواجهة م . س . ذ، ص 47

2- سامية ابو النصر: الإعلام و العمليات النفسية م . س . ذ، ص 165

- **اللياقة البدنية:** ليست قوة العضلات فقط بل صحة الجسم و قدرته على تحمل المشاق فقد قاد الرسول صلى الله عليه وسلم سبعة عشرون غزوة كلها بعد ما تجاوز الثالثة و الخمسون من عمره.
- **الماضي الناصع المجيد المشرف:** لقد عرف الرسول صلى الله عليه و سلم بالأمين قبل بعثته و حكمته قريش بينها، عندما اختلفت في وضع الحجر الأسود قبل بعثته أيضا، لم يعرف مجون شباب قريش ولم يشاركهم أفعالهم و شهد له الجميع أنه كان مثالا للصدق والأمانة، و هي صفات اتفق معظم المنظرين العسكريين أنها ضرورية في القائد، و كان الرسول صلى الله عليه و سلم مبرزا فيها بالإضافة إلى فكره وأخلاقه وطاقاته الكبيرة، فالحرب علم وفن، عوامل النصر فيها معقدة وكثيرة التشعب وليس كل من طبق نظريات معينة حقق انتصارا و ليس كل من وضعه منصب قيادي قائد[1].

الواقع السياسي في العالم الإسلام: تعاني الشعوب المسلمة اليوم من الحكم القهري الجبري المستبد، غالبيتها موروثة بعد إسقاط دولة الخلافة العثمانية في مطلع القرن العشرين أو نتيجة انقلابات عسكرية أو مضادة المخطط لها من قبل القوة العالمية، فاتخذ كل من النظام الحكم الموروث والانقلابي نهجا سلطويا مستبعدا الشعوب، مما أعجزها من توفير لقمة العيش لأبنائها، فتخلفوا علميا و تقنيا وتعليميا و صناعيا وزراعيا و إعلاميا و اقتصاديا و اجتماعيا و هزموا عسكريا وغابوا غيابا كليا أو جزئيا عن عصرهم فازدادت الفجوة الفاصلة بينهم و بين الدول الصناعية اتساعا وعمقا مع الزمن حتى أصبحوا على هامش الحياة، فحاولت هذه النظم الاستبدادية الحاكمة في غالبية ديار المسلمين تجميل وجوهها اليوم بالانتخابات المزورة و المجالس النيابية و التشريعية الصورية التي ملئت بالانتهازيين و المتسلقين كي تستعين بهم هذه النظم الجبرية للمزيد من استعباد وقمع الشعوب باسم القانون ومؤسساته الصورية وأقصيت العناصر المخلصة القادرة على الإصلاح عن مقامات

1- المرجع السابق، ص 165

اتخذ القرار لتخلو لهم الساحة بالكامل، و اغتصاب الحكم من الشعوب لا يمكن أن يحقق أي تقدم أو وحدة للمسلمين لأن الأنانية تسود للاحتفاظ بالكراسي مما يجعلهم فريسة سهلة للقوة العالمية من أجل ابتزازهم ونهب ثرواتهم وهم عاجزون عن الدفاع عن مصالح شعوبهم أو قضايا أمتهم[1].

ومن هنا تأتي ضرورة المبادرة بالإصلاح السياسي في المجتمع المسلم الذي بدونه لن يتم أي إصلاح تعليمي أو إعلامي أو اقتصادي أو بيئي أو اجتماعي ....

كثير من المفكرين في مجال الإصلاح السياسي للمجتمعات المسلمة المعاصرة يرون أن الحل في الرجوع إلى النموذج الذي بناه المصطفى صلى الله عليه و سلم في المدينة المنورة وتبعه خلفاؤه الراشدون من بعده فأرسوا مبادئ و أسس نظام الحكم الإسلامي.

كما يرى بعض من السياسيين المعاصرين أن الخلافة هي صورة لكيان سياسي لم يعد مناسبا للعصر لمركزية السلطة في شخص الخليفة الذي تنبثق منه كل السلطات و الذي يرفع الخلاف بين المسلمين، و يعتبر رأيهم ملزما شرعا، والقضاة و الأجهزة التنفيذية نوابا عنه، فمنصب الخلافة ليس مؤسسة، هو شخص واحد يدبر مصالح المسلمين في أمور الدنيا و الدين شرط أن يكون فقيها مسلما حتى لا تكون هناك سلطة لجاهل على المسلمين و لا سلطة لغير المسلم على المسلم

لقد تكامل نظام الحكم الإسلامي في بعثة محمد صلى الله عليه و سلم و الصورة الخاتمة من الهدية الربانية للخلق أجمعين من أخذ بها نجا في الدنيا و الآخرة و من أعرض عنها هلك في الدنيا و الآخرة[2].

إذا أنكر المنكرون لإمكانية تطبيق الحكم الإسلامي الذي طبق لفترة ثلاثين سنة كنموذج للناس فأي نظام حكم موضوع حقق العدل الذي يرتضيه الله لعباده اليوم، بل هناك من يدعي أن الإسلام لم يأت بنظام سياسي محدد بل أتى

1- زغلول النجار: رسالتي إلى الأمة، م . س . ذ، ص 395.

2- المرجع السابق، ص 398

بمبادئ عامة في السياسة كالشورى و العدالة و الحرية و المساواة و الرد هو أن المسلم انطلاقا من هذا الإيمان بوحدانية الله يؤمن بوحدة رسالة السماء و بالأخوة بين الأنبياء و بين الناس جميعا ويؤمن بوحدة التراث الإنساني وانطلاقا من هذا الإيمان قام المسلمون منذ القرن الأول الهجري بالأخذ من منجزات كل الحضارات الإنسانية السابقة لهم و المزامنة لهم بعد غربلتها بمعايير الإسلام وقيمه ثم إثرائها بإضافات أصيلة شكلت منطق الحضارة المعاصرة بكل أبعادها (ما عدا مفاصلتها مع الدين) فالمسلم لا يرى حرجا في الأخذ بكل نظام مفيد على أن يتعارض مع الأصول الإسلامية الثابتة خاصة الأنظمة السياسية لا بد أن تكون دائمة التطور بحسب الزمان و المكان و الخبرات و التجارب البشرية، فلا مانع في الإسلام من وجود بعض الخطوات التنفيذية اللازمة لتحقيق حكم شرعي ثابت تترك مطلقة لإجتهاد المسلمين جيلا بعد جيل وأمة بعد أمة، ذلك أن الطرق التنفيذية وسائل لتحقيق الغايات و ليست غايات في ذاتها وهذا لا يتنافى مع كون النظام السياسي في الإسلام نظام محدد و ليس مجرد مبادئ عامة يشترك فيها مع غيره من نظم الحكم، فالحقيقة الراسخة أن السياسة جزء لا يتجزأ من الإسلام الذي أوجد نظام سياسي محدد له قواعده و ضوابطه و تفصيلاته جاءت في نصوص الكتاب و السنة[1].

إن الدين و الدولة في الإسلام أمران متلازمان يكون الحاكم فيها مسؤولا عن وحدة الأمة و احترام إرادتها و تأكيد الأخوة الإسلامية و الإنسانية و التكافل الاجتماعي و الدعوة الإسلامية و المساواة القانونية بين جميع أفراد المجتمع و الالتزام بمكارم الأخلاق ومبدأ الدفاع المشترك و حرية المواطن في اختيار دينه مع الإقرار بضرورة الاحتكام إلى الكتاب و السنة.

وقد كانت وثيقة المدينة أول تعاقد سياسي رسمي مدون أسس للدولة في الإسلام أركانها و قواعدها و منهجها السابق الذكر، فقد أقرت وثيقة المدينة مبادئ مميزة أهمها:

1- زغلول النحار: رسالتي إلى الأمة، م . س . ذ، ص 398

- مبدأ المواطنة المشتركة في الدولة.
- مبدأ التكافل الاجتماعي.
- المحافظة على أمن الدولة
- المساواة و مبدأ سيادة الشريعة و حاكميه الكتاب و السنة.
- مبدأ الدفاع المشترك.
- مبدأ حرية تقرير المصير للمخالفين[1].

البعد الإقتصادي:

يعالج البعد الاقتصادي للاتصال العمومي قضايا مثل البطالة وسبل مكافحتها، محاربة آفة التبذير، الحث على ادخار الطاقة ،التقليل من سرعة السيارات لاقتصاد الطاقة، حماية المستهلك بحثه على اقتناء و شراء الأجود بتكلفة أقل ...، و غيرها من القضايا التي تهم الاتصال العمومي في بعده الاقتصادي[2].

إن البعد الاقتصادي للاتصال العمومي يساهم مساهمة فعالة و يؤدي على نتائج مرضية في الحياة الاجتماعية، فالسلوك الاقتصادي عند الناس و العادات الاستهلاكية وكيفية توجيه الناس اجتماعيا ببعد اقتصادي في مجال الاتصال العمومي يرشد الاستهلاك ويحسن سلوكهم الاستهلاكي نحو الأفضل مما يحقق وفرات اقتصادية سواء الأفراد أو الجماعات أو المجتمع أو الدولة ككل.

وقد يتداخل البعد الاقتصادي للاتصال العمومي بأبعاد أخرى كالبعد الصحي مثلا كمنع التدخين ومنع إلقاء النفايات في المناطق وأوقات معينة، قد تبدو ذات علاقة بالبعد الصحي للاتصال العمومي لكنها في نفس الوقت ذات بعد اقتصادي نظرا لما توفره من جهد و مال إذ تم التعامل معها بطريقة صحيحة وتمكن الاتصال العمومي من تغييرها وبناء سلوكات أفضل، كما أن عادات كثيرة في المناسبات مثل الأفراح تؤدي إلى التبذير في المصاريف و الإسراف غير المبرر، كل

1- المرجع السابق، ص 406

2 -Michl LeNet: Communication Publique , op.cit , p 50

ذلك يمكن تغييره نحو الأفضل مما يخلق مجتمع حضاري متنامي و متعاون، متكامل و متوازن، يوفر على خزينة الدولة الكثير من الأموال، كما يمنع هدر المال العام و توفير في فاتورة الدولة[1].

علاقة البعد الاقتصادي للاتصال العمومي بالدعوة الإسلامية :

إن ما يجعل الدعوة الإسلامية بارزة في اهتماماتها بالاقتصاد وتسخيره لمصلحة العامة كون الإسلام تعاوني في تكوينه فقد كان الخلفاء المسلمون من عهد عمر حينما يتمكنون من أراضي الأعداء يجعلون ملكيتها للدولة ثم يوزعونها على الناس لاستثمارها فقط مع دفع خراجها إلى بيت المال.

كذلك نظام الوقف في الإسلام ملخصة إبقاء عين الأرض محبوسة على الجهة المعينة لها إلى قيام الساعة، فلا تباع و لا تورث وتنفق غلتها في المصارف التي حددت لها من نواحي الخير كما أن الاقتصاد في الإسلام جعل نصيب الفقراء و المساكين في أموال الأغنياء حقا معينا يؤخذ جبرا إن لم يدفعوه عن رضا و طيبة خاطر[2].

فالزكاة ليست تبرعا لكن حقا و أمانة تدفع من الأموال الظاهرة رأسا لأصحاب الحقوق صيانة لعواطفهم وتنظيمها للإحسان، فالهبات العفوية سبب لنشوء الإتكالية ومد يد السؤال وبذلك حل الإسلام مشكل الفقر و البطالة برفع مستوى الجميع وتشجيع الحث على المشاريع التعاونية المشتركة (كالشركات المساهمة و غيرها) واشترط لنجاحها عدم خيانة الشركاء أو سعيهم لاستغلال المستهلكين وأذاهم، فالتكتل و التعاون الاقتصادي شرعه الإسلام لصالح الجماعة الإنسانية فقط و عكس ذلك إجرام، فالقاعدة الفقهية الأساسية هنا: التعرف على الرعية منوط بالمصلحة لذلك فهو يحارب كل السلوكات الاقتصادية المضرة بالجماعة و المجتمع، فيحارب الادخار المفرط باعتبار الأغنياء وكلاء الله على الأرض والمال مال

1- سناء الجبور: الإعلام الاجتماعي، ط1، دار أسامة، الأردن، 2010 ، ص 155

2- محمود مهدي الإستنبولي: عظمة الإسلام ، م . س . ذ، ص 419

الله للفقراء حق فيه، فهو يدعو لإقامة التوازن بين الطبقات باستمرار وزيادة أموال الفقراء بفرض الزكاة، فالدعوة الإسلامية في بعدها الاقتصادي إعلان صريح لحق الجماعة في مال الفرد ودعوة إلى الحجر على ثورة المسرفين السفهاء خشية تبديد المال وحرصا على سلامة الأخلاق لتفادي الإفساد في الأرض بسبب التبذير بل إنها دعوة إلى الدفاع عن حق العامل بالدعوة إلى الإحسان في معاملة بإيقاظ التسيير الإنساني و الرقابة الاجتماعية[1].

كما أنه يحارب المرابين الذين يسببون الأزمات الاقتصادية ويضاعفون أموالهم بطرق غير مشروعة بواسطة الإضرار بالناس، بالمقابل حث على مساعدة المحتاجين قرضا أو صدقة دون مقابل

فالربا ضرر بليغ و خفي في إحداث الأزمات الاقتصادية الدولية، فالمنتجين يستقرضون بالفائدة ليكثروا إنتاجهم فيزيدون عمالهم لهذه الغاية ويوسعون تجارتهم فتفيض المنتوجات عن الحاجة ويقل الطلب عليها ويتجمد السوق ويتوقف المرابون عن التسليف من جديد ويطالبون بأموالهم خشية الإفلاس، فيضطر المنتج إلى تقليل الإنتاج و تسريح العمال فتعم البطالة وتحدث الأزمة، فالمرابين يعيشون في البطالة كالديدان الطفيلية يفترسون المعوزين ويقتلون أصحاب الكفايات التجارية، وهذه الحكمة من مكافحة هذه الآفة فالربا و الغش و الاحتكار و الابتزاز و غيرها من وسائل الكسب غير المشروعة و غير النظيفة تعمل على تضخم الثروات الفاحشة دون جهد أو عناء، مما يسبب الفروق البعيدة بين الطبقات الشعبية، لأن الطرق المشروعة النظيفة قل ما تسبب هذا التضخم المحقق المؤدي إلى آفات اقتصادية واجتماعية وخيمة[2].

فالإسلام لم يرجع المشكلة الاقتصادية إلى قلة الموارد الإنتاجية أو شكل الإنتاج إنما يرجع ذلك إلى سواء استخدام الإنسان للثروات و سوء تنظيمه الاقتصادي في توزيع الثروات و الدخول المعاشية و الابتعاد عن السلوك الاقتصادي الإسلامي.

1- محمود الإسطنبولي: عظمة الإسلام، م . س . ذ، ص 430

2- المرجع السابق ، ص 438.

فالإنسان مستخلف في الأرض استخلاف إدارة واستثمار و تنمية و هذا الاستخلاف تكليف لا يتم أداؤه إلا بإتباع أوامر الله عز وجل وما رضيه للإنسان من معاملات على هذه الأرض و الإسلام بإقراره للملكية الجماعية و الملكية الخاصة لا يعتبر التفاوت في المعيشة مشكلة اقتصادية، لأن أفراد المجتمع يختلفون بالخصائص و الصفات النفسية و الفكرية و الجسدية ولذلك قد يبذل بعض الأفراد جهدا أكثر من الآخرين مما يحقق لهم مكاسب أكثر تملكا قد يزيد عن بعض أفراد المجتمع ولكن المشكلة تحدث إذا أصبح التفاوت شديدا بين أفراد المجتمع وولد ذلك طبقات تقسم المجتمع إلى أغنياء و معدمين وعندها تحدث المشكلة وهذه المشكلة لها حلول عديدة في الإسلام تقوم على التكافل و التضامن الاجتماعي و منها أداء الفروض المالية كالزكاة التي تعتبر حق مفروض، و كما يوجد طرق إجبارية، يوجد طرق اختيارية قائمة على التعاطف الاجتماعي كالصدقة و التبرع والإيثار والإحسان ...، وهي أيضا تساهم في تجاوز الأزمات الاقتصادية، فالعلاقة هنا ليست مجرد علاقات يفرضها الاجتماع وتلبية للحاجات بل علاقات إيمانية و روابط أخوية قائمة على محبة الخير للآخرين كما يحب الفرد لنفسه[1].

كما وضع الإسلام حلاً لمشكلة الفقر بالحض على العمل، فالفقراء قد يكونون مسؤولين في تقصيرهم لعدم قصدهم العيش و العمل، لذلك فمكافحة الفقر في المجتمع تكون بدفع المجتمع نحو العمل و تأمين فرصة ليسعى الأفراد جميعا للعمل وبذلك لا يكون للفقر مكانا بينهم، فالفقر آفة لا تعوق الحياة فقط بل أيضا مزاولة العبادة و الالتزام الخلقي لانشغال النفس و عدم حضورها لذلك فالتخلص من هذه الآفة واجب ديني و اجتماعي.

بالإضافة إلى الأمانة و الصدق وأداء الحقوق والتزام الوعود وغيرها من السلوكات و المعاملات التي يجب أن يتبناها أفراد المجتمع أثناء تلبية حاجاتهم الاقتصادية، بالابتعاد عن الغش و التدليس و الاحتكار و الاستغلال و المعاملات

1- أسعد أحمد جمعة: دراسات في علم الإجتماع الإسلامي، ط 1، دار العصماء، دمشق 2009 ، ص 143.

الربوية التي تعطل المعايير الأخلاقية فيصبح الهدف من الاستثمار الاقتصادي الربح بغض النظر عن مشروعيته وتتعطل أهداف المال الذي لأجله خلق فيغيب التكافل و التضامن و الصدقات و الزكاة بسبب سيادة النظرة المادية .

الحقيقة أن التفاوت و الظلم الاجتماعي الموجود الآن بين الطبقات التي تدين بالإسلام و المتباينة ليس من الإسلام في شيء، بل هو نتيجة الرأسمالية الحاضرة الخالية من القيود و الرقابة التي وضعها الإسلام، فالإسلام لديه من الكفاية ما يجعله يتشدد في تحقيق فكرة المساواة بفرض الزكاة كما يناهض عمليا المبادلات التي لا ضابط لها وحبس الثروات، كما يناهض و يحارب الديون الربوية و الضرائب غير مباشرة التي تفرض على المواد الأولية الضرورية، ويقف في الوقت نفسه إلى جانب حقوق الوالد و الزوج ويشجع الملكية الفردية و رأس المال التجاري و يحل بذلك مكان وسطا بين نظريات الرأسمالية البرجوازية و نظريات البلشفية الشيوعية ، فقد حل معضلة الطبقات حلا مدهشا بعدم إلغاء الطبقة الرأسمالية (كما تسعى إليها الشيوعية) لأن ذلك يخمد الهمم و العزائم ولم يجعل للبرجوازية الرأسمالية أية ميزة في الحكم على الطبقة العاملة (كما هو الحال في النظام الرأسمالي الحالي) بل ظل الإنسان المثالي ولو كان فقيرا معدما على الإنسان العاطل و المفسد ولو كان غنيا، فقيمة المرء عنده بعمله وتقواه لا بماله، بعكس المدينة الحديثة السائرة في ركاب المادية سيرا أعمى ، حتى أصبحت القوة السياسية تبعا لسياسة رجال المال و أهوائهم مما أدى إلى تطاحن الدول الرأسمالية القوية لاضطهاد الشعوب الضعيفة فزال الإسلام و الأمن من الأرض[1]. وخلاصة القول أن الدعوة الإسلامية في بعدها الاقتصادي أقرب بنسبة التفاوت بين الناس التي لا يمكن أن تنتظم الحياة بدونها لكنه ترك المجال حراً للجميع للتنافس في ميادين الحياة في طرق الكسب المشروعة إلا أنه فرض حقا معلوما للطبقات الفقيرة و المستضعفة من أموال الأغنياء، يزداد لما ازدادت ثروتهم حفظا لحقوق الطبقة العاملة حفظا أكيد (وهذا ما تطالب

1- محمود الإسطنبولي، عظمة الإسلام ،م . س . ذ ، ص 438

به النظرية الاشتراكية) ومن ناحية ثانية فتح ميدان العمل و الأمل للجميع (و هذا ما تنادي به النظرية الرأسمالية) ، فمنذ 14 قرنا و الإسلام يدعو لذلك، فدعوته تعاونية تقدمية من أوائل واضعي المبادئ الإنسانية التالية:

- مبدأ الزكاة العام الذي لم ينقض في اشد العهود ظلما فما من احد أنكره نظريا أو عمليا إلى أن غلبت عليه المدنية الغربية في عصرنا الحاضر .
- كراهة الإسلام للحاجة و الفقر و حثه على مكافحتهما أولا قبل كل رعاية لاعتبار آخر .
- كراهة الإسلام لتكديس الشراء في جانب واحد و الحرمان في جانب آخر لذلك يبيح لولي الأمر حرية التصرف حسب الوضع القائم .
- رعاية الأسرة وتقدير مدى الحاجة .
- مبدأ التأمين الاجتماعي العام لكل عاجز و محتاج .
- مبدأ التكافل العام الذي يجعل كل أهل البلد مسؤولين مسؤولية مباشرة عن الفقراء بل مسؤولية جنائية[1].

إن تخلي الشعوب عن الالتزام الديني الإسلامي الصحيح جعلها توظف ثمار التقدم العلمي و التقني في تكديس الأسلحة المتطورة ومنها أسلحة الدمار الشامل وفي استنزاف ثروات الأرض وتلويث مختلف بيئاتها وفي العديد من الحروب الساخنة و الباردة و التي راح ضحيتها ملايين الضحايا والفضائح والسلوكيات الضارة بأهل الأرض جميعا ، مثل الكارثة المالية و الاقتصادية الراهنة و التي تهدد أهل الأرض جميعا بالدمار بسبب شراهة النظم الرأسمالية لجمع المال دون أدنى ضوابط أخلاقية أو سلوكية ، و عليه فلا يمكن أن يكون السبيل إلى تحقيق نهضة معاصرة للمسلمين، باقتفاء آثار تلك النظم الوضعية التي انكشف مساوئها ، حيث تتجدد الأزمات المالية العالمية حيث كان أخرها في مطلع القرن 21 بتداعيات خطيرة للانهيار المالي الكبير في الولايات المتحدة الأمريكية و الذي تردد صداه في مختلف

1- المرجع السابق، ص 441

دول العالم وكان من أسبابه الرهن العقاري وفوضى السوق المالي الأمريكي القائم على الربا الفاحش و الخلل الواضح في سياسة الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية اتجاه العالم الإسلامي و الدخول في حروب غير مبررة أنهكت الميزانيات العالمية المالية العملاقة[1].

و للأزمة أسباب عديدة و متشابكة إلى الحد الذي يصعب فيه التمييز بين الأسباب و النتائج المترتبة عليها ، فتصاعدت الدعوات الغربية العلمانية إلى ضرورة تطبيق شريعة الإسلام في المجال الاقتصادي نظرا لثبوت خطورة التعامل بالربا كما فعلته المجلة الاقتصادية الفرنسية الشهيرة (challenges) بتاريخ 2008/09/11 حيث كتب رئيس تحريرها (Vincent Beau Fils) تحت عنوان " البابا أو القرآن" مقال أثار موجة عارمة من الجدل وردود الأفعال الاقتصادية حيث خاطب البابا الحالي الفاتيكان متهكما: « في هذه الأزمة نحن بحاجة أكثر إلى قراءة القرآن بدلا من الإنجيل لفهم حقيقة ما يحدث بنا و بمصارفنا واقتصادنا ، فلو احترمنا ما ورد في القرآن و طبقناها لم يحل بنا ما حل من كوارث و أزمات لأن النقود لا تلد نقودا » و بنفس الأسلوب طالب رولند لاسكين (Roland Lascine) رئيس تحرير (Le Journal Des Finances) يوم 2008/09/25 في افتتاحيته « بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي و الاقتصادي لوضع حد لهذه الأزمة التي تهز أسواق العالم من جراء التلاعب بقواعد التعامل و الإفراط في المضاربات الوهمية غير المشروعة »

كما عرض المخاطر التي تهدد الرأسمالية كنظام اقتصادي وطالب بالإسراع لإنقاذ الوضع الاقتصادي المنهار و ضرورة تطبيق مبادئ الشريعة رغم تعارضها مع المعتقدات الدينية السائدة في الغرب[2].

1- زغلول النجار: رسالتي إلى الأمة ، م . س . ذ ، ص 12

2- المرجع السابق، ص 358

و كان نفس الموقف لأي هيئة رسمية لمراقبة البنوك الفرنسية التي سمحت بالتعامل في الأسواق المالية الفرنسية بنظام الصكوك المالية و هي صكوك مرتبطة بأصول ضامنة بطرق متنوعة تتلائم مع مقتضيات الشريعة الإسلامية ومنع تداول الصفقات الوهمية و البيوع الرمزية الرأسمالية، كما صدر كتاب لباحثة إيطالية تدعى لوريتانا نابليوني بعنوان " اقتصاد ابن آوى " أشارت فيه إلى أهمية نظام التمويل الإسلامي ودوره في إنقاذ الاقتصاد الغربي المنهار، فنظام التمويل الإسلامي اعتبرته الكاتبة النظام الأكثر ديناميكية وعدل بين مختلف النظم المالية العالمية مؤكدة أن المصارف الإسلامية يمكن أن تكون البديل المناسب للبنوك الغربية، فالنظام الربوي عرف تصدعا كبيرا وأصبح محتاجا إلى حلول جذرية عميقة من أبرزها الأخذ بنظام الاقتصاد الإسلامي، وكما تبرزه العديد من الدراسات أن اليهود هم دعاة التعامل بالربا عبر التاريخ من ذلك إعلان إفلاس 12 بنك أمريكي خلال فترة أهمه بنك Lehmann Brother Bank الذي حول إلى الكيان الصهيوني الإسرائيلي 400 مليار دولار ثم أعلن إفلاسه قبل تفاقم الأزمة المالية العالمية بأشهر قليلة و هو بنك أسسه يهود مهاجرون إلى جانب إعلان سلسلة طويلة من البنوك ومؤسسات المال الأمريكية و الأوروبية إفلاسها وصل عددها في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها أكثر من 400 بنك أشهرها: (Lehmann Brother Bank) و (Washington Mutual Bank) الذي اشتراه بنك مرجان لإنقاذه من الإفلاس كما تم دمج بنك ميري لينش المالية (Merry Lynche) مع البنك الأمريكي (Bank Of Amerika) والقائمة طويلة، و كان ذلك كله تحت شعارات مزيفة مثل شعار اقتصاد الوقت التي دعت إلى تدويل حرية انتقال رؤوس الأموال دون رقابة وطنية وتنفيذ مخططات سياسية غربية محددة في مختلف دول العالم الثالث بصفة خاصة[1].

1- زغلول النجار: رسالتي إلى الأمة، م . س . ذ، ص 362

فالبعث الحقيقي هو في عودة المسلمين إلى تطبيق الإسلام نظاما كاملا شاملا للحياة والنهوض المالي والاقتصادي من مناشط الحياة التي يرتضيها ربنا من عباده الصالحين، ذلك أن الإسلام دين العقل و العدل و الحق و الرحمة والأخذ بكل وسيلة مشروعة لكسب المعارف النافعة وتوظيفها توظيفا دقيقا من أجل إعمار الأرض كواجبات كل مسلم ومن وسائله عونه على القيام برسالته في هذه الحياة على الوجه الذي يرتضيه من أجل النهضة بوضع الخطط اللازمة للتطهر من الربا وتابعاته والعودة إلى النظام الاقتصادي الإسلامي حتى يبدل الله غنى بعد فقر وبركة بعد قحط وعز بعد ذل ويغير حال الأمة الراهن لأحسن حال خاصة إذا كان الغرب وهم من هم قد اعترفوا بعدل وأحقية النظام الإسلامي في قيادة الاقتصاد العالمي فما بال المسلمين تعتريهم عقدة الدونية[1].

إن كل الحياة الاجتماعية في مجال للاتصال العمومي الهادف نحو المصلحة العامة لذلك كلما توسعت و تشعبت هذه الحياة كلما زادت الآفات و المشاكل وأصبح الاتصال العمومي أكثر من ضرورة خاصة في عصرنا الحالي، و مع أن أغلب المراجع ركزت على أبعاد دون أخرى سنذكر بعض الأبعاد التي يطالها الاتصال العمومي – على سبيل المثال لا الحصر – كونها فرضت نفسها كمجالات أساسية من مجالات الاتصال العمومي وربطها بأهداف الدعوة الإسلامية التي أثبتت في بعد ومجال تقديميتها في محاربة مختلف الآفات على اختلاف أبعادها و مجالاتها.

البعد البيئي:

لقد أصبح الحديث عن الاتصال البيئي حديث الساعة نظرا لما آلت إليه الطبيعة من تدمير وخراب بسبب الإنسان، ناهيك عن المؤتمرات و الملتقيات، المنظمة في هذا المجال و الاتصال العمومي أيضا يهتم بالسلوكات الحضارية التي تحافظ على البيئة، أما عناية السنة النبوية أو الدعوة الإسلامية فكانت أكثر تفصيلا وتفريعا بل سبقت في عنايتها بالبيئة بآلاف السنين عن طريق القرآن الذي وضع

1- المرجع السابق، ص 377.

الأصول و القواعد الكلية و السنة التي ترشح بالأحكام و التوجيهات الجزئية والفروع التفصيلية، حيث سبقت السنة النبوية الجماعات و الأحزاب المعاصرة في كثير من أنحاء العالم التي تنادي بالمحافظة على (الخضرة) في الغابات و غيرها و تندد (بقتلة) الأشجار و (بالمذابح) التي تتعرض لها الأراضي الخضراء نتيجة جهل الإنسان وجشعه[1].

أصبحت قضية البيئة ومشكلات البيئة وتلوث البيئة واستنزافها، بل التوازن في الكون كله حديث المثقفين و المفكرين و العلماء في العالم كله بل أصبح هم الجماهير الغفيرة من الناس لأن فساد البيئة و استنزافها يهدد الجميع حتى قال بعض الباحثين: لو كان للبيئة لسان ينطق وصوت يسمع لصكت أسماعنا صرخات الغابات الاستوائية التي تحرق عمدا في الأمازون و أنين المياه التي تخنقها بقع الزيت في الخلجان والبحار وحشرية الهواء الذي يختنق بغازات المصانع والرصاص في مدن العالم الكبرى.

لقد بات للبيئة علم خاص يبحث في قضاياها ويفصل موضوعاتها ويعالج مشكلاتها ألف فيه عدد كبير من الكتب في العالم و بمختلف اللغات و طبيعي أن تنشأ للبيئة و حمايتها في كل الدول مؤسسات رسمية و شعبية علمية و عملية و إقليمية و دولية و تعقد ندوات علمية و حلقات دراسية و مؤتمرات لمواجهة هذه القضية الكبيرة بما تستحقه[2].

لقد انتشرت كلمة حماية البيئة حتى غدت شبه مصطلح فيما ينبغي عمله نحو البيئة، لكن الكلمة الأحق و الأولى من كلمة الحماية هي كلمة الرعاية، فكما يقال، رعاية الطفولة ورعاية الأمومة، رعاية الأسرة، نقول أيضا رعاية البيئة، ذلك أن كلمة الحماية تقتضي المحافظة على البيئة من جهة العدم أو السلب، بمعنى المحافظة عليها من كل ما يفسدها أو يضرها أو يلوثها، أما كلمة الرعاية فهي

1- يوسف القرضاوي: السنة مصدر للمعرفة و الحضارة، دار الشروق، القاهرة، 2005، ص 141.

2- يوسف القرضاوي: رعاية البيئة في شريعة الإسلام، ط 2، دار الشروق، القاهرة، 2006، ص 7.

تقتضي المحافظة على البيئة من جهة الوجود ومن جهة العدم جميعا، بعبارة أخرى من جهة الإيجاب و من جهة السلب فمن جهة الإيجاب أو الوجود ينبغي العناية بالبيئة من جهة ما يرقي بها ويصلحها وينميها ويصل بها إلى الغاية الموجودة.

ومن جهة السلب أو العدم ينبغي حمايتها من كل ما يعود عليها بالضرر والتلوث و الفساد وكل هذا يدخل تحت مفهوم العناية، وهذا هو الفرق بين نظرة اليوم للبيئة بنظرة الحماية و نظرة الدعوة الإسلامية للبيئة بنظرة الرعاية و الإصلاح معرفة و سلوكا، فكرا و تطبيقا.

الدعوة الإسلامية شملت علم البيئة و علم الاقتصاد و الأخلاق لأنها ترى أن العناية بالثروة الحيوانية هي شمول الأخلاق السامية واتساع دائرة المسؤولية فيها، وأنها لا تقف عند الإنسان فقط بل تشمل كل كائن حي من الحيوان و الطير وغيره، بل في أحاديث أخرى ما يشمل الجمادات أيضا، فالدعوة الإسلامية تربية أوسع أفقا و أبعد مدى من مجرد التربية الدينية التي تقتصر في أذهان الكثيرين على غرس العقائد و تعليم الشعائر، إنها تربية و دعوة تتعلق بكل نواحي النشاط التي يمارها الإنسان في الحياة روحية و مادية، فردية و اجتماعية، نظرية و عملية[1].

❖ الدعوة الإسلامية تحافظ على الأجناس الحية من الانقراض:

تؤكد الدعوة الإسلامية إلى حقيقة كونية قررها القرآن الكريم في الآية 38 من سورة الأنعام، وهي أن الكائنات الأخرى – غير العاقلة – لها كينونتها الاجتماعية الخاصة التي تميزها عن غيرها وتربط بعضها ببعض فكل منها أمة مثلنا أي أمة لها كيانها واحترامها، ولا يقتضي ذلك المشابهة في كل شيء بل أن لله حكمة في خلقها و تمييزها عما سواها من الأجناس و الأمم الأخرى، فأمة النمل غير أمة النحل غير أمة العنكبوت و أمة الكلاب غير أمة ابن آوى، وما دامت أمة لا ينبغي أن تستأصل خلقها حكمة وضرب من المصلحة[2].

1- يوسف القرضاوي: السنة مصدر للمعرفة و الحضارة، مرجع سبق ذكره، ص 145.

2- المرجع السابق ، ص 146.

❖ تجاوز الدعوة الإسلامية لقضايا البيئة المعاصرة :

فالبيئة تقع في إطار مسؤولية الإنسان عن هذا الكون وأهمية الدعوة الإسلامية بها اهتماما فائقا لأنها تريد للناس أن يعيشوا في بيئة نظيفة، لكن قضايا البيئة في الدعوة الإسلامية لا تقتصر على التلوث المادي للبيئة فقط في صوره المتعددة و إنما أيضا التلوث الأخلاقي، فمعالجة الإسلام لهذه القضية تتم بشكل متكامل كما هو الشأن في معالجة لكل قضايا الإنسان، فالحفاظ على البيئة جزء أساسي من العقيدة حيث إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان حيث يشمل الأذى كل أنواع الإيذاء التي تلوث البيئة وتضر بمصالح الناس و صحتهم وأذواقهم و مشاعرهم، فتكدس القمامة في الشوارع أذى يضر الناس و الكلمة التي تخدش الحياء أذى يلوث البيئة الأخلاقية ويفسد أذواقهم ومكافحة الأذى بكل صوره يعد من الواجبات الدينية التي يكتمل بها إيمان المؤمن و ليست أمرا هامشيا يمكن التغاضي عنه، ما يقرر الإسلام أن الناس شركاء في أمور عدة من بينها الماء الذي يعتبر شريان الحياة، لذلك لا يجوز لأي من الشركاء فردا أو جماعة ان يلحقوا الأذى بالماء لأن ذلك يضر بصحة الإنسان، لذلك ينهي الإسلام الإنسان عن التبول والتبرز في المياه الجارية وينسحب ذلك على إلقاء النفايات الخاصة بالمصانع وما شاكلها في المياه الجارية وكذلك الشأن في الهواء، فالنهي يشمل كل ما من شأنه أن يلوث الهواء ويجعله ضارا بالصحة فملوثات الهواء مرفوضة إسلاميا لأن الهواء والماء لا يملكه فرد أو جماعة تفعل به ما تشاء وإنما هو ملك عام لكل الناس في كل زمان و مكان[1]. ويتصل بتلويث البيئة إشغال الطريق بأي شكل من الأشكال سواء كان ذلك بإشغاله بمخلفات البناء أو القمامة أو المستشفيات التي تعوق حركة الناس و تضر بصحتهم، أو حتى بإشغال الطريق بالجلوس فيه مما يسبب مشقة للعابرين، ففي الإسلام حتى الطريق لديه حق، وفي حياتنا اليومية أمور عديدة تعود الناس عليها على الرغم من أنها تعد من ملوثات البيئة التي تسبب إزعاجا للآخرين

1- محمود حمدي زقزوق: الإنسان و القيم في التصور الإسلامي، ط 2، دار الرشاد، القاهرة، 2003 ص 78.

مثل الضوضاء المفرطة و رفع الصوت عند الحديث وإساءة استخدام مكبرات الصوت في دور العبادة أو في الأفراح والتدخين و المبالغة في رفع أصوات الإذاعة والتلفزيون أو المسجلات في البيوت أو الشوارع أو السيارات و هي أمور تدخل في إطار الإضرار بالناس المنهي عنه طبقا للقاعدة النبوية لا ضرر و لا ضرار[1].

❖ **التأصيل الشرعي لرعاية البيئة:**

إن رعاية البيئة وحمايتها و إصلاحها والمحافظة عليها ليست أمرا دخيلا على علوم الإسلام و الدعوة الإسلامية وليست من ابتكار الغرب في هذا العصر، فرعاية البيئة تتصل بعلم أصول الدين أو علم التوحيد وبعلم السلوك وعلم الشريعة أو الفقه وبعلوم القرآن:

أ) **علم أصول الدين و رعاية البيئة:** دور الإنسان الأساسي اتجاه البيئة المسخرة له أن يتعامل معها بما لا يجافي سنن الله في خلقه و لا أحكام الله في شرعه فيأخذ منها و يعطيها ويرعى لها حقها لتؤتي له حقه ويتمثل هذا الدور الإنسان في مهام ثلاثة و هي الأهداف الكبرى للحياة الإنسانية وهي مقاصد الله من المكلفين عبادة الله، خلافة الله في الأرض و عمارة الأرض و ذلك بالغرس و الزرع و البناء والإصلاح و الإحياء و البعد عن الفساد، و هي مقاصد متداخلة و متكاملة.

ب) **علم السلوك و رعاية البيئة:** تدخل رعاية البيئة هنا في دائرة الخلق و من أعظم توجيهات الدعوة الإسلامية بالنسبة إلى البيئة الإحسان إليها بكل عناصرها بالإحسان للإنسان، للحيوان للنبات، للماء و الهواء، فالدين المعاملة ليس مجرد شعار، ثم يساء بعد ذلك للخلق و الإنسان و الحيوان و الكون، فمعنى الدين المعاملة، إحسان المعاملة في كل شيء بدءا بالمعاملة مع الله مع النفس، الجسد، العقل و الروح و الناس جميعا و الكائنات المحيطة جامدها و حيها، صامتها وناطقها، عاقلها و غير عاقلها، وبهذه الروح و بهذه النية يتعامل الإنسان مع البيئة و مكوناتها من حوله رفقا بها و إصلاحا لها من تشجير و تخضير و إحياء

1- المرجع السابق، ص 80.

وتعمير و نظافة و تطهير و رفق و إحسان و المحافظة على مواردها و ثرواتها من كل أنواع الإضاعة و الإتلاف و الإفساد في الأرض[1].

ومن أجمل ما جاء بها الإسلام في علاقة الإنسان بالبيئة و بالكون عامة إنشاء عاطفة الود و الحب لما حول الإنسان من كائنات، فالأحياء من الدواب و الطيور يراها أمم أمثالنا لها خصائصها و طرائقها و غير الأحياء يراها ساجدة مسبحة لله ،فإذا كان الغربيون يعتبرون أساس المشكلة الاقتصادية هو قلة الموارد في مقابل كثرة البشر فإن القرآن يرى أن نعم الله لا يمكن إحصاؤها ومواردها في الكون غزيرة.

ج) **أصول الفقه ورعاية البيئة:** حفظ البيئة من المحافظة على الدين و الجناية عليها و حفظها من المحافظة على النفس أي على الحياة البشرية و سلامة البشر و صحتهم و حفظها من المحافظة على النسل أيضا، حيث بقاء النوع الإنساني في هذه الأرض و الجناية عليها تهدد أجيال المستقبل، كما أن الحفاظ على البيئة من المحافظة على العقل الذي هو أساس التكليف في الإسلام، فحفظ البيئة يقتضي الحفاظ على الإنسان بكيانه كله، الجسدي، العقلي، النفسي، و ما يقوم به الإنسان اليوم من إفساد للبيئة و تعريضها و تعريض نفسه معها للخطر يعد ضربا من الجنون لا يعرف مضره مما ينفعه، كما أن الحفاظ عليها من المحافظة على المال و هي الضرورة الخامسة، فالأرض مال و الشجر مال و الزرع مال و الأنعام . والماء و المعادن و النفط و المحافظة عليها محافظة على البيئة و إنماء لها.

د) **القرآن و السنة و رعاية البيئة:** كل العلوم الشرعية السابقة الذكر أعمدتها القرآن و السنة تستند عليهما في أحكامها، فمن دلائل القرآن على الاهتمام بالبيئة وجود عدد من السور بأسماء الحيوانات و الحشرات و المعادن وبعض الظواهر الطبيعية، حيث لها دلالاتها وإيحائها و ارتباطها بالبيئة، أما السنة فقد

1- يوسف القرضاوي: السنة مصدر للمعرفة و الحضارة، مرجع سبق ذكره، ص 145

ورد الأمر بالغرس و الزرع في جملة من الأحاديث الصحاح بالإضافة إلى تشجيع إحياء للأراضي الموات التي ليس لها مالك ولا ماء و لا ينتفع بها و العناية بالحيوانات وحقوقها التي يجب أن ترعى و تؤدي، المحافظة على الثورة النباتية و المائية وصحة الإنسان المرتبطة بسلامة البيئة، فالدعوة الإسلامية بنقاء عقيدتها وكمال شريعتها و توازن أخلاقها جديرة أن تقدم للإنسانية في مشكلات البيئة و صفة الدواء و هداية الشفاء بما احتوته من توجيهات و تشريعات و أخلاقيات مرتبطة كلها بالإيمان بالله، لعل البشرية تستفيد في سلوكها البيئي من هذه الدعوة الإسلامية، فهي هداية للبشرية جمعاء[1].

❖ **واقع علاقة الإنسان بالبيئة اليوم و المبررات الشرعية الموجبة للحفاظ عليها:**

إن انطلاق الثورة الصناعية من منطلقات مادية بحتة بغير ضوابط أخلاقية وبغير فهم صحيح لرسالة الإنسان في هذه الحياة أصبح يتهدد الأرض جميعا بالدمار الكامل ومن ثم أصبح يؤكد حاجة الإنسان إلى الهداية الربانية في كل سلوك يسلكه على هذه الأرض، و ما دام الإنسان خليفة الله في الأرض، يعمر فيها ، فإن عمارة الأرض تكون بحسن استثمار ثرواتها، بالعلم و التقنية و المحافظة على صفاتها الفطرية لتيسير حياته كلها حيث لديه من ملكات حسية و عقلية و بدنية ما يعينه لتحقيق ذلك، و مسؤولية الإنسان على الأرض مسؤولية كاملة، عن صخرها و مائها وهوائها و نباتها و هو ما يسمى بالبيئة أي كل ما يحيط بالإنسان من مختلف صور المادة و الطاقة و الحياة ومن نظم اقتصادية و اجتماعية و سياسية و ثقافية و دينية و هو مسؤول أمام الله وأمام الناس على المحافظة عليها، فتصبح المحافظة على البيئة من مقاصد الشريعة الإسلامية و الاعتداء على أحد مكوناتها المادية أو المعنوية هو مخالفة شرعية و على ذلك فإن من الواجب أن يكون الإفساد في الأرض أو في البيئة بمختلف أبعادها المادية و المعنوية مخالفة قانونية في دستور كل

1- القرضاوي: رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية، م. س. ذ ، ص 53

أمة من الأمم وجزء من تشريعاتها، يعاقب أولياء الأمور كل متجاوز لها حماية للإنسانية كلها[1].

البعد الخاص بحقوق الإنسان و مكانة المرأة و الطفولة:

إن كل الأبعاد السابقة الذكر و الخاصة بالاتصال العمومي، تمثل حقوقا يجب أن يتمتع بها الإنسان في كل زمان و مكان، فمن حقه أن يتعلم و من حقه أن يتمتع بصحة جيدة، و بالحرية و المشاركة السياسية و من حقه أيضا أن يمارس نشاطاته الاقتصادية ويتبادل اقتصاديا، فكل ذلك يحرص عليه الاتصال العمومي كحق لكن شرط ممارسة مختلف هذه النشاطات بشكل صحيح و لائق، وقد كان للدعوة الإسلامية الأسبقية في ارساء مختلف حقوق الإنسان حيث شرع الاسلام منذ 14 قرنا حقوقا للإنسان في شمول و عمق، واعتبرت الشريعة الإسلامية الإنسان أهل للتكريم، حيث أحاط هذه الحقوق المكفولة له بضمانات كافية لحمايتها وصاغ مجتمعه على أصول ومبادئ تمكن هذه الحقوق وتدعمها وما حملته الدعوة الإسلامية من حريات وما شرعته من عدالة ومساواة وما ضمنته للجماهير من كرامة لم يكن يدرس في عواصم الأمة الإسلامية وحدها بل عبر أوربا مع شتى الثقافات الأخرى وظل يحرك الحياة الأوربية حتى انفجرت ثورات التحرر تهتف بمبادئ كانت معروفة في أرضها خلال القرون التي سبقت[2].

وقد اتسمت الدعوة الإسلامية بقواعد عامة صالحة لكل زمان و مكان ولكل إنسان على وجه الأرض أيا كان دينه أو عقيدته، فكان الإسلام أول من أرسى حقوق الإنسان وحددها تحديدا مانعا، جامعا ووضع الضمانات الكفيلة باحترامها وحمايتها منذ أن ظهر الإسلام في بداية القرن السابع الميلادي، قبل إنجلترا، فيما يسمى « بالعهد الأعظم » وقبل إعلان حقوق الإنسان في فرنسا في

1- زغلول النجار: رسالتي إلى الأمة، م. س. ذ، ص 157.

2- علي حسن العمار: الخطاب الصحفي لقضايا حقوق الإنسان المدنية و السياسية، دكتورا في الإعلام، جامعة القاهرة 2008، ص 70.

القرن 18 م، كرم الله الإنسان واستخلفه على الأرض وميزه على غيره من المخلوقات بهذا الاستخلاف، فالحقوق في الدعوة الإسلامية منحة من الله الخالق لا يجوز لبشر أن يتعداها.

فإذا كانت جملة الحقوق الإنسانية ترجع في أصولها إلى توفير الحرية و الكرامة للناس و تحقيق العدل و المساواة، فهي لم تكن في حقيقتها وروحها إلا إعلاما و إعلانا إلاهيا لهذه الحقوق في أحق و أعمق صورة و إرساء الدعائم و الحرية و العدل و المساواة وتكريم الإنسان في كل زمان ومكان، فحقوق الإنسان أكبر من أن تكون منحة يتصدق بها الحكام، بل هي قيمة أساسية خلقت مع الإنسان منذ أخرجه الله من عالم العدم إلى نطاق الوجود[1].

إن هذه الحقوق في المنظور الإسلامي أقرب ما تكون إلى التكاليف الشرعية بل إلى العبادات إلى أن تكون مجرد مصالح لجماعات وفئات معينة، كما هو الشأن في المنظور الغربي، كونها تشد الخالق تعالى و العالم بحاجيات الإنسان الحقيقية فهي ليست ناشئة من الصراع بين المؤسسة الدينية و سلطة الدولة، أو نتيجة تحولات اقتصادية و اجتماعية وثقافية، أو صراع الحكام و الطبقات المقهورة من الشعب، ولو كشفنا على استخدام كلمة حق في المصحف المفهرس سنجد أنها في 99 ٪ من الحالات مستخدمة بمعنى واجب وهذا يخلق حافز للعطاء بل يحوله لالتزام ديني و يجعل التسابق إلى العطاء أكثر من التسابق على الأخذ و إسناد حقوق الإنسان في المفهوم الإسلامي إلى خالق الإنسان وجعلها واجبات مقدسة قد أعطاها في نظر المفكرين ميزات مهمة:

- منح هذه الحقوق و الواجبات قدسية تتعالى بها عن سيطرة ملك أو حاكم أو حزب يتلاعب بها كما يشاء.
- أعطاها قوة إلزام يتحمل مسؤولية حمايتها كل فرد، فهي أمانة في عنق كل المؤمنين وواجب ديني على كل مسلم.

1- المرجع السابق، ص 71.

- الله هو مانح هذه الحقوق وهو أعلم بحاجيات الإنسان الذي خلقه وكلفه بالاستخلاف.

لذلك اكتسبت هذه الحقوق و الواجبات بعدا إنسانيا يتجاوز كل الفروق الجنسية و الجغرافية و الاجتماعية و العقائدية[1].

ولهذا فمن حق الإنسان أن يعيش حياة كريمة يحفظ فيها عرضه و نفسه و ماله و عقله ودينه، وكفلت الدعوة الإسلامية في نصوص صريحة واضحة وردت في القرآن و السنة حقوق الإنسان و الحريات الأساسية مثل حق الحياة، حيث اعتبرت حياة الإنسان مقدسة لا يجوز التعدي عليها ومنح حق القصاص.

بالإضافة إلى حق المساواة في المنزلة و الكرامة وأمام قانون الشرع وأحكام الإسلام فالحلال حلال للجميع و الحرام حرام للجميع .

والحق في المشاركة السياسية من خلال مبدأ الشورى وهو الأخذ برأي الأمة لمن يتولى شؤونها و الرجوع إليها[2].

إلى جانب حق المعتقد الذي يقوم به مجمله على الدعوة و الحوار و الإقناع في الدين و الاعتراف بالعقائد الأخرى.

و العدل بكل جوانبه، و هو في الاسلام واجب للفرد مع نفسه و حق بالنسبة للمسلم على المسلم وحق للناس جميعا وقد نجح الإسلام في إعطاء كل فرد حقوقه الإنسانية بينما فشلت المجتمعات كلها قديمها وحديثا في تحقيق هذه المبادئ على مستوى عام وسبب ذلك: أنها أوامر صادرة من الله وليست تشريعية، و ضامن تنفيذها الضمير النابع من داخل المسلم امتثالا لأوامر الله و بقوة القانون الإسلامي.

- جعل الإسلام تقدير العقوبة لرجال السلطة و القضاء، كلما انتهكت هذه الحقوق، وبما أن الإنسان خليفة الله في الأرض فهي خلافة تدعو إلى قيامها على أساس المساواة و الالتزام بالشريعة الإسلامية التي تحقق المصلحة العامة.

1- علي حسين العمار: الخطاب الصحفي لقضايا حقوق الإنسان ، م. س. ذ ، ص 71.

2- ابراهيم صبري: (حقوق الإنسان في السنة النبوية) مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان العدد 21 القاهرة 2002 ، ص 129.

لكن المشكل الأكبر و الأخطر يمكن في الممارسات و التطورات الجارية اليوم باسم حقوق الإنسان، حيث تصدر النداءات و التوصيات للاعتراف بحق الشذوذ الجنسي و بحق الزواج المثلي و بشرعية الأسرة الناشئة عنه و بالحق في إجهاض الأجنة و باسم حقوق الإنسان يدافعون عما يسمونه حرية العقيدة و لو تجسدت في عبادة الشيطان أو السحر أو الشعوذة، و الوصول إلى انتحار جماعي وهي كلها سلوكات غير حضارية، بل آفة العصر التي يجب محاربتها، لكن المفارقة أنه يطالب بها باسم حقوق الإنسان ولن يعطى الإنسان حقه في هذا العالم الممزق إلا إذا اتبع شريعة الإسلام لتعم الإنسانية[1].

بالإضافة إلى حرية التعبير و الرأي التي جعل منها الإسلام شرط الانتساب لعضوية المجتمع المسلم و في رحاب الإسلام يمكن رصد العديد من النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية التي تعني بحرية الرأي و التعبير و توفير الضمانات التي تتيح للأفراد و الجماعات التعبير عن آرائهم في صراحة ووضوح، بالإضافة إلى رصد نماذج عملية وممارسات حياتية تترجم على أرض الواقع مفاهيم الإسلام في هذا المجال، فقد اهتم الإسلام بحرية الرأي من خلال[2].

- **تحرير العقل من سيطرة الخوف من الآثار المترتبة عن إعلان الرأي:** فقد أمن الإسلام الفرد على حياته، فهي بيد خالقه و لا يمكن أحد هدمها أو انتزاعها
- **تشجيع الفرد على تقديم رأيه و الجهر به:** فقد حث الفرد على الإفصاح عن رأيه و الجهر بالحق، و قدم الرسول في هذا المجال من خلال الممارسة التي تجعل على أرض الواقع في سلوكيات منها:
  - كان يبايع أصحابه على الجهر بالحق و أن لا يخافوا في الحق لومة لائم.
  - حررهم من عقدة الخوف من عقاب وضرر نتيجة الإدلاء بالرأي فلم يعاقب قط إنسان على رأي أعلنه و لو حمل له انتقادا صريحا لشخصه الكريم.

1- ابراهيم صبري: حقوق الإنسان في السنة النبوية ، م. س. ذ ، ص 130.

2- محمود يوسف : (أخلاقيات ممارسة حرية الرأي) المؤتمر العلمي السنوي للإعلام و حقوق الإنسان العربي، كلية الإعلام، القاهرة 2001 ، ص 364.

- أتاح لهم جني ثمار آرائهم السديدة عندما يرونها تتجسد على أرض الواقع فيقدمون المزيد.

❖ **تحرير الرأي من سيطرة الآخرين عليه،** و توجيهه ليكون مستقبل الرأي و الإرادة بفكر واع و عقل مستنير، بهدف الحصول على رأي فردي سليم[1].

❖ **المساعدة على تكوين الرأي السليم من خلال تقديم المعلومات الصحيحة:** لتكتمل حرية الرأي بمعناها الصحيح لا بد للفرد أن يحصل على المعرفة التي يتكون الرأي على أساسها و لا تحجب عنه المعلومات المتعلقة بمصلحته و مصلحة مجتمعه و أكد الإسلام حق الفرد في الحصول على المعلومات المتعلقة بمصلحته ومصلحة مجتمعه وأكد الإسلام حق الفرد في الحصول على المعلومات و الحقائق ليكون رأياً سليماً، و كان الرسول يعلم و يشرح و يفسر و يعلم الخطط و السياسات قبل تنفيذها فأعلمهم بالهجرة إلى المدينة قبل تنفيذها وهيأ النفوس لها و أكد على حق الجمهور في معرفة نتائج الحروب و أخبار المعارك، مؤكدا بذلك ما أقرته بعده مواثيق حقوق الإنسان الذي ينص الإعلان العالمي فيه على حق ممارسة حرية التعبير، غير أن الإسلام أكد على ضرورة صدق المعلومات التي ترسل للجمهور يقينا صادقا، مع ضرورة استقاء الخبر من أكثر من مصدر واحد إمعانا في التأكد ليقينه أن الخبر الكاذب يؤدي إلى تبلور رأي عام غير سليم، لذلك يؤكد الإسلام على ضرورة التزام الدقة في استقاء الأنباء و نشرها على الناس و هو ما تدعو إليه أخلاقيات ممارسة مهنة العلاقات العامة حيث الالتزام باحترام الحقيقة وعدم نشر المضللة منها والخاطئة و ضرورة الاهتمام بمراجعة كل المعلومات قبل نشرهاولم يحرم الإسلام المرأة من إبداء رأيها بل أقر بحقها في ذلك فيما يخص القضايا العامة و الخاصة وخاطبها القرآن على قدم المساواة مع الرجل، كما أن للرسول مواقف عديدة استمع فيها للنساء وتدبر آرائهن واستمع لمطالبهن[2].

1- محمود يوسف : أخلاقيات ممارسة حرية الرأي ، م. س. ذ ، ص 365

2- المرجع السابق: ص 366

احترام الرأي الآخر: حيث يؤكد الإسلام على حق كل فرد أن يكون له رأي يعلنه و يقر بحق الطرف الآخر في الوقت نفسه ويقدره و يحترمه، وهنا يتجلى أعظم تقديس لحرية الرأي من خلال احترام الرأي الآخر وللرسول أكثر من موقف يدل على احترامه لآراء أصحابه خاصة في الغزوات المختلفة التي نزل فيها الرسول عند بعض رأي أصحابه

- **حق الجمهور في نقد السلطة وممارستها:** أكد الإسلام على حق الجمهور في توجيه النقد للحاكم وممارسة سلوكياته في حدود الالتزام بالضوابط والحدود التي أصبحت الدساتير الحديثة تكفله للمواطنين و لوسائل الإعلام على حد سواء فقد انتقد الصحابة موقف الرسول لتأمير أسامة بن زيد على جيش لغزو الشام وكان لم يتجاوز العشرين[1].

إن النصوص الإسلامية من خلال الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية تؤكد حق الإنسان في التعبير عن رأيه و أنه حق مكفول للكل بتهيئة المناخ الملائم وتحرير العقول من الخوف على الرزق و الحياة وتشجيع الفرد على الجهر بالرأي والحث على الرأي المتحرر من السيطرة وتوفير المعلومات الصحيحة وذلك عبر نماذج عملية تؤكد احترام الرأي و الرأي الآخر وتقديره، فهو منهج حضاري ومشروع متكامل يتعلق بأخلاقيات التعبير و الضوابط التي تجعله يتجه اتجاها إيجابيا يحقق مصلحة الفرد و المجتمع، كما أوجب الإسلام ضرورة التزام الرأي المعلن باحترام الأديان و انطلاق الرأي من خلفية علمية ومقدرة ثقافية واحترام حرمة الأموات وعدم سبهم وتجريحهم ومراعاة مصلحة المجتمع وعدم الإضرار بأمنه وسلامته بحجة حرية الرأي.

- كما أن للإسلام فضل السبق في تقرير وجوب احترام الحياة الخاصة للمواطنين و حمايتها من العابثين فلا يجوز أن تكون حياه الأشخاص كتاباً مفتوحاً للآخرين من خلال مختلف وسائل الإعلام لأنها حرمات أنفس وبيوت وأسرار و

1- محمود يوسف : أخلاقيات ممارسة حرية الرأي عبر وسائل الإعلام ، م. س. ذ ، ص 371

عورات، وقبل أن تتوقف المدينة المعاصرة أمام القذف و تعبره جريمة، اعتبره الإسلام جريمة يستوجب فاعلها عقوبات عديدة، فلا يمكن النيل من سمعة الآخرين وشرفهم وكرامتهم بدعوى حرية التعبير و الرأي.

- ومن الضوابط التي أقرها الإسلام لحرية الرأي التزام المرء بالإدلاء بالرأي تجاه الموضوعات التي يرتبط بها بصلة العلم المتخصص أو المصلحة المباشرة في إطار عدم التعصب و التراجع عنه إن كان خاطئاً[1].

كما أوجب الإسلام ضرورة الالتزام بالبعد عن كل سلوك يؤدي إلى إشاعة المنكرات و الفواحش بين الناس في إطار حماية الآداب العامة في المجتمع و الالتزام بضوابط وأخلاقيات متعلقة بحرية الرأي والتعبير، خاصة إذا كان هذا الرأي موجها ومرشدا للسلوك مراعاة لمصلحة الفرد ومصلحة المجتمع على الرغم من أن القرآن الكريم قد أصل لحقوق الإنسان مبادئ ومضامين فكرية فلسفية أصبحت جزءا رئيسيا من العقيدة الدينية وحجر أساسي في منظومة الفكر الإسلامي لمفهوم خلافة الإنسان في الكون وتسخير الطبيعة له مبدأ تكريمه وتقرير حريته، إلى أن هناك من أفرغ رسالة الإسلام من محتواها الإنساني بالممارسات الخاطئة تجاه حقوق الإنسان[2].

ولا يجوز مصادرة حق الفرد في الدفاع عن نفسه أو أن يلزم أحد شخصاً ما أن يطيع أمرا يخالف الشريعة.

- **حق الفرد في محاكمة عادلة**، فلا تجريم إلا بأصل شرعي ولا يعاقب إلى بثبوت الجريمة.
- **حق الحماية من تعسف السلطة.**
- **حق الحماية من التعذيب.**
- **حق حماية العرض و السمعة.**

1- صادق رابح: (تجليات الإسلاموفوبيا في خطابات الوسائط الإعلامية الفرنسية) المجلة المصرية للبحوث و الإعلام، العدد 300 جامعة القاهرة، 2008 ص 386

2- صادق رابح: تجليات الإسلاموفوبيا، م. س. ذ ، ص 387

- **حق اللجوء:** فمن حق كل مضطهد أو مظلوم أن يلجأ إلى حيث يأمن وهو حق يكفله الإسلام لكل مضطهد أيا كانت جنسيته أو عقيدته أو لونه وعلى المسلمين واجب توفير الأمن لمن لجأ إليهم، وبيت الله الحرام بمكة هو بمثابة أمن للناس جميعا لا يصد عنه مسلم.
- **حقوق الأقليات:** يحكمها مبدأ قرآني (لا إكراه في الدين) في الأوضاع الدينية .
- **حق المشاركة في الحياة العامة:** والشورى أساس العلاقة بين الحاكم و الأمة .
- **حق حرية التفكير والاعتقاد والتعبير.**
- **حق الحرية الدينية.**
- **حق الدعوة والبلاغ:** فكل فرد له حق وواجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وتحمل المسؤولية
- **الحقوق الاقتصادية:** سواء كانت طبيعية أو إنتاج أو ملكية خاصة مشروعة، وحتى الفقراء لهم حق مقرر من مال الأغنياء نظمته الزكاة، كما لا يجوز تعطيل ثروات ووسائل إنتاج المجتمع بل الواجب توظيفها واستثمارها بما يخدم مصلحة المجتمع بتحريم الغش والاستغلال والاحتكار و الربا وغيرها من الآفات الاقتصادية
- **حق الملكية:** فلا يجوز انتزاع ملكية نشأت عن كسب حلال إلا للمصلحة العامة.
- **حق العامل وواجبه:** فالعمل شعار رفعه الإسلام لمجتمعه وحق العمل الإتقان وحق العامل أجره دون مماطلة[1].
- **حق الكفاية من مقومات الحياة:** من طعام و شراب وملبس و مسكن وصحة وعقل ومعرفة و ثقافة.
- **حق بناء الأسرة بالزواج والإنجاب و الانفاق و تربية الأولاد ورعايتهم بدنيا ونفسيا ورعاية الأمومة ومسؤولية الأسرة بين أفرادها .**

1- محمد الغزالي: حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، ط 6 ، نهضة مصر، القاهرة، 2009 ص 212 .

- **حقوق الزوجة:** من مسكن ونفقة وميراث وخلع إن استدعى الأمر ذلك.
- **حق التربية الصالحة للأولاد وحق التعليم.**
- **حق احترام الخصوصيات الفردية وحمايتها:** فسائر البشر لخالقهم وحده وخصوصياته من حقه لا يحل التجسس عليه.
- **حق حرية الارتحال والإقامة:** كحرية الحركة والتنقل والرحلة والهجرة، دون تضييق أو تعويق، كما لا يجوز إجبار شخص على ترك وطنه ولا إبعاده عنه تعسفا دون سبب شرعي، فدار الإسلام واحدة ووطن لكل مسلم لا يجوز تقييد حركته فيها بحواجز جغرافية أو حدود سياسية على وجه التحديد[1].

إن ذروة ما بلغته الحضارات الأخرى في الاحتفال بحقوق الإنسان في عصرنا الحديث تمثلت في تأثيم وتجريم حرمان المواطن من " حق " الاهتمام بشؤون مجتمعه والاشتغال بهذه الشؤون لكن الإسلام منذ ظهوره قبل أربعة عصر قرنا قد جعل ذلك فريضة واجبة على الإنسان، بل جعل الاهتمام بشؤون المجتمع والاشتغال بالقضايا العامة والتدخل بالقول و الفعل لتقويم شؤون المجتمع و تطويرها وتغييرها، جعل ذلك " فرض كفاية " فارتقع به عن منزلة " فرض العين " الذي هو حال الفرائض الأخرى مثل الصلاة، و الصيام و الحج، ففرض العين واجب فردي يقع إثم تركه والتخلف عن أدائه على الفرد التارك له، أما فرض الكفاية فإنه واجب جماعي واجتماعي يقع إثم تركه على الأمة جمعاء لقد صاغ الإسلام هذه الفرصة الاجتماعية تحت عنوان " الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر " وإنها واحدة من أكبر المفارقات في حياة الإنسان المسلم: ، فحين يبلغ الإسلام في تقديس حقوق الإنسان درجة جعلها فرائض شرعية وليست مجرد حقوق يمكن أم يجوز التنازل عنها، يعيش هذا الإنسان المسلم في أغلب ديار الإسلام مجردا من أبسط الحقوق، محروما من أغلبها و الواقع يثبت دور بعض الأنظمة الجائرة في تزييف مذهب الإسلام المتميز في حقوق الإنسان لإخضاع الإنسان لنظم الجور والظلم و الاستبداد، لذلك لا يجب الوقوف

1- الغزالي : حقوق الإنسان، م. س. ذ ، ص 212

عند حدود ترديد النصوص و المأثورات دون توظيفها كأسلحة في معركة تغيير الواقع البائس الذي يقهر بالاستبداد طاقات المسلمين[1].

إن دينا لم يكرم الإنسان كما كرمه الدين الإسلامي وإن شريعة لم ترفع حقوق الإنسان إلى مرتبة الضرورات الشرعية الواجبة كما صنعت ذلك شريعة الإسلام لذلك على الذين يعون هذه الحقيقة أن يناضلوا بكل السبل و الوسائل الإسلامية لرفع عار الاستبداد وقيوده عن واقع المسلمين ولتنقية الفكر الإسلامي من التشوهات التي زرعها فيه نفر من علماء السوء وفقهاء السلاطين الذين احترفوا التبرير لمظالم المستبدين ودعوا المستضعفين و المظلومين إلى الاستكانة التي سموها صبرا ويمكن اختصار بيان حقوق الإنسان في الإسلام كالتالي: - حق الحياة: فهي مقدسة لا يجوز لأحد الاعتداء عليها، وهذه القدسية تحميها الشريعة في حياة الإنسان ومماته - حق الحرية: مقدسة أيضا كحياة الإنسان وهي الصفة الطبيعية الأولى التي يولد بها الإنسان وهي مستصحبة معه ومستمرة، ليس لأحد الاعتداء عليها بتوفير ضمانات لذلك وتقييدها و الحد منها بسلطان الشريعة، كما أنه لا يجوز لشعب أن يعتدي على حرية شعب آخر وللمعتدي عليه حق استرداد حريته بكل السبل.

- حق المساواة: فالناس سواسية أمام الشريعة وكلهم في القيمة الإنسانية سواء ويتفاضلون حسب عملهم وكلهم لهم الحق في الانتفاع بالموارد المادية للمجتمع من خلال فرص عمل متكافئة ولا يجوز التفرقة بين الناس كما أو كيفا

- حق العدالة وكل فرد الحق أن يتحاكم إلى الشريعة ومن حقه أيضا أن يدفع عن نفسه الضرر و الظلم و يلجا الى سلطة شرعية تحميه و تنصفه و تدفع عنه الظلم[1] إن هدى الإسلام في قضية حقوق الإنسان مثله كمثل كل هدى جاء به هذا الدين الحنيف سيظل " غيثا " ينتظر النضال الذي يحوله بالممارسة و التطبيق إلى ثمر

1- محمد عمارة: الإسلام و حقوق الإنسان ،دار الشروق، القاهرة، 2006 ص 82.

يانع ينعم به الإنسان المسلم من خلال نهضة حضارية تغير الواقع البائس الذي أوقع فيه الاستبداد أمة الإسلام، فلا جدوى من غيث لا يحي الأرض الموات.

◆ **مكانة المرأة و الطفولة:** ولعل الحديث عن حقوق الإنسان يقودنا للحديث عن حقوق المرأة و الطفل كانت ولا تزال تثير الجدل فقد بدأ الاهتمام بمكافحة الإساءة إلى المرأة منذ 1960 إلى 1970 باهتمام المختصين في العلوم الاجتماعية ومهن الصحة النفسية، وتزامن مع إقامة بيوت للزوجات المساء إليهن لإيوائهن حيث تتضمن الإساءة أشكالا مختلفة من ضرب و دفع وركل وشد الشعر و التهديد بالسكين أو المسدس أو الحرق أو الاهانة أو الاحتقار و التحكمات في تصرفات الزوجة و التدخل في عملها وعدم احترامها[1].

وقد تكون الإساءة نفسية أيضا إلى جانب الجسمية، بالتهديد و التوعد والإهانة أو اقتصادية بالاستيلاء على مالها، ولهذه الإساءة أثار مترتبة منها الاكتئاب وانخفاض الشعور بالقيمة ففي سويسرا التي يطلق عليها أقدم ديمقراطية في العالم ظلمت المرأة و لم تمنعها حق التصويت في الانتخابات حتى 1971[2].

مكانة المرأة في الإسلام: إن الإسلام أول من أعطى للمرأة حقوقها منذ 14 قرناً وأعاد إليها كرامتها وأعطاها الحرية فهي تفرض وتختار زوجها بحريتها ولا يتم زواج الفتاة دون استئذانها وموافقتها بشاهدين ولها أن توكل والدها و لها أن ترفض الزوج ولها أن تخلعه ولها حق التملك وحق التجارة وقد رفعها إلى منزلة حضارية عندما ساوى بينها وبين الرجل في الأصل الإنساني فهي تنتسب وإياه إلى أب واحد وأم واحدة وكذلك ساوى بينهما في إقامة الحدود و في الآداب و الأخلاق و الأجر و الثواب، و اعتراف الإسلام بحقوق المرأة وتقديره لها إنما هو جزء من منظومة متكاملة لبناء الإنسان وتتجلى المكانة التي رفع الإسلام المرأة إليها في: - المجال الإنساني: فقد اعترف بإنسانيتها كاملة - المجال الاجتماعي: ففتح أمامها مجال

1- هبة محمد علي حسين: الإساءة إلى المرأة، المكتب الأنجلو مصرية، القاهرة، 2003 ص 13.

2- هبة محمد علي حسين : الاساءة الى المراة م . س . ذ ، ص 28.

التعليم، المشاركة، إبداء الرأي، الجدل للحصول على حقها - المجال الحقوقي: أعطاها الأهلية المالية الكاملة وحق التملك وحق الميراث و الأهلية في التدين حيث كان للنساء بيعة خاصة بهن في الإسلام دون بيعة الرجال مما ينطوي على إقرار لشخصية المرأة وكيانها المستقل دون تبعية للرجل، ومع ذلك فقد فرق الإسلام بينهما وبين الرجل في بعض المجالات نظرا لطبيعة كل منهما واستعدادهما البدني ودورهما في الحياة، وهو تفريق لا يتعارض مع المساواة في الإنسانية و الكرامة و الأهلية من هذه الأمور، الشهادة، القوامة و الميراث، فقد قرر القرآن أن شهادة الرجل معادلة لشهادة امرأتين فقد تضل إحداهما او تخطئ أو تنسى فتذكرها الأخرى، وفي الميراث تأخذ نصف نصيب الرجل حيث الذكر يحتاج على الإنفاق على نفسه وزوجته وأولادها، أما المرأة فلا تنفق إلا على نفسها ونفقتها على أبيها أو زوجها أو أخيها أو ابنها[1]. إن المرأة في الإسلام مخاطبة كالرجل تماما بشرائع الله، مسؤولة عن أعمالها لا يسقط عنها ما تستوجبه ضرورة الخلق ويقتضيه داعي الفطرة ولها نتيجة عملها كما للرجل نتيجة عمله وما خوطبت به المرأة يراد به تحقيق كرامتها الإنسانية مع الوفاء بوظيفتها الاجتماعية وذلك يستوجب أن توضع للأمور ضوابط تحقق الغرض المنشود، فأسباب العلم للمرأة ميسورة شرط عدم إخراجها عن وظيفتها الأصلية حيث التعليم عون لها للقيام بهذه الوظيفة على أكمل وجه[2].

وأمومة الأسرة هو ميدان شرف وكرامة وعمل وجهاد للمرأة في الإسلام وميدان الإنسانية كلها بحضارتها ومعارفها وأسباب أمنها وسعادتها، وهو ميدان يطلب منها العلم الوافر والمعرفة الصادقة إذ فيه يتم بناء النفوس وإعدادها إعداداً تتشعب معه فنون المعرفة ومنهاج العلم، فرسالة المرأة في السلام رسالة حيلة لا تقل عن رسالة الرجل إن لم تكن أهم من حيث كونها الأصل في إعداده، فلا تخالف الفطرة لأن لها فطرة، ولأن داعي الفطرة و نداء الطبيعة أقوى[3]. ولا شك إن

1- هبة محمد علي حسين: الاساءة الى المراة م. س. ذ ، ص 28.

2- محمد الراوي : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، ص 416.

3- محمد الراوي : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، م. س. ذ ، ص 416.

الإنسانية اليوم تعاني ضربا من الفساد الخلقي يودي بها وبحضارتها ويذهب بأمنها وسلامتها، ولن تصان الأخلاق إلا إذا توافرت للأسرة جوها الطهور و عفتها المصونة و كرامتها المقدسة وان ما أفاضت به الحضارة الحديثة من ترك للمرأة تفعل ما تشاء، ليست حرية لأنها لا توفر الحق و الكرامة للناس جميعا بل هي انطلاق أعمى مسوق بالهوى و الجحود فالحرية لابد لها من حدود تصون إنسانية الإنسان وتؤمن أعراض الناس وعلى المدينة الحديثة ان تراجع أمرها وترى النتائج المترتبة على دعوى التحرر فإنها سترى أن أولى أسباب التوتر العالمي: فساد الأخلاق ومن أولى أسباب الفساد وانتشار الآفات، تدهور الأسرة، فمن حق المرأة أن تتاجر وتربح وتملك وتبيع وترهن وتتصدق وتختار لنفسها زوجا بلا إثم وإكراه، الميدان فسيح يطلبها بناءة عاملة لكن بغير مذلة أو عبودية باسم الحرية والتحرر نهبا لكل طامع وعابث ومنحرف، فهي التي أعدها الإسلام بمبادئه لأمومة الطهر و الخلق و القيم إن المسؤولية في الإسلام تخص الذكر و الأنثى و الجماعة، الكل راع ومسؤول عن رعيته، مسؤول عن رعاية الأمانة، أمانة الحياة الطاهرة بمقدماتها النظيفة وهي كل ما شرع الله للإنسانية من خير وكل الضوابط والدوافع و القوانين التي تصون الفرد ومن ثم المجتمع وتحرسه بتقدير المخلوق ورعاية الخالق، من أجل تحقيق الوحدة الإنسانية والأمن العالمي بتعارف الجماعة البشرية وتعاونها بحب وألفة وعدل يصون الحق والواجب، كل ذلك يبدأ من التربية منذ الطفولة تقوم به المرأة التي يجب أن تكون مهيئة لذلك لأنها المدرسة التي تربي الأجيال، و الدعوة الإسلامية بكل ما تتضمنه من مبادئ وقيم حضارية خير موجه لهذه المرأة وحتى التجمل بالنسبة للمرأة هو المحافظة على تكونها السليم وتقويمها الحسن وهو غير التبرج الذي يعني استثارة الآخرين ومحاولة فتنتهم، و المرأة المسلمة إنسان كالرجل وهي شقيقته أمام تعاليم الإسلام كلها وكانت عند العرب محقورة الشأن توأد طفلة وتزدرى كبيرة، وكان الأوربيون يتساءلون قديما ما كانت روح مثل الرجل ؟ ! وفي الهند كان يحكم عليها بالموت حرقا عند موت زوجها في مرضه فلا يجوز أن تبقى بعده، حتى جاء الإسلام فغير الأوضاع و الأفكار.

بل لم يمنعها الإسلام من الجهاد إذا قدرت عليه الذي أوجبه على الرجال عند ضرورة الدفاع، لقد ولدت شخصية المرأة مع مجيء الرسالة الإسلامية وما كان للمرأة هذا الامتداد من قبل وإن كان الأمر قد سار في اتجاه آخر غلبة للتقاليد القديمة لا انسياقا مع تعاليم الإسلام[1].

- **مكانة الطفولة في الإسلام:**

كرم الإسلام الطفولة وأكد حقها في الحياة و الحب و الرعاية وحقها في التربية المتكاملة قبل أن ينتبه المجتمع العالمي لحقوق الطفل بآلاف السنين ونظم المنهج الإسلامي العلاقة بين الآباء والأطفال بحيث يؤدي كل منهما دوره اتجاه الآخرين حيث تبدأ أولى واجبات الآباء حيال أبناءهم في:

- تخير الأسماء الحسنة لأن من حقوق الطفل على والديه أن يحسنا اختيار اسمه الذي سيدعى به بين الناس مستقبلا.
- الإنفاق وهو واجب الآباء حيث عليهم الإنفاق على أبنائهم طعاما وكسوة حتى يبلغوا مبلغ الرجال، بل حتى الرضاعة الطبيعية جعلها حقا من حقوق الطفل لحولين كاملين وألقت على الأب مسؤولية إمداد الأم بالغذاء والكساء حتى تتفرغ لرعاية طفلها وتغذيته: وكلا الوالدين يؤدي واجبه ضمن الإطار الذي رسمته الشريعة الإسلامية وفي حدود طاقتهما وإمكانيتهما.
- تعليم أمور الدين، حيث أوجب الإسلام تعليم الأبناء أمور دينهم ليعرفوا الحلال والحرام ويدركوا حكمة الفروض ويمارسوا العبادات ممارسة صحيحة ويداوموا على آبائها باخلاص ويتدبروا قدرة الله وعظمته ويخلصوا له العبادة .
- التأديب: حيث على الآباء تأديب أبناءهم وتعويدهم العادات الإسلامية والآداب الاجتماعية الفاضلة مما يؤدي إلى بناء الأسرة على أسس سليمة تساعد على ازدياد قوة المجتمع وتكافله و تعاونه بالحرص على غرس الأخلاق الفاضلة في نفوس الأبناء وتعويدهم العادات الكريمة والتقاليد المألوفة.

1- الغزالي: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، م. س. ذ ، ص 51

المساواة والتلطف في المعاملة: حثّ يحث الإسلام الآباء على المساواة في معاملة الأبناء و العطية بينهم وأن يعدلوا في جميع الأمور لأن عكس ذلك قد يؤدي لمشاكل نفسية لدى الطفل حتى كبره كما توجه الدعوة الإسلامية الآباء إلى الرأفة بأبنائهم ومعاشرتهم باللطف وتقبيلهم عن شفقة و رأفة ومباسطتهم في الكلام وحسن معاملتهم، وشجع الرسول الكريم على الدعاء للأبناء بالخير وقصصه في معاملة الأطفال كثيرة وتعد نماذج للإقتداء بها ، فكان يخاطب الصغير منهم بما يثير اهتمامه[1].

كما أن الاعتدال في التربية للأطفال وعدم تحميلهم مالا طاقة لهم به من الأمور المشجعة لهم على نمو إحساسهم الديني، لذلك اعتنى العلماء المسلمون على مر العصور بحسن الخلق لدى الأطفال لمدى تأثيره في إعداد مواطنين صالحين نفسيا واجتماعيا حيث من الضروري تعليم الطفل العادات الدينية الصحيحة من قبل الآباء والأمهات و المعلمين إذا كانوا قدوة حسنة ونماذج طيبة للخلق الكريم فتكون بداية تكوين العادات الطيبة عند الأطفال، فالإسراع في تكونها في حياة الطفل تمنع تسرب العادات الخاطئة و المذمومة التي يقع فيها الطفل بتقليد ومحاكاة من حوله من قرناء السوء .

ونموذج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الأطفال وفي تربيته لهم في توجيه المسلمين لتلك التربية هو النموذج الذي ينبغي الإقتداء به كتربويين بل النموذج الذي ينبغي أن تقتاد به كل مؤسسات المجتمع الحيوية والمهتمة بأمر تربية الناشئة وعلى رأسها الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام حيث على المسؤولين جميعا أن يضعوه نصب أعينهم وهم يحللون بناء شخصيات الأطفال و المراهقين[2].

إن الطفل يحتاج من أجل نمو شخصيته نموا متكاملا متناسقا إلى الفهم، وقد كان الرسول أقرب ما يكون وأحب ما يكون إلى قلوب الأطفال و المراهقين

1- بلقيس اسماعيل داغستاني: التربية الدينية والاجتماعية للأطفال م، س، ذ، ص 80.

2- بلقيس اسماعيل داغستاني: التربية الدينية والاجتماعية للأطفال م، س، ذ، ص 81

الصغار لدرجة أنهم كانا أسرع من حوله من أهله استقبالا عند عودته من أسفاره، و الأطفال لا يفعلون ذلك إلا إذا كانوا يشعرون أن صاحب الرسالة كان يتفهمهم ويشعر بهم ويعرف مطالبهم بل ويستجيب لحاجاتهم وهذا ما يبين ويوضح مدى عمق الصلة التي كانت تربطهم به وتقريبهم اليه وتقربه هو إليهم وغم مشاغله الهائلة في الدعوة و التبليغ ورعاية شؤون المسلمين فمداعبتهم ومتابعتهم ورعايتهم و السؤال عن أحوالهم وما يشغل بالهم ومواساتهم كانت في خضم دعوته ورسالته و لأن التربية ينبغي أن تركز " المثل " و " النموذج " فليس هناك أروع ولا أعظم من النموذج الذي كان يمثله رسول الله بالنسبة لأصحابه من خلال تعامله مع الشباب منهم وكيف كان يعاملهم ويثق في قدراتهم ويوليهم أعظم المسؤوليات بالنسبة لنشر الدعوة في السلم و الحرب لذلك على مناهجنا في مختلف مؤسساتنا أن تركز على إظهار هذه النماذج الشابة التي ربيت في أحضان الدعوة الإسلامية على يد خير من علم وربى بل اشرف موجه لمجتمع وإنسانية بأكملها كان من نتيجة هذه التربية المحمدية الرائعة أن أخرجت للعالم أمة لم يظهر لها مثيل في تاريخ الأمم و الشعوب، فشباب اليوم ينبغي أن تنمى شخصياتهم في ضوء شخصيات تكون دعامات للتربية، برسم هذه الشخصيات من جديد لأنه مطلب أساسي لا ينبغي التهاون فيه ونماذج أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة وبلا حصر أمثال: مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام، وعلي بن أبي طالب الفارس و الحكيم، وخالد بن الوليد، وأسامة بن زيد ... إلخ[1].

وغيرهم كثير، فالمغزى ليس الوقوف على الثقافة والحضارة الإسلامية وإجادة التغني بها وبأمجادها في شتى المجالات، فالحديث وحده لا يعيد مجدا و التمجيد لا يبعث حضارة والاتكاء على وسادة التراث لا يوقظ أمة إنما الإرادة و العمل الجاد والجهد الصادق و العزم والإصرار والسهر و العرق و الصدق إذا كانت هناك إرادة لإنشاء أجيال بالتربية الإسلامية الحقة يعتمد عليها في المستقبل بحيث

1- الغزالي: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، م، س، ذ، ص 163

تكون هذه الأجيال الركيزة الأساسية لعودة الحضارة الإسلامية ولبعث الثقافة الإسلامية ولا شيء غير هذا[1].

مبررات تأصيل و تجديد الاتصال العمومي:

في البداية لا بد من أن نحدد الفارق بين الإسلام كرسالة سماوية ربانية خالدة وثابتة لا تبديل فيها و لا تغيير وبين الجهد الفكري البشري الملتزم بالمنهج الإسلامي وبما يمثله هذا المنهج في أصول وضوابط وقواعد مستندة على الكتاب و السنة وهذا الجهد الفكري البشري في نطاق النظرية يمكن أن يصيب ويمكن أن يخطئ، و في نطاق التطبيق يمكن أن يطابق الواقع ويمكن أن يخالفه، فهو ليس معصوما وليس ثابتا ومطلقا، بل يقبل التجديد والإضافة والتبديل وليس فيه صفة الإلزام بشكل مطلق وعلاقته بالحق علاقة نسبية وليست مطلقة علاقة الصواب والخطأ ، بينما الإسلام في عقيدتنا يمثل الحق مطلقا و الصواب بشكل تام لأنه معصوم و محفوظ فالفكر الإسلامي جهد فكري بشري يتحدد في مستوى معين وفي عطاء شريحة معينة هي تلك التي تتخصص في الإسلام كحقل معرفي منضبط بأصول و قواعد المنهج الإسلامي في البحث العلمي عند تكوين الأفكار و استنباط التصورات، فليس كل جهد فكري بشري يحسب على الفكر الإسلامي.

ويكتسب الفكر الإسلامي مشروعيته و ضرورته من احترام الإسلام للعقل حيث له مساحة كبيرة في إدارة الحياة و تنظيم المجتمع و مواكبة الزمن وحركته وتطوراته والمكانة التي يأخذها الإنسان في الإسلام هي في الوقت ذاته مكانة العقل لأن العقل جوهر الإنسان.

كما أنه يكتسب مشروعيته أيضا من تقدير الإسلام للعلم وضرورة العمل به ومشروعية حق الاجتهاد لمعرفة الحقائق وربط المسؤولية بالعلم[2].

1- محمد العليم مرسي : المنظور الإسلامي للثقافة والتربية، م، س، ذ، ص 184

2- زكي الميلاد، الإسلام والمدنية، ط 1، الدار العربية للعلوم، بيروت 2007 ص 27

لذلك اعتمد الإسلام دوما على التفكر في دعوته، فالكون نظام يسند للخالق، لذلك فالأصل في الدعوة هو تفكر العقل لوجود خالق و الاقتناع بوجود نظام لهذا الكون يديره قادر وعليه لا بد من وجود حرية كاملة في هذا التفكر للوصول لحرية الاختيار، وقد رسم الإسلام لدعوته طريق التفكر في الإيمان من بدء الدعوة إلى منتهاها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما شاء الله أن تقوم هذه الدعوة بعد وفاته لأنه طريقها المرسوم في كل الأجيال إلى نهاية الحياة، وقد رسم الإسلام لأمته هذه الدعوة وطريق التفكر لأنه الله تعالى أراد لها البقاء فأراد أن ينهي الرسالات برسول يكون خاتم الرسل وبشرعة تكون خاتمة الشرائع صالحة لكل زمان و مكان وتبقى أمتها إلى ما شاء الله أن تبقى تأخذ شريعتها بطريق العقل لتنهض إلى ما قدر لها من الكمال في دنياها وأخراها وتفتح لغيرها من الأمم باب النهوض في الدنيا لأن الرسول الذي بعث لها لم يبعث لشعب واحد بل رحمة للناس كافة و هداية لشعوب البشر جميعا، فوسائل النهوض مفتوحة لكل الأمم وتؤدي إلى غايتها ولا تتقيد بشخص من يأخذ بها[1].

لكن المتابع لأحوال المسلمين في العالم المعاصر يتعجب لما آل إليه الأمر على كل المسلمين سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو حتى الفكري فبينما العالم من مشرقه على مغربه يندفع نحو المستقبل وفق خطوات تختلف من مجتمع لآخر وقد تخلص من أمراضه الفكرية والاجتماعية في خطى ثابتة نحو تحقيق سعادة الإنسان محور التنمية و هدفها الحقيقي، نلاحظ أن معظم الدول الإسلامية ما تزال تمضي في حلقة مفرغة تستنفد طاقتها وإمكاناتها في مشاحنات و صراعات دموية أحيانا و المشهد المأساوي لا يخفى على أحد وفي الغالب يكون الإسلام هو الضحية، فالمجتمع يموت باسم الإسلام و الجميع يدعي أنه يقاتل في سبيل الإسلام و الإسلام براء من الجميع.

1- عبد المتعال الصعيدي: حرية الفكر في الإسلام، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2009، ص 20.

نموذج الفكر الإسلامي الصحيح يستهدف الحرية بمعناها الحقيقي لأن التعسف في باب الحرية هو صناعة بشرية خالصة لا علاقة لها بالدين و الإسلام لم يغلق باب الاجتهاد قط والمجتمع لا إثم عليه ولو أخطأ[1].

من المهم جدا التفكير في أولويات الفكر الإسلامي في هذه المرحلة التاريخية الدقيقة و الفاصلة من تاريخ العالم و الحضارة الإنسانية، حيث تختلف هذه المرحلة عن أولويات المراحل السابقة إذ دخلت عناصر و مكونات جديدة ليس على الصعيد العربي و الإسلامي فحسب بل على الصعيد العالمي أيضا وليس في مجال واحد بل في مختلف المجالات السياسية و الاجتماعية والثقافية و السكانية والاقتصادية و التربوية و الإعلامية[2]. لاسيما الاتصال العمومي الذي يضم في أبعاده المختلفة جميع هذه المجالات والذي أضحى اليوم أهم إستراتيجية اتصالية يمكن أن تعود بالنفع و الفائدة على المجتمع ككل في خضم انتشار الآفات و الأمراض المختلفة.

لذلك من الضروري تشخيص هذه المرحلة بكيفية علمية وشاملة ومعمقة وعلى ضوء هذا التشخيص العلمي و المنهجي يتم صياغة الأولويات، فالمنهج الإسلامي يعاني نقصا علميا واضحا يترك أثره على منهجية التعامل مع الأوضاع الجديدة في حين التحولات السياسية العالمية الجديدة وتعدد القراءات المختلفة تتطلب بلورة مشروع حضاري إسلامي معاصر أي بدائل إسلامية وتفصيل مناهج الفكر الإسلامي في الميادين المختلفة، الاجتماعية، الثقافية، التربوية، الاقتصادية، السياسية، و الإعلامية .

فالمشروع على احتكاك كبير من الواقع العملي ومطالب بأن يقدم الحلول و المناهج الناضجة و الواقعية لمشكلات صعبة ومعقدة واكتشاف عوامل الخلل انطلاقا من الإيمان بأهلية الإسلام الدائمة للفعل الحضاري وصلاحيته لقيادة كل

1- عبد المتعال الصعيدي: حرية الفكر في الإسلام، م. س. ذ ، ص 19.

2- زكي الميلاد: الإسلام و المدنية، م، س، ذ، ص 29.

زمان و مكان بعد أن ختم الله به الرسالات وجعله حجته الباقية وكلمته الخاتمة إلى يوم الدين وضروري اعتدال المعادلات كلها وتوازن الرؤى بعد هذا المحيط الحضاري المتدني[1].

وإذا كنا نأخذ على أوربا تركيزها على الفعالية المادية و إهمالها للجوانب الإنسانية و الأخلاقية فإننا يجب أن نأخذ على أنفسنا تقصيرنا الشديد في الفعالية المادية واستهلاكنا لطاقاتنا في مجالات كلامية عقائدية أو سياسية.

لقد اختل الميزان في أيدينا كما اختل في أيديهم، شد كل منا الحبل بطريقة خاطئة و كانت مسيرتنا التي انتهت بنا إلى واقعنا المعاصر أكبر حاجز حال دون تفهمهم لنا، فما كان ممكنا أن يتواضع الإنجليز ليفهموا ما عند المسلمين الهنود من أفكار عظيمة، فهم يسوقونهم كالأنعام ولا كان للحملة الفرنسية التي جاءت بالمطبعة و السلاح الحديث أن يؤمن رجالها بأن لدى المستعمرين المستخلفين دينا يحمل قيما حضارية عم أحوج الناس إليها، فموقعهما معا سواء المستعمر أو المقهور لا يسمحان بالتحاور الفكري ولا بالفعالية الحضارية، فالقوة تعمي عن الحق، ومن هنا انتهت المدينة الأوربية إلى نجاحات كبيرة في العلم والتقنية مقطوعة من خشية الله واحترام إنسانية الإنسان وعند مجرد التفكير في التعاون مع الآخرين الضعفاء على الخير الإنساني العام.

ومع ذلك يقر بعض المفكرين أنه لولا الإسلام الذي حول الطبيعة من معبود يخشى منه ويسجد له إلى طبيعة مأنوسة موضوعة للبحث و التسخير، لولا هذا المنهج الجديد للإسلام لبقيت الحضارة الإنسانية الوثنية و الكنيسة التي تحارب العلم هي المسيطرة على العالم فغيبة المنهج الإسلامي الرشيد في البحث و التأصيل وأوضاع المسلمين المتخلفة في القرون الأخيرة أعطت أوربا

1- عبد الحليم عويس: دراسات في تاريخ الحياة الإسلامية، رؤية حضارية، ط 1، مكتبة الشروق، القاهرة 2009، ص 56

الفرصة لتؤمن أنها قامت على سواعد أبنائها وحدهم وبأنه لا يمكنها أن تكون قد استفادت من هؤلاء المسلمين[1]. !

ولن يتغير الفكر الأوربي في تعامله مع الحضارة الإسلامية إلا عندما يظهر منهج جديد يفرض على العقل الأوربي احترامه، منج بعيد عن الانهزامية والدونية والتوسل باسم الحوار، بل أصيل في انتمائه للإسلام، منفتح في تعامله مع الإنسان والكون و الحياة، متفاعل و متوازن مع كل الحقائق العلمية و النتاج الحضاري، غير أن هذا المنهج الحضاري الإنساني الشمولي يحتاج لعملنا واجتهادنا وإبداعنا، فتحقيق هذا الإبداع هو التحدي الذي ينتظره الوعي البشري كله و الإنسانية التي تكاد تهوي إلى القاع بخضوعها للمنهاج المادي الدنيوي الصراع الذي لا مكان فيه للضمير و لا للروح ولا للعدل و لا للأخوة الإنسانية[2].

والمنهج المناسب لكل ذلك هو منهج التجديد المنضبط بقواعد وأصول المنهج الإسلامي، و التجديد ليس خروجا عن النص بل هو التزام به ولا يجب استعارة منهج خارج المجال الإسلامي لنعتمده في التجديد، وهذا لا يعني على الإطلاق عدم الاستفادة من المناهج الإنسانية[3].

فالتجديد المراد في الفكر الإسلامي هو تجديد لا ينقطع و لا ينفصل عن التأصيل و التجديد ليس الإحياء، لأن التجديد أعمق و الإحياء بعث للروح، أما التجديد بناء و تطوير و التكامل بينهما أن التجديد المراد ليس دينيا منقطعا عن الجانب المدني، ولا مدنيا مفصولا عن الجانب الديني، هو عودة الفروع إلى الأصول .

1- عبد الحليم عويس: تاريخ الحياة الإسلامية، م. س. ذ ، ص 57

2- المرجع السابق ص 61.

3- زكي الميلاد: الإسلام و المدينة، م، س، ذ، ص.

- **علاقة التأصيل بالتجديد:**

مفهوم التأصيل لا ينفصل عن مفهوم التجديد، بينهما تكامل وثيق، فلا تأصيل بلا تجديد ولا تجديد بلا تأصيل ،والتأصيل بعث مفاهيمي للفكر الإسلامي من الداخل و التجديد بعث مفاهيمي للفكر الإسلامي من الخارج بمعنى أن التأصيل هو تنقيح في المفاهيم والتجديد هو تنقيح في الواقع الموضوعي لغرض التطبيق السليم في إنزال القيم الإسلامية على الواقع بطريقة لا يحدث فيها خلل على مستوى التعامل مع المفاهيم وعلى مستوى التعامل مع الواقع، ولكي لا تصبح المفاهيم صعبة التطبيق.

وتحقيق التكامل بين التأصيل و التجديد يرتكز على ثلاث ركائز:

- المنهج أي بلورة وصياغة المنهجية الإسلامية في التأصيل و التجديد .
- ركيزتا المنهج وهما الوحي و العقل، فالوحي هو أداة التأصيل و العقل أداة التجديد وهذا لا يعني أن لا تداخل بينهما.
- موضوع المنهج وهو العلوم الاجتماعية و الإنسانية هو الموضوع الذي ينبغي أن ترتكز عليه عملية التأصيل و التجديد[1].

وعليه فإن من أولويات الفطر الإسلامي اليوم وخاصة بعد 11 سبتمبر وما رافقه من تشويه لصورة الإسلام – هي الدفاع على صورة الإسلام من التشوه من الداخل والتحريف التابع من الخارج، فقد هيمنت على الإسلام صورة مشوهة وكأن الإسلام في صدام مع العالم، فقد تجلت صورة مخيفة ومرعبة عنه وكأن العنف طبيعة ذاتية فيه ويشكل تهديداً للحضارة و للمدنية ولا يمتلك القدرة على التعايش مع الآخر المتخلف، فيقترن تارة بالتطرف و أخرى بالإرهاب وكأن فكره متطرف وسلوكه إرهاب، وهو بريء من كل ذلك لأنه يتعارف مع الحضارات ويتعايش مع الآخر المختلف ويتناغم مع قيم المدنية ويواكب منطق العصر وينفتح على المعارف الإنسانية وخير نموذج لمعلم كل هذه القيم الحضارية هو معلم البشرية نبينا محمد

1- زكي الميلاد : الإسلام و المدنية، م. س. ذ ، ص 34.

صلى الله عليه وسلم رسول السلام ورسول الرسالة الخاتمة و الخالدة و المعاصرة التي احتوت في دعوتها كل القيم الحضارية و الإنسانية التي تنادي بها الأمم اليوم، هذه الدعوة التي يراد لها التجديد و العودة إلى الريادة لأن أصلها حق وثابت، كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الدعوة المدنية الحضارية و الإنسانية التي يطلق عليها الغربيون اليوم بالاتصال العمومي.

الفصل الرابع

استراتيجية الدعوة الإسلامية ومنهج التغيير

لقد تبين من خلال علاقة الاتصال العمومي بالدعوة الإسلامية مع أبعادها المختلفة أن الدعوة الإسلامية – وهي تنسب إلى الحق وحده دون سواه – لها أعماقها في فطرة الخلق وحقائق الوجود، ليست دخيلة على فطرة الناس أو بعيدة على شؤون الخلق، وهي ترشد إلى الغاية وتدعو إلى الاستقامة أي لسلوك سلوكات صحيحة وحضارية في كل الشؤون وفي كل زمان، تحفظ النفس في القول و الفعل وتعلي من قيمة الإنسان حيث كان تعلمه أن الأشياء مع عظمتها وكبرها خلقت من أجله وسخرت له وتحدد لمجتمع كله طريق أمنه وسلمه وتدعو إلى تعارفه وتحذر من الآفات، فهي ليست لحاضر الإنسان فقط بل لماضيه ومستقبله بتقديم عبرة الماضي لينعم الحاضر ويصان المستقبل إن عجز العالم الإسلامي في فترة ما من البرهان بسلوكه الجماعي على حقائق دينه، و الدعوة إليه ، فلن يعجز الدين الإسلامي نفسه عن نشر حقائقه على العالم كله بمسلك راشد ممن يختارهم الله ويؤتيهم ما شاء من فضله وواقع المسلمين المعاصر لم يكن في حقيقة نتاج عمل بالدعوة الإسلامية وإنما هو واقع تضافرت عليه عوامل هي أبعد ما تكون عن حقيقة الإسلام[1].

مفهوم إستراتيجية الدعوة الإسلامية:

الدعوة الإسلامية هي دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعا تجدد على يد محمد صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين كاملا وافيا لصلاح الدنيا والآخرة، فقد قام الإسلام على دعامتين أساسيتين هما كتاب الله وسنة رسوله، فالقرآن المصدر الأول للتشريع والسنة أداء الرسول صلى الله عليه وسلم، بما أوتي من جوامع الكلم عن ربه تفصيلا لما أجمل من القرآن أو تصريحا عن أمر الح إليه الوحي و إلى إجابة عن تساؤل تحيرت فيه الأفكار أو تعبيرا عن إحساس عميق بحقائق الحياة وما هو كائن بعدها وكان سلوكه صلى الله عليه وسلم هوخلقه القرآن وتعاليم الإسلام وبذلك كانت سنته الشرح والبيان العملي لما جاء في القرآن[2].

1- محمد الراوي : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، م. س. ذ ، ص 6.

2- طه محمد: السنة المطهرة والحرب ضد الإسلام، دار الكتب، عمان، 1990، ص 01

لذلك تستمد الدعوة الإسلامية من بقائها من عدة أمور:

- كونها من عند الله رب العالمين.
- صلاحيتها لكل زمان ومكان.
- وفاءها بحاجة الإنسان جميعا فيما يصون وحدتها ويرعى إنسانيتها ويحمي أفرادها.
- تشريعاتها التي تضمن قيام الإنسانية كلها في محيط واحد لا تنزع معه لعصبية دم أولون الجنس[1].
- اتساقها مع حقائق الكون وخصائص الوجود بحيث لا تتعارض مع حقائق العلم أو منطق الفكر.
- إن تاريخ محمد كقائم بالاتصال – بحقائقه المشرفة هو أثبت حقائق التاريخ وسيرته هي أكمل ما عرفت الإنسانية من سيرة الرسول، فلا عجب أن يطلب من الناس جميعا أن يتخذوه قدوة صالحة وأسوة حسنة.
- الدعوة الإسلامية تقرر الأخوة العامة تقيمها على أساس الود والتعارف وتجعل أقرب الناس إلى الله أبرهم بعباده.
- هي دعوة تقوم على السلم و المسالمة وتعتمد على المنطق والحجة ولا يكره أحد على الدخول في الإسلام مع ذلك فهو يوفر الأمن و السلام لمتبعيه ومخالفيه ويطلب العدل حكما في أحوال الناس دون تأثر بحب أو بغض، بعداوة أو صلح.
- إن التعايش السلمي الذي تطلبه الإنسانية وتنشده قائم في الإسلام على أساس العدل بين العباد والتعاون بينهم من تقرير مودة الناس جميعا ومصاهرة أهل الكتاب وإحلال طعامهم وحسن معاملتهم، ومن الرحمة العامة الشاملة التي تحيط بكل ذي كبد ومن العدل الأمين الذي يبذل للعدو و الصديق.

1- فرناند بروديل : تاريخ وقواعد الحضارات، ترجمة حسين شريف، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1999، ص45

- إن المصادر المباشرة للدعوة الإسلامية تضعنا في الحال أمام رجل وكتاب ودين أي أمام محمد و القرآن والإسلام حيث كانت رسالة محمد الحاسمة، فلولاه ما كان للبلاد العربية أن تتوحد، إذ كانت منهكة موزعة بين قبائل متصارعة مكشوفة أمام تيارات النفوذ الأجنبي والتطلعات الاستعمارية[1].

وبنجاح رسالته تمكن محمد من توجيه أنظاره نحو الحدود الشمالية الطويلة ولم تكن كل القوى الموجودة آنذاك تقدر مدى خطورة هذا الدين الذي بدا ظهوره فجأة في هذه البلاد الفقيرة حيث كان الروم و الفرس يتصارعان على امتداد سنوات طويلة في حروب مدمرة.

بدأ بنيان دين الإسلام ينمو رويدا رويدا بفضل القرآن، وبدأت دعائم الإسلام التي جوهرها الخضوع لله بتصميم وسياسة حكيمة من الرسول تزداد رسوخا ولا تتضمن التعاليم الإسلامية أسرار خفية وألغازاً مع أن نقاط عديدة تظل محلا للجدل وتفتح أبواباً كثيرة لتفسيرات مختلفة إن الدعوة الإسلامية في ريعان توسعاتها وامتدادها لم تفعل سوى بعث روح حضارة صلبة قوية مشيدة و دفعها وإطلاقها على محور جديد ومسار جديد[2].

إن دعوة الإسلام يصلح أن يقال عنها إستراتيجية لأنها رسالة الأمة في مشارق الأرض ومغاربها وفي كل زمان ومكان ولكي تنبعث من جديد وتقوم بدورها المكلفة به، لأن رسالة الإسلام خالدة و متجددة – والمتمثلة في هداية الأمم الضالة التائهة من حولها ولا تترك زمام قيادة العالم بأيدي الكفرة و المشركين والضالين و المنحرفين، المغامرين، الشرهين ممن ملكوا أسباب الغلبة المادية فأغرقوا الأرض في الآفات والدماء والأشلاء والخراب و الدمار و الحروب الساخنة و الباردة و المؤامرات

1- فرناند بروديل : تاريخ وقواعد الحضارات، م . س. ذ، ص 45.

2- المرجع السابق، ص 46.

والدسائس و الفتن المعلن عنها وغير المعلن وفرض مختلف صور التحلل الأخلاقي والسلوكي على أهل الأرض بالقوة بدعوة العلمنة أو محاربة الإرهاب أو صراع الحضارات من أجل مواجهة آفات العصر هذه ينبغي تحقيق القضايا السبع الأساسية التي يمكن إيجازها كما يلي:

- **ضرورة الإيمان بأن الإسلام دين ينبني على أساس القناعة القلبية و العقلية الكاملة:** وعلى أساس من العلم و الالتزام لا على الإكراه و الجهل أو الميراث فقط و من هنا كانت ضرورة التأمل في النفس وفي الآفات للتعرف على حاجة الإنسان لخلقه وصفاته و حتمية الإيمان به والتسليم بحاجة الإنسان الفطرية إلى دين الإسلام ومدارسته والالتزام بتعاليمه حتى تتأكد وحدة رسالة السماء ويستبين فضل الإسلام على غيره من المعتقدات وفضل القرآن و السنة على غيرهما من الكتب و السنن وحاجة المسلمين إلى التعرف على حضارتهم و تاريخهم لاستعادة دورهم في هداية البشرية من جديد[1].
- **ضرورة إعادة قراءة التاريخ:** للتعرف على الدور الرائد للحضارة الإسلامية التي استمرت لعدة قرون وغيرت وجهة الأرض بالكامل، لكنهم في دورة من دورات الزمن ابتعد المسؤولون عن هذه الحضارة الراشدة وانشغلوا بالدنيا انشغالا صرفهم عن رسالتهم الخالدة وأوقعهم في الصراعات الداخلية مما أمكن من الأعداء من الانقضاض عليهم وإنهاء دورهم القيادي وإطفاء جذوة حضارتهم وتمثل ذلك في إسقاط دولة المسلمين في الأندلس 1492 م بعد 8 قرون كاملة وبعد سلسلة من الحروب الصليبية الصهيونية استمرت من القرن 11 م إلى اليوم واحتلال أراضي المسلمين احتلالا عسكريا وانقسام مفهوم الأمة الواحدة بتأكيد الحدود وإثارة العصبيات العرقية و الدينية و المذهبية وإشعال الخلافات

1- زغلول النجار: رسالتي إلى الأمة ، م . س. ذ، ص 3.

السياسية والحدودية وتغريب المسلمين عن دينهم الذي لم يبق منه سوى العبادات وبعض تشريعات الأسرة في الأحوال الشخصية فقط.

إن إعادة قراءة التاريخ ضرورة لتصحيح الأمم لمسيرتها وهو من عوامل النهوض بمعرفة أسباب الكبوات والضعف و العلاج و القوة وكيفيات التعامل مع العدو والصديق والتسليم بحتمية الصراع بين الحق والباطل كحتمية وجود.

- **ضرورة التأصيل الإسلامي لجميع المعارف المكتسبة:** بداية باصلاح شامل للتعليم والحث العلمي وتطبيقاته والإعلام بمختلف مجالاته و الاقتصاد والإدارة والسياسة و الحكم و العلاقات الاجتماعية.

بل في كل مجالات الحياة على أساس مبادئ الإسلام وأخلاقه وقيمه الصحيحة حتى يعود الإسلام نظاما شاملا حاكما لحياة الأمة في كل أمر من أمورها ولأنه تكامل مع بعثة الرسول الخاتم، فلم يكن مجرد قضايا تعبدية فقط لكنه نظام شامل و كامل لكل الحياة لأنه دين ودولة، أمة و حكومة قيادة وعبادة، مصحف وسيف، ولا تنطوي العودة إلى تطبيق الإسلام من جديد على رفض معطيات الحضارة المعاصرة لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أول الناس بها والمؤمن يمكنه الانفصال على عصره فهو مطالب بمعايشة أهل زمانه والقيام بأمانة التبليغ عن الله وعن الرسول وكلاهما جزء من رسالة المسلم على هذه الأرض، فقد قادة الأمة الدنيا بتطبيق شرع الله تطبيقاً كاملاً وشاملاً في الحياة ثم ذلت وهانت وتخلفت حين تغربت عنه، ومقاصد شريعة الإسلام لا تتحقق بمجرد العلم بها لا بد أن يقترن العلم بالعمل الصالح لتحويل التشريع إلى واقع عملي فهي قابلة للتجديد والاستمرار والانفتاح على تطور الإنسانية ومستجداتها فما وافق روحها أخذته وماجافى مبادئها وأهدافها وقيمها رفضته وحذرت الناس منه تحقيقا للعدل وتحريا للمصالح ودرءا للفساد وتحسين للحياة الإنسانية[1]. ومراعاة تقدمها وهي الأهداف التي ينشدها العالم اليوم باسم الاتصال العمومي بمفهومه الحديث و عليه فإن مخرج

1- زغلول النجار: رسالتي إلى الأمة ، م . س. ذ، ص 6.

الأمة الإسلامية من أزماتها الحالية المتراكمة عبر فترات الركود هو التأصيل الإسلامي الصحيح للحياة أي تطبيق بل إعادة تطبيق الإسلام نظاما كاملا شاملا في الإطار النظري فقط بل أمرا واقعا في حياة الناس.

- **ضرورة إبراز كل ما في القرآن الكريم و السنة النبوية من أوجه الإعجاز المتعددة**[1].
- **ضرورة التعرف على دور الحضارة الإسلامية في وضع القواعد الأساسية لأغلب المعارف المعاصرة:** فكانت الحضارة الأطول و الأكمل لأنها جمعت بين الدنيا و الدين في معادلة واحدة، أما الحضارة الراهنة التي انسلخت عن الدين بالتركيز على الجوانب المادية فأصبحت حضارة عرجاء تقدمت علميا وتقنيا وانحسرت دينيا وإنسانيا وأخلاقيا و سلوكيا وأشقت الإنسان وتهدده اليوم بالدمار.
- **ضرورة السعي لتوحيد المسلمين في أمة واحدة من جديد:** إذا كانت الدول الأوربية الثمانية و العشرون قد توحدت في كيان واحد يدعى الوحدة الأوربية بعلم واحد وعملة واحدة وبنك مركزي واحد وبرلمان واحد وقيادة عسكرية واحدة وزعامة واحدة و زعامة سياسية واحدة على رغم اختلافاتهم اللغوية و العرقية والمذهبية و العقدية والاقتصادية والعادات و السلوكات غير أنهم فهموا ضرورة توحدهم .
- **ضرورة الاهتمام بنشر الدعوة الإسلامية:** فالأصل في الإنسان الخير و الشر من الأمور العارضة له و الغلبة اليوم في الأمور المادية بأيدي من لا يعرفون الله ولا حدوده فأصبح السلاح الوحيد للمسلمين اليوم للدفاع عن دينهم وقرآنهم وسنة نبيهم ومقدساتهم ودماءهم وأعراضهم وممتلكاتهم وأراضيهم وعن الحق الذي يحملونه للناس جميعا هو الدعوة إلى دين الله بالكلمة الطيبة والحجة البالغة والمنطق السوي بلغة العلم وتوظيف كل وسائل العصر الإعلامية في حسن التبليغ عن الله سبحانه وعن رسوله لإثبات حاجة الإنسانية كلها إلى الإسلام ومن ثم

1- المرجع السابق، ص 13.

يبرهنون على عالمية الدعوة التي تحقق الأخوة الإنسانية وتؤكد كرامته وتدعو لتحقيق السلام على الأرض وتجاهد من أجل المحافظة عليه وتسعى لتربية الإنسان الصالح الفاهم لرسالته في هذه الحياة القادر على تحقيقها أمرا واقعا في حياة الإنسان.

مميزات الدعوة الإسلامية:

تتميز الدعوة الإسلامية بأنها نظام متكامل يشمل فلسفة التربية وأهدافها ومناهج التعليم فالوصول إلى التوازن في حياة الإنسان متعددة الطاقات و الاتجاهات ليس أمرا هينا، ومع ذلك فهو هدف يستحق كل ما يبذل من جهد لأنه يحقق للإنسان أقصى ما يستطيعه من سعادة وسلام وإنتاج في كل حقل من حقول الإنتاج المادي و المعنوي لذلك فأهم ميزة تتميز بها:

- **تربية إيمانية روحية**، تهتم بتربية الإنسان منذ طفولته وتنشئته عقائديا وروحيا حيث يكون معتصما بالله عن الخطأ والفساد، وحيث تخلو التربية من قيم العقيدة والروح و الأخلاق فإنها لا تكون إلا جريا وراء الحياة وأخطاء المجتمعات دون أن يكون لها إطار تعرفه أو هدف يمكن تحديده، والمقصود بالتربية الإيمانية ربط الفرد منذ الطفولة بأصول الإيمان وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، فالعقيدة أساس السلوك الإنساني[1].
- **التربية الجسمية** : تعني الدعوة الإسلامية بتهيئة الفرد منذ طفولته كي يكون قويا في بدنه سليما في بنيته الصحية، خاليا من الأمراض لمواجهة الحياة بقوة وحيوية، وهناك منهج رسمته الدعوة الإسلامية في تربية الأبناء جسميا تتضح معاملته فيما يلي:
  - وجوب النفقة على الأهل و الولد.
  - الاحتراز من الأمراض بالوقاية و العلاج.

1- صالح محمد علي أبو جادو: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، م . س. ذ، ص 251

- تطبيق مبدأ لا ضرر ولا ضرار قاعدة شرعية من أهم القواعد التي قررها الإسلام و بني عليها أمور كثيرة للحفاظ على كيان الفرد والمجتمع في دفع الأذى والضرر عن الناس.
- ممارسة الرياضة و الفروسية.
- عدم الإغراق في النعيم للتمكن من مواجهة مصاعب الحياة.

❖ التربية الاجتماعية:

يقصد بها تأديب الفرد منذ نعومة أظافره على التزام آداب اجتماعية معينة فاضلة تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة و الشعور الإيماني العميق ليظهر في المجتمع في حسن التعامل والأدب و الاتزان والعقل الناضج والتصرف السليم، فسلامة المجتمع وقوة بنيانه وتماسكه مرتبطة بسلامة أفراده وإعدادهم[1].

لذلك عنيت الدعوة الإسلامية بتربية الأطفال اجتماعيا وسلوكيا ليعطوا الصورة الصادقة عن الإنسان المنضبط و الحكيم، ومن أهم المظاهر التي تشير على عناية الدعوة الإسلامية بالتربية الاجتماعية للفرد.

- حرص الإسلام على أن تقوم الاسرة بمختلف أفرادها بدورها في توجيه الطفل والتأثير فيه.
- عناية الإسلام بإقامة العلاقات الأسرية القوية على أسس متينة لتثبيت دعائمها.
- تعليم الطفل كيفية التعامل مع الآخرين وأن يتقيد بضوابط سواء مع أسرته او غيرها.
- غرس مجموعة من القيم الخيرة كالعمل و المساواة و العدل و الانتماء.
- شغل أوقات الفراغ بما يعود بالفائدة كتنمية المهارات و المواهب.

❖ التربية العقلية:

يقصد بها إعداد أفراد المجتمع بحيث يتميزون بسلامة التفكير وفهم البيئة المحيطة و التفاعل الإيجابي معها وحسن تقدير الأمور والحكم على الأشياء و

1- المرجع السابق، ص 253.

الاستفادة من خبرات أي أن الدعوة الإسلامية تعنى بتكوين فكر أفراد المجتمع بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية و الثقافية العلمية و الفكرية الحضارية، فمسؤولية التوعية الفكرية من المسؤوليات الكبرى التي جعلها الإسلام أمانة في عنق الآباء والمربين والمسؤولين جميعا وتوعية الفرد منذ حداثة سنه ونعومة أظافره إلى أن يصل سن الرشد بربطه بالإسلام والثقافة الإسلامية العامة روحا و فكرا.

❖ **التربية النفسية:**

إن سلامة الجسد من العلل وسلامة النفس البشرية من الهم و الحزن و الكسل و الجبن و البخل والقهر شرطان ضروريان للصحة النفسية لذلك فإن الصحة النفسية الجيدة لابد لها من زاد وزادها الإيمان بالله والاطمئنان والرضا بقضاء الله وقدره والصبر على بلائه والثقة في كونه وحفظه والقناعة برزقه و العمل من أجل الكسب من اجل تكوين شخصية متزنة ومتكاملة[1]. فصلاح المجتمع يكون بصلاح الفرد و الدعامة الأولى لصلاح الفرد هي إصلاح نفسه وهذا ما تدعو إليه الدعوة الإسلامية لأن ذلك يجعل المجتمع مستقيما، فما هو إلا لبنة لمجتمع المسلم تنتظم على جانبها لبنات أخرى يجب أن تكون قوية وصالحة يشيد بها صرح أمة الإسلام، فأشد ما تكون حاجة الأمة اليوم هو انضواء أفرادها تحت لوائها بحيث يمثل كل فرد منهم لبنة قوية صالحة ترسخ دعائم المجتمع السليم و تعلي صرحه ففساد الأمة من فساد أفرادها وصلاحها من صلاح أفرادها، مع ذلك فأمة الإسلام اليوم بعيدة عن منهجها الشامل لكل مناحي الحياة تقول بألسنتها لكن قلوبها وسلوكها الواقعي مخالف لها أتم المخالفة، فالإصلاح النفسي للفرد هو القاعدة الأساسية لصلاحه وصلاح أمته والدعامة الأولى لاستقامته[2].

❖ **التربية الأخلاقية:**

هي مجموع المبادئ الخلقية والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الفرد ويكتسبها ويعتاد عليها منذ الصغر على أن يخوض الحياة، فالفضائل

1- صالح محمد علي أبو جادو: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ، م . س. ذ، ص 255

2- محمد علي فركوس :(الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح الأمة) مجلة الإصلاح العدد1 دار الفضيلة الجزائر 2007 ،ص 5 .

الخلقية والسلوكية و الوجدانية ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ و التنشئة الاجتماعية و الدينية و الصحيحة التي تحث على الصدق و الأمانة و الاستقامة و الإحسان على الآخرين واحترامهم[1].

إن خلود رسالة الإسلام ودعوتها و صلاحيتها لكل زمان ومكان لما تمتاز به من مقومات الخلود و الشمول و التجدد و الاستمرار، و لأنها تتميز أيضا بتنمية الإحساس الديني لدى الفرد منذ الطفولة لأن التربية الخلقية للصغار مظهر من مظاهر التربية الدينية، وقد قرر الإسلام أن بقاء الأمم وازدهار حضارتها يتحقق بصلاح أخلاقها فإذا سقط الخلق سقطت الدولة فغرض التربية عند المسلمين بالدعوة الإسلامية تهذيب النفوس وتحصيل الفضيلة يدل على ذلك أن الرسول عليه الصلاة و السلام أرسل لهداية الناس وتأديبهم بأدب القرآن فكان أول معلم في الإسلام جاء ليتمم مكارم الأخلاق، فدعوة الإسلام لم تكن دنيوية محضة إنما دينية دنيوية معا تهدف إلى تربية وإعداد المرء للحياة الدنيا و الآخرة، لذلك كان من واجب الآباء نحو الأبناء، حضانتهم وتربيتهم وتهذيب أخلاقهم ليكونوا أفرادا صالحين في المجتمع فوفاق وانسجام الوالدين المتكامل يخرج طفلا هادئا مطمئنا له أثر إيجابي على حياة الطفل والعكس ينجر عنه قلق النفس واضطراب الفكر وتناقض السلوك كما يؤثر الوضع الثقافي والتعليمي للوالدين تأثيرا ايجابيا ويؤثران في تنمية الوعي الديني و الثقافي ويعمل عل نمو وسرعة التكيف مع الوسط الاجتماعي منذ الصغر[2].

أساليب الدعوة الإسلامية:

المنهج الإسلامي لا يفصل بين الهدف و الوسيلة، فالهدف العظيم يقتضي وسيلة رفيعة نسلكها لبلوغه، لذلك كانت دعوة الإسلام دائما وأبدا تهدف إلى تكوين الفرد الصالح لخدمة دينه وأسرته ومجتمعه، يكون أهلا لمثوبة الله مما يستوجب اتخاذ وسائل ناجعة وفعالة لبلوغ ذلك الهدف ومن أهم ما اعتمدت عليه

1- أبوجادو : سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ، م . س. ذ، ص 255
2- بلقيس اسماعيل داغستاني: التربية الدينية و الاجتماعية للأطفال ، م . س. ذ، ص 77

الدعوة الإسلامية من أساليب لبلوغ أهدافها نجد: - الدعوة بالقدوة: وهي من أهم العوامل المؤثرة في التربية والتوجيه إذ تعتبر القدوة نموذج للكمال والنجاح و الشهرة، و القدوة الحسنة من أبرز الأساليب التربوية لذلك على المربي أو الداعي أو القائم بالاتصال بصفة عامة أن يحمل مسؤوليات وتبعات القدوة حق حملها وأن يكون مثالا حيا لحسن الخلق و السلوك و الالتزام، كأن تكون الأسرة قدوة أمام طفلها تدعوه للخير وتلتزم الصدق و الوفاء والإخلاص في سلوكها، فالمربي أمام التلاميذ مثلا إذا تخلى عن رسالته أفسد جيلا بأكمله. فللقدوة أثر كبير في اكتساب القيم و الفضائل لأن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم تارة من العلم والإلقاء و تارة محاكاة وتلقينا بالمباشر، وهذه الأخيرة هي أشد استحكاما وأقوى رسوخا، لذلك فالدعوة الإسلامية تدعو إلى الإقتداء بسيد الخلق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ يعتبر مدرسة في القدوة سواء في صدق الكلمة أو أمانة الرأي أو حسن المعاملة أو البعد عن الرذائل[1].

- **الدعوة بالترغيب و الترهيب:**

وهما من الأساليب التربوية وأبعدها أثرا، كونها تتماشى مع ما فطره الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة و التعليم و الرفاهية وحسن البقاء و الرهبة من الألم.

ويجمع العلماء على أن استعمال أسلوب التشجيع و الثواب و المكافأة أمر ضروري للفرد منذ طفولته.

فأسلوب الترغيب إيجابي باقي الأثر، دائم التأثير، يثير الرغبة الداخلية في الإنسان يخاطب مشاعره ووجدانه وقلبه، بينما أسلوب الترهيب سلبي لأنه يعتمد على الخوف وهو آني يزول بزوال المؤثر، لكن يجب مراعاة الاعتدال و الحكمة في استخدام أسلوب الترغيب و الترهيب بحيث لا يؤدي الترهيب إلى الخوف أو الضعف أو الاستسلام.

1- محمد علي أبو حادو: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، م. س. ذ، ص 261.

الدعوة بالوعظ و الإرشاد:

واجب كل مسلم و مسلمة من أهل القدرة عليها، وليس واجب العلماء وحدهم، فالوجوب على كل من اتبع محمدا شرط أن يكون الدعاة على بصيرة أي أن يكونوا على علم و بصر مهما كان هذا الذي يدعو إليه يسيرا وبسيطا، فمعظم مشكلات العالم الإسلامي تأخذ طريقها إلى الحل لو أن المسلمين فقهوا الدعوة أو المعرفة بالدعوة بممارستها على كل مستوى من مستوياتها ومراحلها بالتأسيس بما كان عليه الدعاة الأصلاء وهم الأنبياء وعلى رأسهم معلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم وفي مواجهة المشكلات الاجتماعية المعاصرة و الحديثة التي تفشت في مجتمعاتنا الإسلامية و الدعوة بأسلوب الوعظ و الإرشاد تكون محدودة إذ لا بد من أن تتكامل الجهود الدعوية و التربوية الإسلامية كافة للتصدي لهذه المشكلات، فالوعظ و الإرشاد يؤديان إلى التربية وهو نشاط مستمر لا يتوقف يصل بالناس إلى أن يكونوا دعاة بدورهم عن طريق سلوكاتهم التي تكون قدوة بالتالي تكوين الشخصية المتكاملة وغير ذلك يؤدي إلى الاستمرار في التبعية للثقافة الغربية و القيم الغربية في السياسة الاقتصادية و نظم الحياة كلها[1]. فالموعظة و الإرشاد الهادف له أثر فعال لذلك أوجب الرسول الكريم النصيحة الخالصة على جميع المسلمين بعضهم اتجاه بعض فالموعظة المخلصة و النصيحة المؤثرة إذا وجدت لها نفسا صافية وقلبا متفتحا وعقلا حكيما متدبرا فإنها أسرع للاستجابة وأبلغ في التأثير، لذلك يجب التحلي بالصدق و مراعاة الإخلاص في النصيحة و الإرشاد و التوجيه لأنه لا يرجى أي تأثير إيجابي من امرئ يخالف فعله قوله وسلوكه ونصائحه[2].

1- ابراهيم بن مبارك الجوير: أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية ط1 مكتبة العبيكات الرياض 1994، ص 20.

2- محمد علي أبو جادو: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ، م . س. ذ، ص 265 .

- **الدعوة بالملاحظة:** حيث حث الإسلام على مراقبة الأبناء في كل ناحية من نواحي الحياة وتلازمهم فإن كانوا على استقامة تثنى عليهم وتشجعهم وإن كان العكس تسعى للتعديل و التقويم.
- **الممارسة و التدريب العملي:** مدخل مهم في تعليم القيم و الفضائل وآداب السلوك الاجتماعي يكتسب فيه الفرد السلوك الصحيح، لذلك استخدم الإسلام العادة كوسيلة من وسائل التربية فحول الخير كله إلى عادة تقوم بها النفس بغير جهد أو مقاومة، فالتعويد و التقويم له دور مهم في تكريس المكارم و الفضائل الخلقية و النفسية.
- **الإقناع الفكري:** الإقناع من أول الطرائق التي استخدمها القرآن وسلكها الرسول من معظم الحقائق التي اشتمل عليها الإسلام وقد دعا الإسلام إلى استعمال العقل والتفكير المنطقي السليم في فهم حقائق الأشياء و التمييز بين الحق و الباطل والخطأ و الصواب بالحجة و البرهان لا بالتقليد الأعمى ولا الإكراه ويكون الإقناع الفكري بالتعليم المباشر أو غير المباشر أو بالمجادلة بالتي هي أحسن، فالمعرفة تمكن من إدراك الفضائل و الرذائل وتولد الحافز الذاتي على التطبيق لاسيما إن تعلق الأمر بقضايا السلوك الإنساني و النفس البشرية بها ميل إلى الاستجابة إذا اقتنعت والدعوة الإسلامية تسعى للإقناع بما ينبغي اتخاذه كسلوك فيكون أكثر احتمالا وثبوتا، فهي تحترم عقول الناس بل تدعو إلى ذلك وتشجع مبادراتهم الفكرية و إفهامهم.
- **الدعوة بالقصص:** من أهم أساليب التربية الحديثة لما لها من تأثير نفسي على الأفراد خاصة إن كانت بأسلوب مشوق يشد الانتباه ويؤثر على العواطف و الوجدان وقد أبرز القرآن أهمية القصص الإيجابية وتأثيرها النفسي و الأخلاقي ودورها في تهذيب النفوس، و لقصص القرآن طريقة تربوية يمكن الإقتداء بها من حيث نسج القصة وإيراد الموقف التي لها علاقة بالغرض الذي ذكرت القصة من أجله و التغاضي عن التفاصيل و إدماج العبر و العظات لكي لا ينسى المستهدف الهدف من القصة، فإذا فقدت القصة هذه العناصر غاب عنصر

التوجيه بسبب تغلب تسلسل الأحداث فالرسول المعلم استعمل الأسلوب القصصي في كثير من المواقف حتى يوصل فكرة معينة منتهجا في ذلك نهج القرآن الكريم[1].

إن الإسلام أهم النظم التي يمكن من خلالها بث ما تضمنه تشريعه من مبادئ وقيم ومثل عليا حرص على ترجمتها إلى سلوك عملي، وهي من أهم المقومات التي تعد الفرد و تبني شخصيته جسميا وعقليا واجتماعيا بناء يتصف بالشمول والتكامل و الواقعية.

الدعوة الإسلامية وما تتضمنه من تربية تهتم بأمور الدين و الدنيا اهتماما يؤمن الانسجام و التوافق بين قوة الروح و قوة الجسد ولا يغلب أحدهما على الآخر فنستغل كل شيء لإقامة الدعوة.

- **الدعوة باستغلال الأحداث:** البشر في الحياة الدنيا في تفاعل دائم مع الأحداث و المربي لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة و بغير توجيه و إنما يستغلها في تربية النفوس و تهذيبها و يمكن الاستفادة من الأحداث المحيطة في أي مكان لتعليم الحقائق لأنها تساعد على التوضيح والإقناع أكثر[2].

على العموم كل هذه الأساليب تتصب في إطار واحد وهدف واحد هو الإصلاح الذي رسم الإسلام طريقه من منطلق ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد الآية 11) لذلك على القائم بالاتصال أن يصلح نفسه و أمره وأمر من تولاهم ليصلح حال المجتمع ككل وذلك بمراعاة توفر قوة التفكير و قوة الإرادة، فالأولى تساعد المتعلم على المعرفة و العلم و الثانية تحركه لتطبيق هذا العلم وتحويله إلى سلوك:

1- بلقيس اسماعيل داغستاني: التربية الدينية و الاجتماعية للأطفال ، م . س. ذ، ص 84

2- المرجع السابق، ص 84

◆ **أسلوب الحكمة**: وهو معرفة الدين و العمل به ويتضمن التمييز بين المأمور والمحظور وبين الأعمال الحسنة و القبيحة و الخير من الشر و الحق من الباطل.

◆ **الموعظة الحسنة**: يوجه بها القائم بالاتصال المستهدفين الذين لا يمارسون المطلوب منهم.

◆ **الجدل الحسن**: يربي به القائم بالاتصال أولئك الذين لا يمارسون المطلوب منهم بل لا يؤمنون بضرورته و هي أساليب فعالة في العلم و العمل به[1].

عالمية الدعوة الإسلامية:

◆ **معنى الإسلام**: إن نصوص الإسلام المتمثلة في القرآن و السنة وواقع الإسلام العملي يدلون دلالة قاطعة على أنه دين عالمي وانه رسالة الله للعالمين و الإسلام ليس غريبا على الكون و لا دخيلا على فطرة الإنسان بل هو حقيقة حياة الكون مسوقة في تنزيل إلى فكر الإنسان وضميره ليحيا منفعلا بما حوله من حقائق تعمل في وجوده و تؤثر في بقاءه فالكون و الإنسان كلاهما أثر لقدرة الرحمن خاضعة بالفطرة لجلاله، وكلمة إسلام تعني الانقياد و الامتثال لأمر الآمر بلا اعتراض و عليه فالكون كله مسلم من شمس و قمر ونجوم و كواكب وماء وشجر وإنسان و حيوان، ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران: 83] فكل من في السموات و الأرض مسلم بهذا المعني أي خاضع لأمر الله مطيع لما وضع في العالم من قوانين.

و الإنسان ذو جانبين جانب منقاد بالفطرة من حيث حياته وموته وطوله ولونه وجانب هو فيه مختار من حيث سلوكه وعمله نتيجة عزمه وإرادته، فإن التقى بسلوكه وعمله مع فطرته تبعا لأمر ربه كان الصلاح و إن انحرف بسلوكه و عمله عن فطرته، أي كانت إرادته تبعا لهواه كان الفساد.

1- بلقيس اسماعيل داغستاني: التربية الدينية و الاجتماعية للأطفال، م . س. ذ، ص 86

ولهداية الإنسان إلى السلوك الذي يتفق مع الفطرة و لا يصطدم مع نواميس الكون وسننه وينتفع بخصائصه الذاتية وما خلق الله و ما سخر من أجله في عدل و إنصاف وبر ورحمة جاءت الدعوة الإسلامية ترسم السبيل وتوضح الطريق وتقيم الحدود وهي تلتقي مع الفطرة بلا حرج[1].

الإسلام في لغة القرآن ليس اسما لدين خاص إنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء.

الإسلام شعار عام يدور في القرآن على السنة الأنبياء وأتباعهم إلى عصر النبوة المحمدية و القرآن يجمع هذه القضايا كلها في قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد لم يشرع لهم دينا جديدا بل دين الأنبياء من قبلهم .

إن مدلول كلمة الإسلام الذي يسرد في القرآن كل الأنبياء و أتباعهم وينظمهم في سلك واحد ويجعل منهم أمة واحدة لها إلاه واحد وشريعة واحدة مدلول يتسع للكون كله زمانه ومكانه لأنه حقيقة خالدة لا تتبدل ولا تتغير، فهي كلمة واحدة يمكن أن ينتسب العالم كله إليها تتسع له في وحدة لا تعرف الفرقة، مجردة من النسبة إلى شخص أو زمان أو مكان[2].

النقلة التي أحدثها القرآن في العالم:

كما أحدث الفكر القرآني نقلة عند العرب أحدث نقلة واسعة على مستوى القرآن الكريم، فالنقلة الكبيرة التي أحدثها القرآن في العالم تتمثل في:

- **المعرفة:** حيث اعتمدت المعرفة قبل الإسلام على الحواس و العقل وتسللت إليها الخرافات و الأساطير و أقوال الكهنة و العرافين وغلب على العقل الطابع الفلسفي، دون ضوابط، أما المعرفة وفق المنظور الإسلامي فتتمثل في ثلاثة جوانب :

  • الوحي حيث هو أشرفها و أصدقها.

  • العقل.

1- محمد الراوي: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، م، س، ذ، ص 81

2- محمد الراوي: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، م، س، ذ، ص 88

• و الحس.

و الوحي من عند الله لا يخطئ لذلك سلم فكر الأمة من الانحراف لأن المعرفة قائمة على ضوابط ومعايير.

- **العقيدة:** أحدث القرآن نقلة واعية في العقيدة نقلها من العقيدة السليمة المنحرفة إلى العقيدة الإيجابية الصحيحة المتعلقة بالإله و الكون والحياة و الإنسان، فقبل الإسلام كان الفكر الإنساني عن الإله، شمسا أو قمرا ثم أصبح ثلاثة في واحد، أما الفترات التي عرفت البشرية التوحيد الخالص كانت قصيرة جدا سرعان ما تعود للشرك وعندما جاء القرآن ثبت عقيدة التوحيد واستقر الأمر إلى قيام الساعة.
- **الأخلاق:** اتسمت الأخلاق قبل الإسلام بالطابع الفلسفي، فنظر البعض إلى أن الحياة المادية هي كل شيء ونظر آخرون أنها لاشيء يذكر بل خيال، فترتب عن ذلك أنصار النظرة المادية والملذات والشهوات وأنصار الثانية الداعية إلى التقوقع والاعتزال و الحرمان[1].

أما نظرة الإسلام فجاءت منظومة أخلاقية راقية متوازنة تقوم على معايير وقيم تجمع بين الدنيا و الآخرة.

- **التشريع:** لم يعرف العالم قبل الإسلام نظاما تشريعيا يتصف بالصلاحية الدائمة ولعل أغرب التشريعات قديما هو التشريع الروماني اللا منطقي الذي يصدر أحكاما على الجماد و الحيوان وينزل العقوبة بهما ويحكم على الناس الذين يعجزون عن دفع ديونهم بالرق فيصبحون عبيدا يضع الدائن حبلا على أعناقهم.

◆ **النقلة التي أحدثها محمد المربي:**

ظهر العرب مرة ثانية على صعيد الحياة عندما اصطفاهم الله ليحملوا الرسالة الخاتمة بعدما رباهم محمد صلى الله عليه وسلم بتعاليمها، ففي خلال ربع قرن تقريبا استطاع نبي الإنسانية إعداد جيش من المعلمين و المربين من رهبان الليل

1- عزمي طه السيد: الثقافة الإسلامية، م، س، ذ، ص 272

وفرسان النهار ومصلحي الأرض، فأنشأ جيلا من البررة المهرة ساحوا في الأرض واجتاحوا جذور الفساد وكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس، و في هذا الدور من الوجود العربي امتزجت خصائص جنس بحقائق رسالة وعرف العرب أنهم جسد روحه هذا الدين، فكانت كلمة عروبة ترادف كلمة إسلام به يتحركون وبهم ينطلق ليخرجوا من ضيق الدنيا على سعة الإسلام، وكانت المدينة المنورة عاصمة الإسلام يومئذ أحق بلد في الأرض بقيادة العالم لما تقدمه من مناهج وقيم أرجح للحق مما تقدمه رومية وأثينا ومصر و فارس و الهند و الصين، فحول الإسلام العرب من أميين إلى أساتذة راسخين فضلاء، بينما كانت العواصم الأخرى تعج بعصابات الكهنة الصغار الحكماء الأثرياء و الأثرياء اللصوص[1].

ولكي لا يكون الحديث دعوة مجردة نذكر معالم النقلة التي حولت العالم إلى أوضاعه الجديدة:

- قام العقل الإسلامي على الحقائق وحدها ونفى الأوهام والظنون وأعتمد على الفكر الذكي و الحواس في تقرير أنواع المعرفة، وكانت البشرية تدرك ذلك، فالقرآن والسنة اعتبرا الغباء وقلة الوعي طريق النار ،فقد أنشأ الإسلام حركة فكرية، ما كان للعالم عهد بها ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: 179].
- قام الخلق الإسلامي على نشدان الكمال في السلوك الإنساني كله وصاحب الرسالة عليه السلام جاء ليتمم مكارم الأخلاق، فجعل الخلق الفاضل كالنقد المتداول يسود كل مجلس ويدخل كل سوق ويصبغ كل معاملة، ورفض الإسلام قبول العبادات المعزولة عن مكارم الأخلاق المخلوطة بمنكر القول و العمل[2].
- **الضمير الإسلامي** (هو القلب بتعبيرالشرع) شديد الحساسية بالخير و الشر وما يرضى الله وما يسخطه وهو معمور بالتقوى و مراقبة الله بعيد عن دوافع الرغبة فهو محصن بمعاني التقوى.

1- محمد الغزالي: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، م، س، ذ، ص 48

2- المرجع السابق: ص 50

- الجسم في الإسلام يجب أن يكون وضيئا و الوضاءه شيء فوق الطهارة و الجمال ولم تعرف العواصم الأوربية الحمامات و أنواع التطهير إلا اقتباسا من الإسلام وتقليد لأهله .

وصحابته صلى الله عليه وسلم جزء من الرسالة ومن كيان النبوة وخير القرون القرن الأول و الذي يليه فالرسول صلى الله عليه وسلم مات ورسالته محصورة في الجزيرة العربية مع أنها من الناحية العلمية رسالة كاملة، ومن أعطاها الامتداد العالمي هم صحابته الذين رباهم وأحسن تربيتهم، نقلو الإسلام من جزيرة العرب إلى إفريقيا وآسيا، فكانوا أقدر وأنضج وأجدر بالحياة وأكثر صلابة من أتباع الأنبياء السابقين، فكانوا أشد الناس وفاء له، وحققوا العالمية وهدموا أكبر إمبراطوريتين في التاريخ في وقت واحد بعد عشر سنين من وفاة الرسول، وهما الإمبراطورية الفارسية والرومانية في آسيا الصغرى والشمال الإفريقي كله فانحصرت في أوربا وبعض آسيا[1]. إن الموقع الفاعل بالنسبة للعاملين للإسلام ولقضية الدعوة في هذا العصر الذي تتحكم فيه الموازنات الدولية وترتكز فيها ابتكارات تكنولوجية في خدمة القوي أصبح ضرورة مصيرية، والامر لم يأت بجديد، بمعنى إذا كان التيار الإسلامي يتحرك وهو يشعر أن أمامه أسوار هائلة تحجب انطلاقه فهذه العوائق هي ذاتها التي اعترضت صاحب الرسالة أول ما قام يدعو ما كان أحد ليصدق أن شعبا كشعب الصحراء يشبه في قدراته العقلية والنفسية أي شعب من شعوب العالم المتخلفة الآن، يمكن أن يحمل رسالة كبيرة، لكن عظمة الداعية ومثابرته وتلطفه يغير الأمر ويمكن التنفيذ فإذا كان (التيار الإسلامي) تحيط به حدود غليظة من التخلف العلمي و الحضاري و العسكري والمدني فإنه لا يجوز أن يكون دافعا لليأس.

فالداعية عليه أن يبدأ بإصلاح بيئته وإعدادها إعدادا نفسيا وعقليا لتكون منطلقا إلى ما بعدها وكلما أصلح جزءا من الأرض التي يقف عليها انتقل إلى أخرى

1- محمد الغزالي: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، م، س، ذ، ص 136 .

لينطلق إلى العالم كله و التغييرات التي حدثت في العالم تجعله حذرا ومقدرا لأبعاد ما يقول.

ووسائل الاعلام أصبحت فنا يمكن العمل بها أشياء كثيرة لجعل كلمة الإسلام تتردد بصورة وأساليب متعددة لها رجالها الذين يتقنون أن يبلغوا أعماق النفوس.

فالصورة لها تأثير و الخبر أصبح له فن لذلك يلزم معرفة ما جد في العالم من أساليب لأنها كالأسلحة[1].

و الارتباط بالأسلحة القديمة جنون، و الحركة تحتاج إلى ذكاء ولباقة فكر، و الدعوة بمفهومها المعاصر اليوم تحتاج إلى إنسان تكون خصائصه العقلية مرنة يستطيع الحركة بالإسلام في مواطن كثيرة، فالإصلاح يبدأ بالبيت والشارع و التقاليد و الأخلاق قبل الوصول للتحكم، ونحن اليوم نتخطاها ولا نفكر فيها، ونفكر فقط في التحكم ، والذي ينسى الطريق الطويل قبل الوصول إلى ديوان الحكم إنسان متهم في عقله، و الإصلاح يبدأ بالنفس قبل الآخرين، فساحة العالم الإسلامي لا تختصر على درس بالمسجد وخطبة و زي معين، إن قضية الدعوة أهم بكثير، هي نبوغ كل مسلم في اختصاصه العلمي وقدرته على اعتلاء المنابر الفاعلة في المجتمع، وهذه مشكلتنا اليوم بدل التزود بالعلم لخدمة هذا الدين في الميادين المختلفة بقينا داخل قوقعة بسبب الآفة العقلية و القصور العلمي[2].

جاء التشريع القرآني العظيم بنظام وقوانين تشريعية تحظى باحترام الإنسان، فنظر باحترام للفرد و الجماعة وللدولة وللمال وللحكم فلبى حاجات الإنسان لأنه تشريع إلاهي صادر عن خالق هذا الإنسان

◆ **إنسانية رسالة الإسلام (أو الدعوة الإسلامية):**

لقد أقر الإسلام أن الإنسان سيد هذا الكون وخليفة الله في الأرض والأشياء المادية كلها صالحة لأن تقدم النفع و صالحة أيضا لأن تسخر في الضرر،

1- المرجع السابق: ص 139

2- محمد الغزالي: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، م، س، ذ، ص 139

وميزان ذلك خلق الإنسان وسلوكه وذلك موطن اختياره، ولذلك كانت مهمة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في صميمها تصحيح الجانب الخلقي في الإنسان ليسلم ميزان التقدير ويتحقق جانب الخير « إنما بعثت لأكمل مكارم الأخلاق » وواقع الحال يفيد أن معظم أوقات العالم مسخرة للإبادة و الحرب، حيث الإنسانية في أقل من نصف قرن اشتعلت فيها النيرات حربين عالميتين خرجت منها لا إلى سلم بل إلى حرب من نوع آخر إلى حرب الجوع و الفزع و الترقب لأهوال الحرب و الإبادة، وهذ اما يجعلنا نجزم بإفلاس المذاهب القائمة وعجزها تماما عن تحقيق السلم في العالم أو في محيط الأفراد، وهي تقيم انفصالا بين مطالب الجسد و الروح وبين دنيا الإنسان وآخرته، حيث دفعت الحضارة المادية الصناعية هذا الإنسان إلى الاعتداء على البشرية، فالإنسانية غير الآلة لها مشيئة و الآلة عديمة المشيئة و الاختيار، فلا يكفي أن تدار الآلة، بل لابد من قيادة وقيادتها في الإنسان وقيادة الإنسان لنفسه و للآلة معا تكون صالحة يوم يدرك القيم و الخير و الشر، الأخوة و التعاون، ويوم يدرك الله، فالإسلام توجيه نحو المستوى الفاضل للإنسانية، توجيه نحو المستوى أينما وجد الإنسان في المجتمع عديم الحضارة المادية أو في آخر ذو حضارة صناعية[1].

الإسلام رسالة التزكية و الطهر من طغيان الحيوانية ورسالة الحكمة الممثلة في إدراك القيم و المثل ورسالة الانتقال من الانحراف إلى الاستقامة في السلوك الإنساني سواء لمن جاء في القرآن بلغتهم وقت مجيئه بغير لغة العرب أول لمن يجيئون بعدهم من جميع الأجناس القادمة في أي مكان و أي زمان

ومن مميزات الإسلام الأصلية ملاءمته لجميع الأجناس البشرية، فلم يكن العرب وحدهم هم الذين اتبعوا الإسلام، فدين الرسول محمد أكد منذ الساعة الأولى من ظهوره أنه دين عام صالح لكل زمان و مكان وصالح لكل جنس و بالضرورة صالح لكل عقل إذ هو دين الفطرة لا تختلف في إنسان عن اخر وهو كل لهذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة على ما فيه من تسامح وبساطة، فالإنسانية لا يمكن أن تحيا امنه بغير هذه الدعوة الفطرية و الواقعية معا لأنه قائم

1- عزمي طه السيد: الثقافة الإسلامية ، م، س ، ذ، ص 272.

على الحرية دون ضغط أو إكراه وقائم على واقع حياة الإنسان[1]، حتى كبراء علماء ومفكري الغرب أقروا بإنسانية هذه الدعوة حيث يقول الكاتب البريطاني المشهور برنارد شو « أنه لا ينتعش العالم من كبوته إلا إذا أخذ بتعاليم الديانة الإسلامية و لا بد من هذه النتيجة » ويقول أحد كبار رجال القانون الفرنسي شارل ميرمر « أنصح جميع المسلمين بأن لا يطلبوا مستقبلهم من تقليد النظامات الأوربية و المسيحية، عليهم طرح هذه النظامات ويمعنوا النظر في مشهد ما نحن فيه من فوضى خادعة، أطلبوا دينكم الذي يعتبر اسمح دين وأكثر مساواة، هو مفتاح مستقبلكم ولا تستعيروا منا إلا الاكتشافات العلمية التي تساعد على إنماء سعادتهم ».

أما المؤرخ ولز فيقول « كل دين لا يسير مع المدنيه في كل طور من أطوارها أضرب به عرض الحائط وإن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنيه هي الديانة الإسلامية، و إذا طلب مني أحد أن أحدد له الإسلام فسأقول له " الإسلام هو المدنيه[2]" ».

إن نصوص الإسلام وواقعه العملي يدلان دلالة قاطعة على أنه دين عالمي وأنه رسالة الله للعالمين ونحن في عصر تبدوا فيه الإنسانية وكأنها في بيت واحد لا حدود فيها والأثير يتقل أنباءها وأخبارها في كل مكان فما أيسر انتقال المعرفة وما أسرع أسباب التعارف ولا يحتاج الأمر إلا صدق الداعين و إخلاصهم، صحيح أنهم في ضعف وغيرهم في قوة، ولكن هذا الغير له من مرارة التجربة ومن إدراك الواقع من الحاجة إلى الأمن و الشوق إلى السلم ما يجعله يتقبل في يسر كل دعوة صالحة أو فكرة راشدة تغير حال هذه الإنسانية المهددة بالحرب و الخراب و محتلف الافات[3].

عالمية الرسالة الإسلامية تكون بعدم اختصاصها بجنس من أجناس البشرية وبعدم انحصار تطبيقها في إقليم خاص أو بيئة معينة وامتدادها أزمان طويلة تخلد فيها بعد العصر الذي بدأت فيه بمعنى أنها تكون صالحة لكل جنس ولكل بيئة

1- محمد الراوي: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، م . س. ذ، ص 592.

2- عزمي طه السيد: الثقافة الإسلامية ، م، س ، ذ، ص 282 .

3- محمد الراوي: الدعوة الإسلامية، م . س. ذ، ص 599.

ولكل جيل مع كل لون ومع أي ثقافة وفي جميع العصور والأجيال وبدون ذلك لا يتحقق معنى العالمية في أي دعوة لذلك فرض الإسلام نفسه كدين وكأسلوب للحياة و التفكير و كقانون أخلاقي ونمط ثقافي متميز على أن أصبح ظاهرة حضارية فريدة في وقت قياسي ويمتد في مناطق واسعة ويقول جوستاف لوبون في هذا الصدد «أثبت التاريخ أن الأديان لا تنتشر ولا تفرض بالقوة، ولم ينتشر الإسلام بالسيف بل بالدعوة، وبالدعوة اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب كالترك و المغول » فالدعوة الإسلامية فيها من عناصر العالمية ما يستجيب دائما لخصائص الواقع ضمن متغيرات الزمان و المكان متكيفا دوما مع الاستمرارية الحضارية[1].

كما يقول روجيه غارودي « الادعاء السائد اليوم يمنع آلاف الناس من أن يسيروا في الجاهلية الجديدة جاهلية الحضارة الغربية المنحلة، والشريعة الحقيقية لله وحده، الملك الآمر، العليم يمكنها أن توحد كل الذين يعتقدون أن لحياتهم معنى وأن شريعة الله وحدها يمكنها تمنحهم معنى، تقتلعهم من قانون الغاب، وقانون الأقوى وقانون الفوضى وإذ لم نميز هذه الشريعة الأساسية من فقه الماضي فإننا نباشر عملا من أعمال الانقسام ونعزل الإسلام و ندع آلاف الرجال و النساء مستسلمين ليأسهم، فبإحياء الشريعة في حقيقتها فقط يمكن أن يجد الإسلام في قرننا شروطاً مناسبة لانتشاره بقدر ما كانت الشروط مناسبة لانتشاره في القرن الأول الهجري فهو بنزعته الكلية منفتح على كل الثقافات بل مجدد للتعايش الغني بين الشرق و الغرب، وبين الأديان وببعده الاجتماعي مستبعد لغاية المصالح المتنافرة وتراكم الثورة وتراكم الشقاء من جانب آخر، فمن اليسر أن يسخر أحدهم من هذه المنظورات فيقول: أين هذا الإسلام ؟ الذي تضفي عليه هذه المثالية، أرنا إياه على خريطة العالم ؟ [2].

1- سليمان الخطيب: أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، د. م. ج، الجزائر، 1990، ص 200

2- روجيه غارودي: الإسلام .ترجمة وجيه أسعد، ط 2، دار الفرابي، بيروت 2001 ص 149

و الجواب البسيط: إنه ليس في أي مكان، إن لم يكن كتاب وفي قلوب الملايين من الرجال و النساء إن الإسلام شأنه شأن المسيحية هو أيضا غير متجسد في أي مجتمع، إنه لا يعيش إلا في كتاب وفي قلوب الملايين من الناس، وتلزمنا مع ذلك الإرادة في أن نكون قلبا من هذه القلوب لنصبح لبنة متينة في بناء مستقبلنا المشترك ؟ »

فالدعوة الإسلامية دعوة إنسانية لأن دين الإسلام دين سماوي أنزل لهداية الناس كافة في جميع الأرجاء و الأزمان وقامت الثقافة الإسلامية في حضن هذا الدين الذي أنزل على رسول اصطفاه ربه في منطقة ظهرت فيها اليهودية و المسيحية، وهي منطقة ذات موقع جغرافي متميز، يطل على أطراف البحار التي شكلت حضارات سابقة على الحضارة الإسلامية، البحر المتوسط و البحر الأحمر و المحيط الهندي، ومن هذه المنطقة انتشرت الدعوة الإسلامية في جميع شعوب العالم عن طريق الرحلات للتبادل التجاري مع الثقافات الأخرى، وكان طبيعيا أن تنفتح الثقافة الإسلامية على ثقافات الشعوب الأخرى تغذيها و تتغذى منها وفقا لإطار مرجعي دقيق ومحكم جاء به الدين الإسلامي عقيدة و شريعة و سلوكا، وشن الإسلام بذلك حربا على كل العصبيات العرقية و العنصرية، وقرر أنه لا فضل لأحد عل أحد إلا بالتقوى (أو العمل الصالح) ونصوص القرآن الكريم الدالة على وخدة البشر من المنظور الإسلامي كثيرة منها:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 92][1].

فالقرآن كتاب هداية وإرشاد ويوصف بأنه عقلاني لأسباب عديدة منها:

- رفض الظن و السعي إلى اليقين.
- تجنب الأهواء و العواطف و رفض الإتباع و التقليد الأعمى للآخر.
- إقامة البرهان و المقارنة.
- الاستنباط (التعميم ثم التخصيص) (Déductive).

1- أحمد المهدي عبد الحليم: الثقافة الإسلامية محور لمناهج التعليم، ط1، مكتبة الشروق، 2004 القاهرة، ص 144

- الاستقراء (من الجزء إلى القاعدة أو المبدأ العام) (Inductive).
- التفكير الناقد (Critique) ويتسم بعمق التأمل و البحث عن الأسباب، فالإسلام يحث على إعمال العقل وتوظيفه للنظر في الكون شاملا الذات الفردية مؤكدا على أن التفكير فريضة إسلامية، و أن دعوة القرآن و السنة إلى النظر و التبصر دعوة مطلقة لا يحدها حد ولا يقيدها قيد ودائرة التفكير فيها رحبة واسعة، تصور لنا الإسلام أنه رسالة الزمن كله وأن الأنبياء جميعا جاءوا بالإسلام ونادوا به و بالتوحيد و أعلنوا أنهم مسلمون ودعوا إلى الإسلام، فهي في جوهريها رسالة الزمن كله ورسالة العالم كله و الرسالة الكاملة الشاملة، العامة، الخالدة، تخاطب كل الأمم و الأجناس و الشعوب و الطبقات هداية رب الناس لكل الناس، و الناس اليوم في حاجة ماسة إلى دعوة عالمية شاملة كاملة تحترم قيمة الإنسان و تقدر كرامته[1].

وتحوطه بسياج اليقين وتطبعه على البر و الرحمة وتبدد ظلام الخوف وتحقق أسباب السلم وتقيم دعائم الأخوة، فما يحدث اليوم من كوارث و آفات هو نتيجة فقدان وغياب الحاجات التي تدركها الدعوة العالمية التي بإمكانها الأخذ بيد الإنسان إلى مدارج الكمال و الرقي ليحيا منفعلا بحقائق الكون و أسرار الوجود.

إن ميراث الرسالة العالمية الشاملة الكاملة ملك الناس جميعا وحق القيام بتبليغ هذه الدعوة واجب على كل من تبلغه[2].

رسالة الإسلام العالمية هي المنهج الأمثل للحياة بشمولها لأطوار حياة الإنسان كلها أنى أتجه وأنى سار، تصحبه طفلا و يافعا وشابا وكهلا وشيخا، ترسم له في كل هذه المراحل التعاقبية المنهج الأمثل الذي يسعده بل تعني بالإنسان قبل أن يولد أي جنينا، وبعد أن يموت، و ما يتعلق بالجنائز. إنه منهج رباني للحياة يشمل

1- المرجع السابق: ص 116

2- أحمد المهدي عبد الحليم: الثقافة الإسلامية محور لمناهج التعليم ، م . س. ذ، ص 116.

بالأخلاق الإسلامية كل جوانب الحياة الروحية أو الجسمية الدينية أو الدنيوية، العقلية أو العاطفية، الفردية أو الاجتماعية، حيث مارس المنهج الأمثل للسلوك الرفيع وأوضح العلاقة بين الإنسان و الكون، فأهم ما يميز رسالة الإسلام أنها عامة و خالدة وهداية لكافة الأمم و كل الطبقات و الأفراد و الأجيال، و الناس تختلف مواهبهم و طاقاتهم الروحية و العقلية و الوجدانية وتختلف مطامحهم و اهتماماتهم، لذلك جمعت الفكرة الأخلاقية في الإسلام ما فرقته الطوائف الدينية و المذاهب الفلسفية، فلم يكن كل ما قالته المذاهب باطلا ولم يكن كله حقا، إنما عيب كل نظرية انها نظرت من زاوية وأغفلت أخرى وهو أمر لازم لتفكير البشر الذي يستحيل أن ينظر في قضية تستوعب كل الأزمنة و الأمكنة وكل الأجناس و الأشخاص، أما نظرة الإسلام فهي جامعة محيطة مستوعبة لأنها ليست نظرية بشر بل هي وحي من أحاط بكل شيء علما تشبع كل نهمة وتقنع كل ذي وجهة و تلائم كل تطور[1].

ففي أخلاقيات الإسلام ما يرضي المثالية و في الفكرة الإسلامية ما يحقق سعادة الفرد و الجماعة وفيها أيضا المنفعة الفردية و الاجتماعية و السعي نحو الترقي إلى الكمال للتكيف مع المجتمع سعيا على تحقيق الإيجابية في واقع الحياة باتخاذ كل فرد من المجتمع دوره الإيجابي في خلافة الأرض وفق شرع الله ومنهجه وبتطبيق هذا المنهج في حياته وحياة غيره والعمل على دفع الفساد و الآفات عن الأرض[2].

❖ من الدولة إلى الأمة:

تمثلت الرسالة العالمية للإسلام في تجاوز الوضع الذي رصده القرآن عشية الدعوة المحمدية ولخصه في وجود التمايز بين الناس شعوبا وقبائل في الاجتماع الداخلي في فئات اجتماعية مختلفة إلى تشكيل أمة قرآنية تستعيد الوضع التاريخي الأول لخلق ابشر في نفس واحدة فأمة واحدة ويصبح بذلك المؤمنون بالنبي و رسالته

1- سعد المرصفي: خصائص ثقافة الأمة الوسط، م، س، ذ، ص 60

2- المرجع السابق: ص 66.

من العرب و أهل الكتاب هم فقط « أمة الإجابة » أما العالم الإنساني كله الذي أرسل إليه فيشكل « أمة الدعوة » لذلك كان محمد رسول الله نبي العالم كله رحمة لهم وخاتم النبيين وأمته خاتمة الأمم لأنه لا نبي بعده ولا أمة بعد أمته، و كان على أمته أن تستوعب العالم كله، فهي في نظر القرآن خاتمة هدايا السماء إلى المستضعفين لذلك لا بد من تأسيس الأمة في العالم واستيعاب العالم في الأمة ، لم يكن سبيل لرسول الله لإبلاغ رسالته ودعوته طالبا للحرب بل كتب للملوك و أمراء يبلغهم دعوته بالحسن ويكرر دعوة الإسلام قبل أن يعلنهم بالحرب دفاعا على المستضعفين وفي سبيل العدل ومن أجل حرية الإنسان في كل مكان لذلك كان على رجال حجة الوداع أن يحملوا الرحمة إلى العالم كافة حيث كانت آخر ما يسمعوه من كلمات عن نبيهم إلى جانب الحرص على الوحدة في التبليغ وعدم الاختلاف، فقد عهد إلى الأمة بمتابعة الرسالة الخالدة و حمل الدعوة بعده[1].

إن سمو الدعوة الإسلامية وشمولها هو ما جعل من العالمية ضرورة من ضروراته، فقد كانت الأمم تطلب عقلا في دين فوفاها وتطلع إلى عدل في إيمان فأتاها وحدد الحقوق وساوى بين الطبقات في احترام النفس و الدين و العرض و المال، فكانت الدعوة عبارة عن مبادئ عامة لا يحتكرها مكان دون مكان ولا يختص بها جنس دون جنس، وإن توقف توسع الإسلام جغرافيا فإنه لم يتوقف عن التغلغل عقديا في أغلب أنحاء العالم وخصوصا في أوربا التي يعيش بها اليوم نحو 60 مليون من المسلمين بعضهم من المهاجرين و بعضهم من المواطنين الذين اعتنقوا الإسلام في الجيلين الآخرين[2].

تؤكد وتعترف أجهزة الاستخبارات العالمية أن الإسلام هو أسرع الأديان انتشارا في عالم اليوم، وإذا كان ذلك يتم دون جهد حقيقي من المسلمين فإن الاهتمام بالدعوة إلى دين الله تصبح من وسائل اقتناع قطاع أكبر من الناس بهذا

1- صلاح سالم: محمد بن الإنسانية ، م . س. ذ، ص 370.

2- المرجع السابق: ص 371 .

الدين وكلما زاد عدد هؤلاء المهتدين إلى الإسلام كلما كان من الممكن إيقاف تيارين جارفين ومدمرين للإنسانية في هذه الأيام: أولهما تيار الإفساد للإنسان حتى يتم إخراجه من إنسانيته.

ثانيهما: تيار معاداة الإسلام و المسلمين بغير الحق وكلاهما أخطر ما يتعرض له إنسان اليوم.

إذا كان ممكنا الحد من طغيان تيار الإفساد وتيار معاداة الإسلام فإنه يصبح ممكنا إيصال الإسلام إلى قيادة العالم من جديد و في ذلك خلاص أهل الأرض جميعا من مظاهر الشرك والإلحاد و الضلال والضياع و الفسادالتى تتردى فيها الإنسانية اليوم، ولا خلاص منها إلا بالدعوة إلى دين الله بالحكمة و الموعظة الحسنة دون إكراه وإجبار أو استغلال لحاجة المحتاجين، فالإسلام ينبني على أساس من القناعة القلبية و العقلية الكاملة و الإيمان الكامل بصدقه و العمل الصالح و لا يتم هذا التغييرالا بإصلاح التعليم وتربية جيل صالح قادر على القيام بعملية التغيير الأساس ومن أوائل تلك العملية المبادرة بمعالجة أسباب التخلف العلمي و التقني في العالم الإسلامي المعاصر حتى نتمكن من مواكبة العصر الذي نعيش فيه، و إصلاح الإعلام، و المبادرة بإصلاح الاقتصاد و الإدارة و السياسة و نظام الحكم والإصلاح الاجتماعي و جمع شتات الأمة في وحدة واحدة على مراحل مدروسة[1].

- والإسلام الذي يجعل كل مخلوق يحظى بالسلام هو الجدير بذلك من خلال عملية التسليم لإرادة الواحد ومعرفة وحدانيته، لأنه دين الخضوع لله و الذي يدعو الفرد للعيش وفق مشيئته ليحظى بالسلام في هذا العالم و بالهناء في الآخرة، و الإسلام لا يرى في الدين مجرد جزء من الحياة وحسب ولكنه يرى فيه الحياة بمجملها بل هو الحياة ذاتها يتضمن ما نعمل وما نصنع وما نفكر فيه وما نستشعره وهذا هو السبب في استعمال كلمة " الدين " باعتبارها شاملة لجميع مناحي الحياة.

1- زغلول النجار: رسالتي إلى الأمة ، م . س. ذ، ص 238

كما يولي الإسلام أهمية قصوى للحقيقة الخالدة التي وجدت منذ البدايات الأولى وهي حقيقة التوحيد وهذا المفهوم التوحيدي للرسالة الدينية الذي يقدمه الإسلام ينسحب أيضا على تاريخ البشرية بمجمله لذلك كان يرسل الله تعالى رسلا دائما لتجديد رسالة التوحيد وليعيد الإنسان إلى دائرة الوعي بالواحد فالقرآن يؤكد الفكرة القائلة بأن الدين المستند إلى التوحيد ليس جديدا، فالإسلام هو الدين الذي جاءلا ليحمل معه الجديد بل ليعيد تأكيد حقيقة التوحيد التي كانت موجودة دائما وهو دين عالمي، دين الفطرة الذي لم يعطي الإنسان بموجبه مهمة الخضوع لله بأن يكون عبد الله وحسب بل جعل بموجبه خليفة الله في الأرض يعمرها ولا يفسدها، يصلحها ولا يخربها ويتحقق ذلك بأن يكون الفرد واعيا بوحدانية الله، فالإسلام خاتم الديانات ومحمد خاتم الأنبياء ولم يظهر نبي كنبي الإسلام ولم تظهر رسالة عالمية من السماء مثل الإسلام منذ القرن الأول للهجرة الموافق للسابع الميلادي، ولن تظهر أي رسالة حتى نهاية العالم، فالإسلام هو خاتم الديانات للدورة الحالية لتاريخ البشرية[1].

التغيير كمنهج في إستراتيجية الدعوة الإسلامية المحمدية:

إن المشاكل و الآفات المتراكمة التي تعيشها الإنسانية بصفة عامة، و الواقع الإسلامي بصفة خاصة بمقدار ما تشكل من الإصابات و العقبات يمكن الإفادة منها و تحويلها إلى قدرات ومحرضات حضارية واستفزازات تستنفر الطاقة وتبعث الهمة وتقضي على العناصر الشائخة و الجوانب الرخوة وتجمع شتات الأمة وتدفعها لاستثمار طاقاتها الروحية و الذهنية والمادية لتستأنف دورها القيادي من جديد، فإمكانات النهوض الحضاري موجودة لأن الأمة المسلمة من دون سائر الأمم – كونها أمة الرسالة الخاتمة الخالدة – تمتلك القيم السماوية الصحيحة، الخالدة، المجردة عن حدود الزمان والمكان القادرة على الإنتاج وتغيير الحال، كما أنها

1- السيد حسين نصر: دليل الشباب المسلم في العالم الحديث، ط 1، ترجمة فاروق جرار، مكتبة الشروق، القاهرة 2004 ص 13.

تمتلك النموذج التطبيقي لهذه القيم من سيرة الرسول وسنة خلفائه الراشدين الذي يشكل محلا للأسوة و الإقتداء وقد جعل الإقتداء بالأنموذج دينا من الدين لان سيرة الرسول وخلفائه أو منهجه في التعامل مع قيم السماء بيانا وتنزيلا بحسب ظروف الزمان و المكان تشكل الإطار المرجعي و الدليل الفكري و الثقافي في التعامل مع هذه القيم في كل زمان ومكان بعيدا عن التحريف و الانتحال و التأويل، فواقعنا اليوم المطروح بإلحاح بمجموعة من الإخفاقات و الإحباطات التي أصبنا بها دليل على وجود خلل في أدوات التوصيل و إحداث التفاعل بين الإنسان و الإسلام و بين المسلم و الإسلام، فالعجز عن التغيير و معاودة الإنتاج المأمول أكبر إدانة لفهمنا ووسائلنا أو آلياتنا ومناهج تعاملنا مع قيمنا و أنموذجنا في آن واحد[1]. لذلك فإن الدعوة الإسلامية يجب أن تفهم على حقيقتها من حيث أنها دعوة وضعت بالحسن و الإحسان و تقبلها الناس بالحب راغبين و للثواب من عند الله طامعين لأنها من عظيم رحمة الله بعباده فهي هادية إلى الحق و إلى سواء السبيل دين و دنيا، يسيرة الفهم، واضحة المعالم قوية البرهان و الحجة أثرها باقي و مؤثر في النفوس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فدعوة لها هذه الخصائص والمزايا بعيدة كل البعد عن التطرف و الغلو لأن عنصري الكمال و الجمال هما من أخص خصائص دين الإسلام، و التطرف والغلو ما هما إلا صفتين كريهتين تنفر منهما الفطرة السليمة و العقول المستقيمة.

يحرص الإسلام على التغيير لعادات وأنماط سلوكية كانت منبعثا للعديد من المشكلات في بناء الأسرة و المجتمعات الإسلامية كالتهاون في الأعمال والتكاسل في طلب العلم و التحصيل، ذلك مبعثه ضعف دوافع العمل و التعلم في نفس الفرد، و الإسلام حريص كل الحرص على سلامة البيان العقلي والجسمي والنفسي للفرد المسلم بل حض على ذلك في مواضع كثيرة، فيحرص على أن يكون المسلم قادرا و قويا[2].

1- عبيد حسنة: من فقه التغيير. ط 1. المكتب الإسلامي. بيروت، 1995، ص 5.

2- عزمي طه السيد: الثقافة الإسلامية، م، س، ذ، ص 441 .

إن المنطلق الإسلامي العظيم في التغيير هي القاعدة الأساسية الإلاهية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد :11]، على أن الإسلام لم ينف استعمال القوة كشكل من أشكال التغيير، ففي بعض المواقف ألزم ذلك، كالضرب على يد الظالم وكفه عن ظلمه، وتغيير المنكر الظاهر، ومقاومة انتشار الفاحشة في المجتمعات الإسلامية، لكنه كفل بذلك التغيير بالقوة لأولي الامر.

مفهوم الاعتدال و الوسيطة في الإسلام:

شاءت حكمة الله أن تظهر فئة على مر العصور غالت وتغالي في التدين فشوهت صورة الإسلام الصحيح عقيدة وشريعة وسلوكا، زمن عظيم فضل الله على الأمة الإسلامية أن بقي هذا الدين سليما ومعافى في نفوس الغالبية العظمى من المسلمين وبقي التطرف و التعصب ممقوتا ومرفوضا شرعا و عقلا و ذوقا، فالغلو و التطرف هي مجاوزة الاعتدال في العقيدة و الفكر و السلوك بتبني أفكار دينية أو سياسية يتجاوز مداها الحدود المشروعة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ،بل مجاوزة الحد و البحث عن غوامض الأشياء و الكشف عن عللها وغوامض متعبداتها، في حين أن أمة الإسلام أمة الوسطية و الاعتدال و أصدق وصف للأمة الإسلامية بأنها أمة الوسط التي جمع الإسلام بين أفرادها وشعوبها في العقيدة و العبادة و الأخلاق و المعاملات قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: 143] ومعنى ذلك أن الوسط من الوساطة بمعنى الحسن و الفضل أو الاعتدال و القصد أو من الوسط بمعناه المادي الحسي الوسطية صفة المسلمين، فهم متوسطون في الدين بين المفرط والمغالي في الأشياء لأنهم لم يغلو كما غلت النصارى فجعلوا إبنا و إلهاً، ولا قصروا كتقصير اليهود في قتل الأنبياء وتبديل الكتب[1].

1- ابراهيم بن مبارك الجوير: أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية، ط1، مكتبة العبيكات الرياض 1994 ص 26.

إن الأمة الإسلامية أمة الوسط في الاعتقاد و التصور، فهي لا تغلو في التجرد الروحي و لا في الارتكاس المادي، و إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبسة بجسد، وتعطي لهذا الكيان حقه المتكامل من كل زاد.

هي أمة الوسط في التفكير و الشعور، لا تجمد ما علمت، وتغلق منافذ التجربة و المعرفة و لا تتبع كل شيء، إنما تتمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ثم تنظر في كل نتاج للفكر وشعارها « الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها » كذلك هي أمة وسط في التنظيم و التنسيق، فلا تدع الحياة للمشاعر و الضمائر وكذلك لا تدعها للتشريع و التأديب، إنما ترفع ضمائر البشر بالتوحيد و التهذيب وتكفل نظام المجتمع بالتشريع و التأديب. كما أنها أمة وسط في الارتباطات و العلاقات، لا تلغي شخصية الفرد و مقوماته ولا تطلقه فردا جشعا لا هم له إلا ذاته، فهي تطلق من النوازع ما يحقق شخصية الفرد[1].

كما تقرر التكاليف ما يجعل الفرد خادما للجماعة و الجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق، ولعل أهم خاصية تتميز بها ثقافة الأمة الوسط هي الصبغة الأخلاقية، فالأخلاق سمة بارزة من سمات دين الإسلام القيم الذي جاء لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل و الآداب واعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم الرسالة و الإخلال بهذه الوسائل خروجا عليه وابتعادا عنه، فالأخلاق ليست من السمات التي يمكن الاستغناء عنها بل هي من أصول الحياة التي يرتضيها الإسلام ويحترم ذويها وما الرسالة المحمدية إلا مكارم الأخلاق فالدعوى الكبرى في هذه الرسالة على الطهارة و النظافة و الأمانة و العدل و الرحمة و البر وحفظ العهد ومطابقة القول للفعل مطابقتهما معا للنية و الضمير، والنهي عن الجور و الظلم و الغش و الخداع وأكل أموال الناس بالباطل و الاعتداء على الحرمات و الأعراض، و إشاعة الفاحشة ......، من أجل حماية أسس المجتمع في العلاقات الفردية و الجماعية و الدولية سواء. الأخلاق ليست فضائل مفردة إنما

1- عزمي طه السيد: الثقافة الإسلامية، م، س، ذ، ص 442 .

منهج متكامل تقوم عليه الحياة كلها، فهذه الصبغة الأخلاقية للرسالة المحمدية صبغة الحق تقوم عليها وحدة إنسانية واسعة الآفاق لا تعصب فيها ولا عقد و لا أجناس و ألوان اقتداء بسيرة معلم الناس وهي سيرة جامعة يجد بها كل طوائف البشر المثل الأعلى و الأسوة الحسنة[1].

بالإضافة إلى أن الرسالة المحمدية لم تهمل في توجيهاتها الفكرية وتعليماتها الأخلاقية وتشريعاتها القانونية واقع الكون وواقع الحياة وواقع الإنسان بكل ظروفه وملابساته، فإن هذه النزعة مبنية على فطرة الإنسان وتطلعها إلى الرقي و شوقها إلى المثل الأعلى، فهي إذا واقعية مثالية أو مثالية واقعية سلمت من إفراط المثاليين وتفريط الواقعيين، فالإسلام يجمع بين الهتاف للبشرية إلى أعلى والرحمة بهذه البشرية التي يعلم طاقتها ويفتح أمامها باب الرجاء أبدا ويأخذ بيدها إلى أقصى طاقاتها و على هذه الواقعية المتوازنة يربي الإسلام المسلم فلا يدعه يغلو في التعبد فلا يبقى له شيء لحياته ولا يدعه يغرق في اللهو الى رأسه فلا يبقى له شيء لربه[2].

كما أن هذه الأمة أمة وسط في الزمان تنهي عهد الطفولة البشرية من قبلها وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها، تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها وتصدها عن الفتنة بالعقل و الهوى.

أمة وسط في المكان، فهي سرة الأرض في أواسط بقاعها وما تزال هذه الامة تتوسط أقطار الغرب بين شرق وغرب وجنوب و شمال[3].

إن الإسلام في معالجته للقضايا الاجتماعية يعالجها بمنطق أن الإنسان وهو خليفة، قد خلق من ضعف و أنه بصدد الإختيار بين طرقين: الخير أو الشر، و الأمة المسلمة أمة أخرجت للناس تتبع طريق الوسط في كل مسالك الحياة، فلا مغالاة و لا تقصير و لا تشديد و لا تهاون مصداقا لقوله ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة: 143]

1- سعد المصرفي: خصائص ثقافة الأمة الوسط، ط1، مكتبة إبن كثير، الكويت 2008 ص 90.

2- المرجع السابق ص 99.

3- عمر عبيد حسنة: من فقه التغيير ، م، س، ذ، ص 20 .

فالوسطية هي الاعتدال و التوازن والإسلام في جوهره دين صالح وشامل لكل زمان ومكان لا يقدم حلولا و لا مبادئ جامدة ثابتة، كما قامت على ذلك الحركات الإيديولوجية المضادة للإسلام، كالرأسمالية الاحتكارية و الشيوعية، رغم أن تلك المبادئ بشكلها الاقتصادي الفلسفي الاجتماعي تصف الإسلام بالجمود و التخلف، و الباحث المنصف يرى تلك الدعاوي زائفة سقطت بسقوط إمبراطوريات الشيوعية بعجزها عن تحقيق حتى مبادئها ذاتيا و كذلك ما تحققه مزاعم الرأسمالية من اضطراب في الاقتصاد ومضاعفة لمشكلات العمل وشيوع البطالة و التباعد الاقتصادي في المستويات و التنافر الاجتماعي إلى حد التفكك و الضياع الإسلام يرى أن لكل قضية ومشكلة حلا مرنا تبعا للوقت والمكان الخاص به و الأمثلة كثيرة وعديدة منها أن الإسلام أباح التملك و التجارة بحدود الحلال و الحرام بما لا يكون فيه غبن أو غش أو احتكار للناس[1].

أهمية المنهج في الدعوة الإسلامية:

المنهج هنا بشكل عام، منهجية النظر والبحث وعلوم الطريق الموصلة إلى الهدف أو بتعبير آخر المنهج هو طريق الوصول الذي يجب أن تحدد فيه الأهداف المراد الوصول إليها و الوسائل و الأدوات و المعارف المطلوبة لتحقيق هذه الأهداف مع ضرورة الانتباه على أهمية عدم التناقض بين الوسائل المعتمدة في مشروعيتها و الأهداف المرجوة فإن كان المنهج المقصود هو نظام مسيرة الحياة في هذه الدنيا و الأهداف هي سعادة الإنسان وكرامته وحياته الطيبة في الدنيا و الآخرة، وما يتطلب ذلك من الوسائل التربوية و الأوامر و النواهي فإن أي إدعاء بأن الأزمة التي نعاني منها أزمة منهج هوإدعاء باطل، فالمنهج الذي شرع الله التزامه هو الحكم بما أنزله وشرعه، لا يخص الجانب السياسي أو التشريعي أو الأخلاقي أو الاقتصادي أو التربوي وإنما يعني ذلك جميعه، بكل ما يتطلب المنهج من منطلقات أساسية و أهداف مرحلية ونهائية واضحة ووسائل وأوامر ونواه وقيم و معايير ثابتة، ليس من

1- ابراهيم مبارك الجوير: أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية، م. س. ذ، ص 27.

وضع الإنسان، وما يتطلب أيضا من أنموذج تطبيقي لهذا المنهج أشبه ما يكون بوسيلة إيضاح معينة على تنزيل قيم المنهج على الواقع وتحويل فكره إلى فعل مجسد في حياة الناس أو هو كالمجسمات و النماذج و الصور التي تبين الشكل الذي لا بد أن تنتهي إليه الوسائل[1].

إن الأزمة التي نعاني منها ليست أزمة منهج وإنما أزمة فهم للمنهج وأزمة تعامل مع المنهج أزمة تنزيل للمنهج على الواقع و تقويمه به، فالإسلام بمصدريه الكتاب و السنة و السيرة كتنزيل عملي و أنموذج هو المنهج وأن المعايرة للواقع والتحديد للخلل يكون في ضوء الكتاب و السنة و أن أي معاودة للنهوض و استئناف السير مرهون بتقويم الواقع بمنهج الكتاب و السنة، فالإسلام هو المنهج وهو السبيل و هو الحجة الدين الذي يحكم تصرفات الإنسان أو يدين له الإنسان بتصرفاته ونشاطه لأن أي عدول عن هذا أو أي تعديل له – و التعديل هو عدول في الحقيقة عن بعض الجوانب – إنما يعني بالضرورة استدعاء مناهج ونظم معرفية ومسالك ومعايير الآخر و ليس من « آخر » الآن سوى المنهج الغربي بوسائله و أدواته ونظامه المعرفي حيث باتت مصطلحات هي أدوات ومحددات الفهم لأي باحث، لذلك يبرز التناقض والضياع وتزييف الوعي أو التدليس، ففصل الأدوات المنهجية عن نظامها المعرفي ومرجعيتها الفكرية ومضمونها القيمي هو خلل منهجي وتفتيت للنظرية ومحاولة نقلها للتعامل مع نسق آخر يؤدي إلى عقم منهجي وفساد فكري، و من الفساد الفكري أيضا محاكمة واقع حضارة وتراثها و إنتاج حضارة بأصول مناهج و أدوات لحضارة مغايرة في منهجها وقيمها و منطلقاتها و أهدافها ووسائلها .

إن العجز عن استيعاب المنهج الإسلامي في الكتاب و السنة وإنتاج الأدوات المعرفية و العلوم التي تمكن من التعامل معه وكيفيات تنزيله على الواقع بحسب استطاعته وظروفه ومشكلاته بالرغم من وجود أنموذج الاقتداء هو الأزمة الحقيقية التي نعاني منها، أزمة فهم و تعامل مع المنهج سببها محاولة التعامل مع المنهج بأدوات

1- عمر عبيد حسنه : من فقه التغيير، م. س. ذ، ص 20

معرفية ومناهج فهم خارجة عن منطلقه وفقهه الحضاري الأمر الذي سوف يؤدي بالضرورة – كما هو الحال – إلى احتضان أشخاص وأفكار و مناهج بعيدة عن طبيعة المنهج الإسلامي[1].

لقد كان للإسلام دور في إقامة إحدى أعظم الحضارات الإنسانية ومما لا جدال فيه أن الإسلام قد احتفظ بأسسه التي صيغت بها الحضارة الإسلامية كدرة فريدة في التاريخ ولكن المسلم هو الذي فقد استخدامه الاجتماعي فأصبح مسلما في شهادة الميلاد لا يتفاعل في مجتمعه بحقيقة إسلامه وهكذا ظهر التناقض بين الإسلام كحقيقة ناصعة وبين واقع المسلمين، و أصبح الفكر الإسلامي على أثر الصدمة الثقافية الأوربية التي اجتاحته – وما تسبب عنها من مركب نقص ينحاز إلى معسكرين أحدهما يدعو لتقليد الفنون (الصناعات) و العلوم الغربية – حتى اللباس – و الآخر يحاول التغلب على مركب النقص بتناول حقنة اعتزاز يعلل بها النفس وصارت نزعة المديح تخديرا للضمير وصورة للركود و الشلل[2].

فمقولة الإسلام دين كامل إذن نحن مسلمون كاملون تصبح مدعاة إلى الخمول وهكذا تتحول نزعة الفخر إلى حالة من الكف عن التكامل الخلقي فينتج حتما كفا عن تعديل شرائط الحياة وعن التفكير في هذا التعديل، فيتجمد الفكر كما يتجمد فعل التغيير، فيصبح الشلل الفكري نتيجة من نتائج الشلل الأخلاقي[3].

إن التخطيط للنهضة تخطيطا مدروسا مسؤولية تقع على عاتق المفكرين في المجتمع الإسلامي مع الأخذ بعين الاعتبار جميع عناصر الفرقة و الإعاقة الموجودة فيه، فهم لم يكونوا جهازاً للنقد و التحليل فيما عدا ما تم في اتجاه الدفاع عن الإسلام وكذلك قادته السياسيون لم يؤمنوا بأهمية مثل هذا الجهاز لمراقبة خط سيرشؤون بلادهم مما أدى إلى أن حركة هذا المجتمع التاريخية وجدت نفسها منذ

1- محمد عبيدحسنة، من فقه التغيير، م. س. ذ، ص 22.

2- مالك إبن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الرشاد، بيروت، 1969، ص 14 .

3- مالك إبن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، م. س. ذ، ص 14 .

قرن من الزمان تسير بعيدة عن حدود المقاييس الفعالة، فقابلت صعوبات كثيرة وحدث ضياع في الوقت و انحرافات من نتائج عدم تماسك الأفكار وطغيان الأشياء و الأشخاص. إن مشكلة التغيير في العالم الإسلامي في حاجة إلى التخطيط ومن هنا تبدأ ضرورة وضع تخطيط للعالم الإسلامي: أولا بالذات في المجال الأخلاقي إذ يتعين التخفيف عن الواعية الإسلامية من ثقل الأحاسيس السلبية التي تعبر عن ذاتها في كلمات المثقفين.

فبذرة الحياة ليست سوى مجرد رمز في اللحظة التي تضعها (العناية) في رحم أم من الأمهات ما هو وزنها ؟ لا شيء أو كاللاشيء ومع ذلك فإن مثل هذه البذور قد أنتج الأنبياء و العبقريات الكبيرة التي وجهت الحياة على صعيد الأرض وإذا ما اجتمع بعض الأفراد لدراسة فكرة، فإن اجتماعهم يمكن أن يبدو وكأنه لا معنى له، ومع ذلك فإن عالما كاملا يمكن أن ينشأ عن هذا الالتقاء[1].

يمكننا أن نمثل التغيير المؤدي للتصور لعملية كميائية تتم في إناء مغلق، فتصبح في إزاء مشكلة ميكانيكية، فإذا توازنت القوى الداخلية والقوة الخارجية على جانبي حواجز الإناء، أمكن للعملية أن تستمر وتؤول نتيجتها إلى الطبيعة أما إذا حدث أي اختلال في التوازن فإن حواجز الإناء تتطاير و تتوقف العملية الكميائية توقفا لا يمكن تداركه. إن الإناء المغلق يصور العالم الإسلامي في مجراه الراهن، فهناك قوى داخلية تعمل على تحويله بغية تكييفه مع الحياة العالمية الراهنة إلا أنه يعاني في محيطه مفعول قوى خارجية مريبة فإذا لم يتح للقوة الداخلية أن توازن مفعول القوى الخارجية فإن الأمر سيحول لا محالة إلى تطاير حواجز الإناء شظايا في الهواء[2].

إلا أنه يجب علينا أن نقول أن خطورة المشكلة قائمة في داخل الإناء بوجه خاص، وهي متوقفة على الذين يوجهون العملية الكميائية التي تعمل على تغيير

1- مالك إبن نبي: فكرة كومنولث إسلامي، ترجمة الطيب شريف، دار الفكر، دمشق، 1960، ص 42.

2- المرجع السابق: ص 83 .

العالم الإسلام في هذه المرحلة من تاريخه، فأي سهو من جانبهم قد يؤدي إلى انفجار الإناء، و إذا حدث الانفجار فلن يكون مجديا أن نقول لأولئك المتطلعين لهذه اللحظة لا تلتقطوا شظاياها ... ومن ثم فلا ريب في أن الخطر سيظل يتهددنا طوال العشرين سنة القادمة و لكن يظل الإسلام دائما القوة التي لا تحطم[1].

المسلم و "الآخر" في منهج الدعوة الإسلامية:

إن الحديث عن موضوع المسلم و " الآخر " موضوع متجدد، موضوع ثقافي وفكري يصلح للبحث فيه و الحديث عنه في كل زمان و مكان وفي سياق حديثنا عن المنهج الإسلامي لا بد من معرفة من هو الآخر بالنسبة للمسلم في القرن الخامس عشر الهجري والحادي و العشرين الميلادي لا نحتاج إلى اختراع جديد ولا اكتشاف غير مسبوق لنتعامل به مع الآخر فإلى غاية وقت بعثة الرسول محمد عليه الصلاة و السلام، فإن " الآخر " لم يكن واردا، حتى وقت بعثته و إنزال الوحي إليه وتكليفه بتبليغ الناس آخر رسالات السماء إلى الأرض، من هذه اللحظة أصبح العالم كله بالنسبة إلى محمد " آخر " لأنه كان وحده هو المسلم و العالم كله " آخر " غير مسلم، فسمي ما نزل على محمد من السماء دينا، وعندما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد 13 سنة قضاها في مكة أملى وثيقة تاريخية عظيمة مشهورة اسمها « دستور المدينة » أو « وثيقة المدينة » أو « صحيفة المدينة » جاء فيها أن اليهود أمة مع المؤمنين لهم دينهم و مع اختلاف اليهود في دينهم عن المسلمين أصبحوا مواطنين في الدولة الإسلامية النبوية و المؤمنون كذلك، ونصت الوثيقة على أن بينهم " الأسوة " بمعنى المساواة في حقوق المواطنة، و المؤمنون الذين جاءوا مع محمد من مكة إلى المدينة ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم لهم دينهم الذي هو الإسلام وهم مواطنون في الدولة و اليهود الذين جاءوا من خارج جزيرة العرب واستعمروا أجزاء من المدينة لهم دينهم وهم مواطنون في الدولة كما أنه نادى الناس في خطبة الوداع في آخر نداء عام بينه وبين الخلق بقوله لهم: « **يا أيها الناس كلكم**

1- مالك إبن نبي: فكرة كومنولث إسلامي، م. س . ذ، ص 84

لآدم و آدم من تراب » على الرغم من أنه لم يقل يومئذ يا أيها المسلمون ولم يكن من الناس في هذا اليوم إلا المسلمين الذين جاءوا للحج، ولم يكن في الحجاز بعد فتح مكة مشرك، ومع ذلك خاطب المسلمين المؤمنين أتباعه بقوله: **« يا أيها الناس »** لكي يكون خطابا للبشرية كلها هذه الثقافة التي تنظر إلى الآخر نظرة احترام واعتراف بغيريته، ومن حقه أن يبقى إلى يوم القيامة على هذه الغيرية ومن حقي عليه أن يحتفظ بغيريتي و بكوني " آخر " محترم[1].

هذه النظرية الإسلامية في التعامل مع الآخر كانت غير مسبوقة في التاريخ ولا تزال حتى الآن غير ملحوقه وليس هذا عن مغالاة و لا اعتزاز بدين الإسلام و إنما عن بحث وتدقيق عميق، فلا توجد نظرية إنسانية تقول « كل الناس سواسية كأسنان المشط » و الأخرى تقول « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » هذه نظرية الإسلام وحده، وهذه النظرية تمايز الناس بحسب عقائدهم وتعترف لهم بالغيرية، ولكنها تحترمهم وتعطيهم حقوقهم كاملة غير منقوصة، و القرآن هو المصدر الأول لهذه الثقافة الإسلامية، و السنة هي المصدر الثاني من مصادر هذا الدين، وكل إنسان مكلف بأن ينزل عن ما حكم به رسول الله ودعا إليه أو نهى عنه.

وكل قوم ينالون بقدر قوتهم التي تصنعها المعرفة في عمقها واتساعها والثقافة في شمولها و التقدم العلمي و التقني و القوة العسكرية وهي ضرورة من أجل النهوض غير أن السياسيين الذين يحكمون العالم يستغلون الشعارات الدينية لتحقيق المآرب السياسية و الدنيوية التي تتغير كل يوم وكل لحظة و كل ساعة فالدين الحق ينبغي أن يبقى له دور في تنظيم الحياة بشرائعه و ترقية الخلق الفردي والجماعي بآدابه و في النهوض بالمجتمع كله بما يبثه في الناس من خيرو يمحوه من أسباب الشر، أما الدين الباطل فهو الذي يستخدم للتجارة و السياسة و الاستغناء بالمال، و الذين يؤمنون بدينهم إيمانا حقيقيا لا يقبلون أن يتخذوه مطية لتحقيق مغانم

1- محمد سليم العوا: المسلم و الآخر، م. س. ذ، ص 17.

الدنيا، فتعمير الدنيا بالدين يجب أن يكون هدفا لكل مؤمن وغاية مشروعة لا وسيلة للكسب أو مغنم مادي أو معنوي[1].

إن الدعوة الإسلامية تعترف بالآخر وتقيم وتدعو إلى إقامة علاقات أخوة إنسانية، فكثيرا من الناس يتعارفون بأسمائهم ويظنونها الطريقة التي يحققون بها مطلب التعارف القرآني، و ليس هذا هوالمقصود، فالتعارف في اللغة العربية على وزن تفاعل و التفاعل يحتاج إلى فاعلين للقيام به و الفاعلون هما أنا و الآخر يقترب إلى خطوة أتقرب إليه خطوتين، حيث يكون التعارف بين الأفراد و الأمم و الشعوب ليس عن طريق السياسيين الذين يريدون التخالف و الحروب و السيطرة و الهيمنة و العلو في الأرض بغير حق، فلم يأمر الله تعالى الحكام أن يتعارفوا، لكن أمر الناس بذلك وجعل الخطاب إليهم عاما بهذا التعارف يحدث العمران الذي اخترع له إبن خلدون علم الاجتماع أطلق عليه علم العمران و الذي لا يحدث إلا بالتعارف و التنافس في الخيرات و البر و التقوى، أما الحساب على الإيمان فهو مؤجل إلى يوم القيامة بين أهل كل دين فلا وجود لسلطة دينية و لا مدنية تملك أن تحاسب على العقائد و الإيمان و الدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[الحج: 17] هذا الفصل يعني إنهاء القضية لأن الفصل هو الحكم الذي لا ينقض[2].

فالاختلاف بين الناس أزلي وسيبقى في الدين وغيره من شؤون الناس فليس على الرسول إلا البلاغ أما الحساب فمرده إلى الله تعالى.

نتيجة الاعتراف بالاختلاف و الغيرية بين الناس هو الاحترام المتبادل لخصوصيات الآخر قد يكون مصدر هذه الخصوصية اختلاف دين أو مذاهب أو

1- محمد سليم العوا: المسلم و الآخر، م. س. ذ، ص 31.

2- المرجع السابق: ص 37.

مدارس فكرية في دين واحد في التفسير و التأويل و هو أمر يجب احترامه لذلك يعد الحوار الأداة المثلى لتحقيق هذا الاحترام مع الآخر[1].

❖ **الحوار أساس الاحترام المتبادل:**

فإذا كان الحوار يشكل ضرورة حياتية لبلوغ الأهداف المشتركة فإنه من ناحية أخرى قد أصبح لغة العصر التي لم يعد هناك مفر من التعامل بها على جميع المستويات المحلية والعالمية، و على الرغم من الأهمية البالغة للحوار فإنه لن يكون هناك حوار حقيقي على أي مستوى دون أن يكون هناك أساس راسخ من الاحترام المتبادل بين أطراف الحوار، و بدونه يفقد الحوار أهميته و لا يحقق أي فائدة. لذلك هناك خطوات أساسية لا بد من مراعاتها لتحقيق احترام متبادل و متكافئ بين أطراف الحوار كضرورة تعرف كل طرف على الآخرين كشرط أساسي للدخول في أي تعاملات تتم بين الأمم و الشعوب فمع التأكيد على حقيقة أن الناس جميعا ينتسبون لأصل واحد، يؤكد الإسلام في الوقت نفسه حقيقة أخرى تتمثل في اختلاف الناس في جوانب كثيرة، و مع الإقرار بهاتين الحقيقتين فإن الإسلام يؤكد أن هذا الاختلاف لا يجوز أن يكون منطلقا للنزاع و الشقاق بين البشر، بل منطلقا للتعارف الذي يعد الخطوة الأولى و الأساسية للدخول في أي حوار، و لن يكون هذا التطرف على الآخر مكتملا ومؤديا للغرض إلا إذا كان كل طرف على استعداد تام للاعتراف بحق كل مخلوق بشري في الكرامة الإنسانية بصرف النظر عن أي اختلافات أخرى تتصل بالجنس أو اللون، فكرامة الإنسان التي منحها الله للإنسان عند خلقه لا تخضع لأي اعتبارات أخرى لا صلة لها بجوهر الإنسان من حيث هو إنسان وإدراك هذا المعنى على حقيقته يؤدي إلى تجنب الميل نحو النزاعات الاستعلائية أو عقد التفوق العرقي أو الحضاري التي تقضي على أي فرصة لحوار بناء. فالتعرف على الآخر من منطلق الإقرار بماله من كرامة إنسانية سيؤدي إلى احترام الآخر، هذا الاحترام في حاجة إلى أساس يرتكز عليه و إلا كان مجرد دبلوماسية فارغة المحتوى[2]. إن المشكلة اليوم تكمن في أن مشاريع التغيير و

1- محمد سليم العوا: المسلم و الآخر، م. س. ذ، ص 37 .

2- محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار، ترجمة مصطفى ماهر، ط 1، مكتبة الشروق، القاهرة 2004، ص 40.

النهوض دخلت الميدان دون امتلاك وسائله وإدراك آلياته، حيث دخلت الميدان بأمنيات ولم تدخل بإمكانيات، دخلت عملية التغيير دون أن تفقه السنن الاجتماعية التي تهدي إليها القيم[1].

لقد دخلت مشاريع التغيير الميدان و هي تمتلك الإحساس بالأزمة دون الإحاطة بعلمها وإدراك سبب نشوبها ووسائل معالجة أسبابها، دخلت ساحة التغيير دون أن تحرك كامل المساحات المطلوب تغطيتها.

وخلاصة القول أنها دخلت بحماس ورغبات دون أن تعد للأمر عدته من الاختصاص و الإمكانيات واستقرار حركة التاريخ وتحقيق عبرة القصص النبوي.

إن مشاريع التغيير و النهوض الوافدة سقطت بسبب جهلها وتجاهلها للأمة الاجتماعية ومحاولها إسقاط وتجاهل عقيدة الأمة و تاريخها وتراثها وبناء نهضتها من خلال قيم حضارية غريبة عنها .

إن مشاريع التغيير و النهوض وإن تحصل لديها حفظ القرآن و أحاديث السنة و معرفة السيرة إلا أنه لم يتحصل لديها الفقه المطلوب للواقع الاجتماعي الذي يمكنها من تنزيل هذه الآيات و الأحاديث على الواقع في ضوء ظروفه وحاجاته. إنها حفظت التاريخ وفاخرت به لكن لم تستطيع استنطاقه ليجيب عن أسئلة الحاضر.

مشاريع النهوض المأمولة إن لم تحسن الاستفادة من المنهج النبوي في التغيير و البناء الحضاري وتصبح قادرة على وضع الحاضر في موقعه المناسب من مسيرة المنهج النبوي سوف تفتقد بصيرتها ومرجعيتها ومركز رؤيتها، بمعنى آخر: مشاريع النهوض و التغيير إذا لم تستطع تصويب شهادة الرسول صلى عليها باستيعاب منهجه في التغيير، سوف تبقى عاجزة على أن تصوب شهادتها على الناس، فهذا الشهود الحضاري الغائب يتطلب العودة إلى استيعاب الأنموذج مرة أخرى في ضوء الحال التي نحن عليها حيث لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها[2].

1- عمر عبيد حسنة : من فقه التغيير، م، س، ذ، ص 7.

2- عمر عبيد حسنة: من فقه التغير ، م. س. ذ، ص 8 .

الدعوة الاسلامية المحمدية دعوة حضارية:

إن اعتبار الرسالة المحمدية مصدرا للمعرفة والحضارة أمر جديد على العقل المسلم وإن كان له جذوره في تراثنا ولكنها جذور غائرة في الأعماق تحتاج إلى كشف حتى تظهر للعيان، فقد ذكر الله تعالى وظائف الرسالة المحمدية في أربع آيات في كتابه : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (البقرة 129) (آل عمران 164)، الجمعة (02) وفي واحدة منها زيادة.﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾(البقرة 151)، فالجانب المعرفي التعليمي هو جزء من المهمة النبوية بالشرح النظري والتطبيق العملي للقرآن والحكمة إما نظرية وهي معرفة الحقائق على ما هي عليهاو عملية وهي وضع الشيء في موضعه المناسب.لقد بعث الله رسوله الكريم ليصنع به أمة ربانية متميزة سماها الله "أمة وسطا" وخير أمة أخرجت للناس، وهي أمة الصراط المستقيم، صراط التوازن والتكامل بين المادة والروح والدنيا والآخرة والمثالية والواقعية والفردية والجماعية والحرية والمسؤولية والإبداع المادي والالتزام الإيماني، فقامت على أساس هذه التعاليم حضارة عالمية فذة، جمعت بين الربانية والإنسانية وبين العلم والإيمان وبين الرقي والأخلاق وبين الحضارة التي سادت العالم قرونا واقتبست من حضارات الأقدمين وهذبتها وأضافت عليها وابتكرت الجديد المفيد في علوم الدين ومعارف الدنيا فلا عجب أن يجد الباحث المدقق في مصادر السنة الكثير الطيب بوصف الرسالة المحمدية مصدرا للمعرفة والحضارة خاصة المعرفة المتعلقة بالجوانب الإنسانية[1].

كمال الرسالة المحمدية:

في التجربة الحضارية الاسلامية كان الدين هو الطاقة التي أثمرت توحيد الأمة وقيام الدولة ثم الإبداع في كل ميادين العلوم والفنون والآداب، شرعية وعقلية

1- يوسف القرضاوي: السنة مصدر للمعرفة والحضارة، م ، س، ذ، ص 08.

و تجريبية، كما كان هو الدافع للتفتح على المواريث القديمة والحديثة للحضارات الأخرى وإحياؤها وغربلتها وعرضها على معايير الاسلام واستلهام المتسق منها مع المعايير لتصبح جزءا من نسيج هذه الحضارة الاسلامية التي وإن كانت إبداعا بشريا إلا أنها اصطبغت بصبغة الاسلام، كما كانت ثمرة للطاقة التي مثلها وأحدثها عندما تجسد في واقع المسلمين، ذلك أن التعاليم الاسلامية قد رفعت المستوى العقلي للعرب الى درجة كبرى.إذ نقلتهم من عبادة الأوثان وما ينجر عنه من انحطاط في النظر. نقلتهم من إسفاف في الفكر إلى عبادة إله واحد وراء المادة لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار حيث كان إلاههم إله قبيلة أو إله العرب إذ اتسع سلطانه فأبانه الاسلام إلاه العالمين ومدبر الكون، بيده كل شيء وعالم بكل شيء، فاستطاعوابهذه التعاليم أن يرقواإلى فهم إله متسام، واسع السلطان والعلم، وأن الاسلام خير الأديان ومحمد نبيهم هادي الناس جميعا وأنهم ورثته في هداية الأمم فكان ذلك من البواعث إلى فتح الأمم، وفي إطار هذا الفتح الإسلامي كان الامتزاج الحضاري تدريجيا بين الشعوب المسلمةامتزاج في إطار ما يسمى بالحضارة العربية الاسلامية وعليه فإن أي نظرة للمستقبل اليوم لا يمكن أن تتم بمعزل عن الاسلام، فمن الضروريات اللازمة لتحقيق إنسانية الانسان، الحاجة إلى التعرف على الكون والذات والحاجة إلى الإيمان بالخالق وبالكون الذي أنزله هذا الخالق وهو رسالة الاسلام على يد نبي الأمة ورسولها محمد صلى الله عليه وسلم حيث أكد لنا حاجة الإنسانية كلها إلى التعرف على هذا الدين وعلى الحضارة التي أقامها وعلى دعوته للمحافظة على الإنسان وبيئته، فالإسلام هم بيان من الله للإنسان في القضايا التي يعلم ربنا تعالى بعلمه المحيط عجز الإنسان عجزا كاملا عن وضع أي ضوابط صحيحة لنفسه فيها، مثل قضايا العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، والإسلام يتعايش مع الآخر انطلاقا من إيمان المسلم بوحدانية الله بالتالي وحدة الرسالة ووحدة العقيدة.والإسلام ثابت مع كل التطورات العلمية المعاصرة فقد بلغت المعارف بالكون المادي في هذه الأيام مستوى لم تبلغه البشرية من قبل وأصبحت الاستنتاجات الكلية لتلك المعارف مؤكدة لكل ما جاء به الدين الإسلامي من إيمان بحقيقة الخلق وحتمية الآخرة وأن هذا الخالق العظيم أوجد هذا الكون بكل ما فيه ومن

فيه وهو وحده الذي يملك القدرة على إفنائه، بل إن كل خطوة يخطوها البشر في سبيل الرقي العلمي هي تقرب إلى ديننا الفطري حتى ينتهي الأمر إلى الإقرار الاجتماعي بأنه الدين الحق.إن العالم بفضل تجرده من الموروثات والتقاليد وإمعانه في النقد والتمحيص يتماشى على غير قصد منه نحو الاسلام بخطوات متزنة لا توجد قوة في الأرض ترده عنه، إلا إذا انحل عصام المدنية وارتكست الجماعة الإنسانية عن وجهتها العلمية[1].

لقد بدأت بوادر هذا التحول الفكري تظهر جلية في مختلف بلاد العالم بإقبال عدد كبير من مختلف التخصصات على الاسلام من أمثال الطبيب الفرنسي موريس بوكاي الذي يقول في كتابه المعنون "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم" ما يلي: "أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية ، ولم أعتقد أنني سأكتشف هذا العدد الكبير من الدعاوي الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقة تماما للمعارف العلمية والحديثة وذلك في نص ورد منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا" وعلى ذلك فإن التأصيل الإسلامي للمعارف المكتسبة من جهة وفهم الإشارات الكونية في كتاب الله وأقوال أنبيائه ورسله من جهة أخرى بمنهجية إسلامية وعلمية دقيقة وبتوظيف الحقائق العلمية المتاحة سوف يؤكد أن لكل ذي بصيرة حقيقة الوحي بالقرآن وصدق نبوة محمد الذي ختمت ببعثته النبوات وبرسالة لكل الرسالات السماوية التي امتدت من أبينا آدم إلى بعثة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يثبت الإعجاز العلمي أن القرآن والسنة بما يحتويانه من حقائق علمية لم تدركها العلوم المكتسبة إلا بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة هو كلام الخالق الذي أنزل بعلمه إلى خاتم أنبيائه ورسله وحفظه بعهده في نفس لغة وحية (اللغة العربية) وتعهد بهذا الحفظ إلى ما شاء الله تعالى ليبقى القرآن شاهدا على جميع الخلق بأنه كلام الخالق وشاهدا للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة كان موصولا بالوحي ومعلما من قبل خالق السموات والأرض، لذلك تعتبر الرسالة

1-زغلول النجار.رسالتي الى الامة.م.س.ذ، ص 471.

المحمدية مصدر للمعرفة والقيم. رغم ذلك فإن واقع المنطقة العربية والإسلامية اليوم عاطل من الناحية الحضارية بفعل تفككه إلى أزمنة متضاربة بين الزمن الإعلامي والزمن الاجتماعي والزمن القيمي، فالزمن الإعلامي هو على العموم مستورد بفنونه الإعلامية وأنماطه الحياتية الاستهلاكية ووتيرته المتعاقبة ذات النغمة الحضارية المادية الاستهلاكية ولم يتدخل الاعلام في المنطقة العربية والإسلامية بشكل يحدث الاختراق في هذا الزمن بعد، مما يجعله يمثل نسخة عن القيمة والتفكك الاجتماعي مما يجعل هذا الأخير يرتبط بصفة مرضية مع الزمن الإعلامي المستورد، وبمعنى آخر فإن اهتزاز الزمن الاجتماعي يولد البيئة الطاردة نحو الزمن الإعلامي المشوه بدوره، ويبقى الزمن القيمي على الطرف ، إذ تحول بالممارسة المذكورة إلى زمن ديني يتمثل أكثر في شعائر العبادات دون أن ينفذ ذلك بشكل فاعل إلى الأزمنة الأخرى، وتكون الدعوة إلى إعادة تشكيل الزمن ضرورة حضارية لإعادة الدخول في زمن الحضارة وليس المكوث على أطرافها أو خارجها كما هو الحال[1].

إن التغيير الاجتماعي في الاسلام المؤدي إلى الحضارة قائم على التوازن بين المادة والروح لارتباطه بالمجتمع لا ينفك أحدهما عن الآخر عكس النظرة الغربية التي تنظر نظرة مادية وما سوى المادة ظواهر اجتماعية حتى الدين، فإن كان هذا الكلام يصح على بعض الأديان من حيث تغيرها مع الزمن فإنه لا يصح على الدين الإسلامي لأنه ثابت.

لقد تكفل الله بالحفظ للمسلمين القرآن الكريم وتعهده بالحفظ الدائم كما حفظ سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يلحقه تغيير ولا تطوير لأنه كامل وثابت لوصوله لدرجة الكمال حيث التشريع الإسلامي يصلح لكل زمان ومكان ويوافق كل مجتمع وهو دافع للتقدم والتطور الاجتماعي، أما ترهل المسلمين وظهور أفكار وفلسفات اعتنقها البعض فذلك لا يحمل على الدين الاسلامي إنما ذلك سلوك فردي اتبعه بعض الأشخاص لأهداف خاصة، لم تؤثر على

1- عبد الرحمن عزي: الاسلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية، ط1، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2009 ص 214.

الدين الاسلامي الحقيقي ويكفي دليلا ثبوت تعاليم الاسلام في نفوس المؤمنين بهذا العصر وكل عصر يجدها واحدة وتنتمي إلى زمن رسولها محمد صلى الله عليه وسلم بتعاليم الدين وفهمهم وتطبيقهم لها، فالتغيير ينسب إلى أفراد المجتمع وليس إلى الدين وهذا تأكيد لحقيقة أن الدين ليس ظاهرة اجتماعية ، وما العلمانية إلا رد فعل للطرح السلبي للدين من قبل رجال الدين الذين عرضوا ما ينافي العقل والفطرة وبسبب هذا الفراغ الديني الذي لم يملأه دين صحيح طرحت العلمانية في الغرب وأخذت مكان الدين لكن لم تكن الحل الأمثل لانتشار الانحلال الخلقي والجريمة وتفشي الأمراض الاجتماعية وتفكك الأسر وانتشار الآفات، لعدم وجود الرابط والوازع الديني فمنهم من رجع للمسيحية لشعوره بالحاجة إلى الدين ومنهم من هو قائم على دراسة الأديان واعتقاد ما تقبله فكره وذهنه الاسلامي أثر كبير بالتأثير في نفوس الأفراد مما دفعهم لاعتناقه حيث وجدوا فيه ضالتهم ونداء فطرتهم[1].

الرسالة المحمدية مصدر للمعرفة:

مصادر المعرفة عند الماديين تنحصر فيما يدركه الحس من الماديات أو يدركه العقل من المعقولات، والمسلمون يؤمنون بهذين المصدرين ويعتبر كل من الحواس والعقل أدوات مهمة بل نعم جليلة وهبها الله للإنسان ليتعرف بها على نفسه وعلى آفاق الكون من حوله ويطل بواسطتها على ما فيه من سنن وأسرار تعد من أعظم الشواهد على أن الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، كما أنها من أكبر الوسائل التي تعين الانسان على عمارة الأرض والقيام بمهمة الخلافة فيها كما يريد الله تعالى، ولهذا كان التفوق العلمي لآدم أي البشر على الملائكة من أظهر ما ميزه عليهم ورشحه لمنصب الخلافة في الأرض وعلمه من الأسماء ما لم يعلمهم والمسلمون يؤمنون بأن هناك مصدرا آخر للمعرفة يعلو على هذين المصدرين ويسددهما إذا أخطأ الصواب أوضل السبيل وهو الوحي الإلهي[2].

1 -أسعد أحمد جمعة: دراسات في علم الاجتماع الاسلامي، م،س، ذ، ص68

2- القرضاوي : السنة مصدر للعلم والمعرفة , م، س، ، ذ، ص 85.

فالله تعالى منح الانسان جملة هدايات بعضها أرقى من بعض تهديه إلى معرفة نفسه ومعرفة الآفاق من حوله ومعرفة مبدئه ومصيره ورسالته، منحه هداية الحواس وأظهرها السمع والبصر ليتعامل بها مع الكون الذي يعيش فيه ويحقق بها أهدافه، لكن الحواس لها مجال معين لا تتعداه ويمكنها أن تخطئ، حتى أن البصر هو أقواها يمكن أن يرى الظل ساكنا وهو متحرك ويرى السراب يحسه ماء ويرى الكبير صغيرا كالنجوم في السماء، لهذا من الله تعالى على الانسان بهداية أعلى وهي هداية العقل الذي يصوب خطأ الحواس ويعمل فيها من المدركات كالرياضيات والمجردات والقوانين الكلية.

والعقل هو الذي ميز الانسان عن سائر الحيوان وبه عرف الانسان نفسه وعرف عالمه وعزف ربه وسعى لكسب المعرفة وتصنيفها وقد يعرف هذا العقل أن لهذا الكون إلاها وأن لهذا الانسان روحا وأن لهذه الروح خلودا وأن ثمة حياة بعد هذه الحياة، ولكنه حين يدخل في التفاصيل تتعثر خطاه وقد يخلق الحقائق بالأساطير لذلك كان العقل في حاجة إلى معين يهديه في المناطق المحرمة على العقول، فيعلمه ما لم يكن يعلم ويخرجه من ظلمات الحيرة والتناقض فيهديه إلى الصواب وهذا المعين هو الوحي الإلهي الذي خص الله به رسله والذي تمثل في الرسالة الخاتمة في القرآن الذي يمثل آخر كلمات الله لهداية البشر والسنة النبوية التي هي بيان لهذا القرآن[1].

- **العقل ضروري لفهم الوحي:** القول بأن الوحي مناقض للعقل ضلال وتضليل، فالوحي الإلهي جعل العقل سبب التكليف ورتب عليه الثواب والعقاب ولا يعرف الوحي الإلهي حقيقته إلا بالعقل، ولقد تفرد الاسلام عما سبقه من أديان سماوية بأن معجزة رسوله جاءت معجزة عقلية يحتكم في إثبات صدقها إلى العقل المفكر، فالقرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة لم يبلغ العقل الإنساني بالدهشة

1- المرجع السابق.ص 86

والانبهار وإنما جاء ليستنفر كل الطاقات العقلية لدى الانسان ليستوعب ما جاء به كتاب الوحي المنزل وما هو منشور في آفاق الكون المنظم لمعرفة كنه الظواهر بسلطان العقل[1].

فالله تعالى خلق الانسان وميزه عن سائر المخلوقات باستعدادات جعلته قادرا على التفكير حرا في إرادته ومختارا في فعله، وقوته نابعة مما شاء الله له.- **احترام قيمة التفكير**: دعى الاسلام إلى احترام العقل واستخدامه كأداة لتحصيل العلم والتعامل مع الأشياء لأنه الأداة الفعالة في صنع الحضارة والمدنية ولذلك يمكن القول بأن الحضارة الاسلامية حضارة عقلية، فقد خاطب القرآن العقل ودعا إلى التفكير والتأمل والفهم والاستنتاج بالدليل والبرهان الحسي والعقلي ورفض الخرافات والأساطير والتقليد الأعمى وحذر المسلمين منها غير أن واقع المسلمين الآن يعكس سيادة الخرافات والأساطير والتقليد الأعمى على واقع حياتهم لذلك تخلفوا عن ركب الحضارة البشرية، لذلك أصبح الاتصال والتوعية بصفة عامة والدعوة بكل وسائلها ضرورية للتفكير وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لجميع القادرين على التفكير وأن يبدؤوا بأنفسهم في الاجتهاد واستخراج الأحكام والقوانين الشرعية لمواجهة مستجدات الحياة في مختلف المجالات، الاقتصادية ، والسياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية والبيئية والصحة والمرأة وحقوقها وغيرها من القضايا الملحة التي تعد وجهة النظر الاسلامي فيها أساس لنهضة الأمة وحركتها نحو التغيير والتطوير فالإسلام يتسم باليسر والبساطة والوضوح لذلك ينبغي أن ينعكس على هذه الاجتهادات بحيث تكون دافعا للوحدة من خلال وضوح الآراء والاتفاق عليها لا مصدر اختلاف وفرقة.

-الاجتهاد: والدعوة الاسلامية تتطلب الاجتهاد والاجتهاد ملكة فقهية في رأي أغلب الفقهاء تزداد بالاكتساب، لذلك من الضروري أن تتوافر للمجتهد المعرفة بالشريعة وعلومها والعربية وعلومها وتراث الفقه فضلا عن فقه القرآن والسنة.

1- أحمد مهدي عبد الحليم: الثقافة الاسلامية محور لمناهج التعليم، م، س، ذ، ص 120.

والاجتهاد يتطور بتطور الزمان والمكان لا يقف عند فقه الأحكام الموجود في التراث فقط ولكن يتناول فقه الواقع المتجدد الذي يعيش فيه المجتهد[1]. إلى جانب مصدرية التشريع هناك أيضا مصدرية السنة للمعرفة، فالسنة أيضا تتضمن المعارف الإنسانية[2].

-السنة والمعارف الإنسانية: حيث تتضمن أخبار وإنشاءات شأن كل كلام، فالأوامر والنواهي والتوجيهات والإرشادات النبوية تحمل في طياتها معارف وحقائق نفسية واجتماعية وتربوية واقتصادية وإنسانية تعتبر غاية في الأهمية ويجد فيها أهل الاختصاص في كل فرع من تلك الفروع كنوزاً من المعارف لا يقدر قيمتها إلا العارفون كما سبقت السنة بوضع أفضل القواعد وأعظم القيم التربوية التي يحسب كثيرا من الناس أنها ثمار العصر الحديث ومما لم يعرفه غير الغرب.

- **العلم التجريبي**: فالعلم الذي دعا إليه الاسلام وحث عليه القرآن والسنة هو كل معرفة مستندة إلى استدلال لهذا يعد علماء المسلمين التقليد علما لأنه إتباع لقول بغير حجة والاسلام لا يقف عقبة في سبيل هذا النوع من العلم الذي تعتبر المادة موضوعا له ولا يعده مقابلا للإيمان، أو معاديا له كما اعتبرت ذلك أديان أخرى في مراحل تاريخية معينة، فقد هيأت تعاليم القرآن والسنة المناخين النفسي والعقلي اللذين ينبت فيهما هذا العلم لترسخ أصوله وتمتد فروعه بعقلية علمية موضوعية لا تقبل نتائج دون مقدمات ولا تخضع إلا للحجة والبرهان ولا تحكم العواطف والظنون في مقام يطلب فيه اليقين المجرد حيث تقوم هذه العقلية العلمية على رفض أي دعوى بغير دليل بالإضافة إلى رفض الظن في كل وضع يطلب فيه اليقين والعلم ورفض العواطف والأهواء والاعتبارات الشخصية حيث يطلب الحياء والموضوعية، والثورة على الجمود والتقليد والتبعية الفكرية للآخرين مهما كانت صفتهم وإدانة لعقل يرضى أن يكون تابعا وقد خلقه الله سيدا، وهذا الموقف الأخلاقي الذي يتميز باستقلال الشخصية في السلوك يدعو

1- محمد منير حجاب: تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، دار الفجر، القاهرة، 2004، ص208.

الاسلام إلى مثله في الفكر أيضا بالاضافة إلى النظر والتفكير والتأمل في الانسان نفسه والتاريخ البشري ومصائر الأمم وسنن الله في الاجتماع الانساني[1].

فقيمة العلم بارزة في الدعوة الاسلامية إلا أن لا معنى للقيمة إذا لم تتجسد في الفعل، فالقيمة هي كل ما يسمو ويوفر معنى للإنسان في حياته الروحية والمادية، التي تتأتى من المعتقد والأصل أن يرتبط الفرد بالقيمة.

وهناك ترابط بين القيمة كمعنى وممارستها في الواقع،فالقيمة تتجسد في الفعل وبدونه تبقى تصوراً مرغوبا فيه أو فكرة كامنة فحسب، وقد اقترن الايمان بالعمل اقترانا وثيقا دلت عليه العديد من الآيات القرآنية، فالدين المعاملة والقيمة تحيا بالفعل وإلا تحولت إلى معالم غامضة في حياة الفرد والمجتمع وتشمل الممارسة عدة مجالات كالانشغال بالقيمة والتعلق بها وتبليغها وتحويلها إلى السلوك الذي ينعكس إيجابا على الفرد والجماعة، وينبغي التمييز بين القيمة ومستوى إدراكها والعمل بها، مما يفسر لنا كيف أن الفرد يسمع الفكرة فيقبل بها في أول وهلة ثم لا يدركها ولا يجسدها أو يعمل على نقيضها في الواقع بعد ذلك ويعود ذلك إلى مجموعة من الاعتبارات كعدم استقرار الفكرة في ذاكرة المتلقي أو إلى خلل في جهاز الإدراك الذي يخص المستقبل وذلك مثل الأمراض التي تصيب النفس والقلب والبعض الآخر يعود للسهو والغفلة الضعف، فهي عوامل تخص تعلق القيمة بالذاكرة، والقضايا الدنيوية البحتة المنفصلة عن القيمة تنسى الفرد أو تبعده عن القيمة ولذلك يحتاج إلى التذكير باستمرار.

القيم الحضارية في الرسالة المحمدية:

لقد حدد الله تعالى مهمة الانسان الحضارية في هذا الكون وهذا يعني أن الله قد كلف الانسان بإعمار الأرض وصنع الحضارة فيها ويعني ذلك بدوره تمهيد الأرض وتحويلها إلى حال يجعلها صالحة للعيش فيها والانتفاع بخيراتها، وحتى يستطيع الانسان القيام بهذه المهمة الحضارية في هذا الكون سلحه الله بالعلم الذي

1- القرضاوي: السنة مصدر للمعرفة والحضارةم.س.ذ. ص 179.

جعله الاسلام فريضة دينية ولكن عمارة الأرض على هذا النحو ليست هي الحضارة بإطلاق وكذلك ليست هي العمارة بإطلاق وإنما هي أحد جوانب العمارة ويمكن أن يطلق عليها مصطلح "الحضارة الشيئية" أو المادية أما الجانب الآخر الذي به تكتمل الحضارة أو عمارة الأرض بالتفسير القرآني فإنه يشمل كل القيم الدينية والفعلية والأخلاقية والجمالية وبمعنى آخر إن الحضارة الحقيقية هي التي تضع الانسان في قمة أهدافها[1].

ولا يبعد التصور الاسلامي عن ذلك كثيرا ولكنه يجعل الحضارة مرتبطة بتحقيق المشيئة الإلهية في عمارة الأرض ماديا ومعنويا وبذلك يحقق الانسان ذاته بوصفه خليفة الله في الأرض.

وهكذا نجد أن سيطرة الانسان على قوى الطبيعة لا تكفي وحدها لبناء الحضارة، بل لا بد أن ينضم إلى ذلك أيضا سيطرة الانسان على نوازعه الداخلية وأهوائه وشهواته حتى تكون منضبطة بالقيم الأخلاقية وبذلك تتم عمارة الأرض كما أرادها الله خالق الكون، تصحح له هذه الصلة دائما مساره على الأرض فسادا وهو ليس من التحضر بل مناقض لها وللإنسانية فالحضارة بالمعنى الصحيح تعني التقديم المادي والروحي للإنسان وبهذا لا تنفصل عن القيم. لا كما أن مفهوم الحضارة مرتبط بمفهوم التقدم أي أن الحضارة نقلة تقدمية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى التقدمية في الفكر والسلوك وفي أسلوب التعامل مع الناس والأشياء في إطار منظومة القيم التي تتعدى الإطار الضيق إلى الدائرة الانسانية الأوسع والأرحب.

وقد كان للإسلام دور كبير في تنبيه الأذهان إلى هذه الدائرة الانسانية الواسعة مؤكدا على العنصر الانساني الشامل، فهدف أي حضارة حقيقية هو الإنسان، لأنه صانع الحضارة وهو في الوقت نفسه هذه الحضارة والحضارة تنتهي عندما تفقد في مضمونها معنى الإنسان وحيث ينتهي المعنى الإنساني تبدأ الأخلاق

1- محمود حمدي زقزوق: الانسان والقيم في التصور الاسلامي، م، س، ص 49.

الزائفة والحضارة الزائفة، وإذا كان الفيلسوف الإنجليزي هوبز قد ذهب في تصوره إلى حد رؤية الانسان ذئبا لاخيه الانسان وان الكل في حرب ضد الكل فان التصورالاسلامي الذي يتلاءم مع الحضارة الحقيقية أو الذي يعبرعن لب هذه الحضارة والذي ينبغي أن يصل إلى وعي الأفراد والجماعات هو مسؤولية الكل عن الكل[1]. هذه المسؤولية تمثل قمة التضامن والتعاون والتكافل بين البشر جميعا.

وهناك بعض النماذج من القيم الحضارية التي أكد عليها الإسلام وهي قيم أساسية لبناء حضارة ثابتة الأركان والتي لم تعد حاضرة في وعي جماهير الأمة بالقدر الكافي لتحويلها إلى التزام أخلاقي وسلوك عملي في حياة الأمة الاسلامية وهي قيم حضارية دافعة نحو التقدم في جميع المجالات يجب العودة إليها أهمها:

- **التفكير**: وهو من أهم وظائف العقل الإنساني ومن أهم القيم التي حث عليها القرآن في العديد من الآيات وحفز عليها، فالحضارة لا تتحقق إلا بالتفكير واستخدام الانسان لكل ملكاته الفكرية والإدراكية غير أن انتشار الجهل والأمية في العالم الاسلامي نجح في تعليم الخوف من التفكير وصبهم في قوالب جامدة تربطهم بحرفية المكتوب الأمر الذي أغلق فرص الإبداع والابتكار. فغرس قيمة التفكير وتعليم ممارسة التفكير حماية من الانزلاق إلى التطرف في الفكر أو السلوك أو في فهم الدين المقصود بها إلغاء العقل وتعطيل المسيرة الحضارية، فعندما توقف المسلمون عن التفكير انتشرت بينهم المقولات الخطأ مثل "لم يترك الأول للآخرين" وراجت الخرافات والأوهام وتوقفت حضارتهم وإبداعهم واكتفوا بحضارة المحفوظات، فتوقف عطاؤهم الحضاري وأخلوا لغيرهم من الأمم الطريق لأنهم مارسوا التفكير واستخدموا عقولهم جيدا بينما توقف المسلمون عن التفكير والإبداع، فتغيير وضع المسلمين والعودة إلى طريق العقل والعلم والتفكير والإبداع هو الوسيلة لاستعادة العطاء العلمي والحضاري المتجدد بلا حدود[2].

1- محمود حمدي زقزوق: الحضارة فريضة إسلامية ط1، مكتبة الشروق، القاهرة ، 2001، ص 47.

2- حمدي زقزوق:الحضارة فريضة اسلامية. ص 52.

- **العلم:** العلم في الإسلام ليس ترفا أو أمرا هينا هامشا هو فريضة والجهل رذيلة ونقيصة وجدير بالمسلمين اليوم من منطلق تعاليم دينهم ألا يكون بينهم أمي واحد، لكن الواقع المؤسف يقر بأمية نصف سكان العالم الاسلامي، والأمية معناها المزيد من التخلف والجمود والانغلاق.

إن الحديث عن العلم يعني الحديث عن التفكير العلمي وضرورة الالتزام بالمناهج العلمية، فالعلم لا وطن له ولا دين، إنه ملك الانسانية جمعاء والحضارة الانسانية أخذ وعطاء، ولا توجد أمة عريقة في التاريخ إلا وقد اعطت كما أخذت من التراث الانساني.

- **الوقت:** وهو قيمة من القيم الحضارية الأساسية التي نبه الاسلام إليها وحض على الالتزام بها وحسن التصرف فيها وهو يدخل ضمن المسؤوليات الكبيرة التي سوف يسأل عنها الانسان يوم القيامة والاسلام يعول كثيرا على ضرورة الوعي بالزمن واستغلاله الأمثل في كل مجالات الحياة إذ بدون ذلك لا تقوم الحضارة ولا يتصور أن يكون هناك أي شكل من أشكال التقدم في حياة الانسان ومسؤولية الإنسان الحضارية في هذا الوجود تحتم عليه أن يكون أمينا في تحمل هذه المسؤولية ليحقق ذاته ويؤكد هؤيته الانسانية من ناحية وجدير بشرف خلافته لله في الأرض من أجل إعمارها في جميع المجالات من جهة أخرى[1].

فهناك ارتباط بالعمل والعلم، فالعمل المنتج تنفيذ لتخطيط علمي وتطبيق عملي للعلم والمعرفة، فالعلم والعمل وجهين لعملة واحدة، والعمل المقصود هنا هو العمل الصالح حيث يكون بالإتقان والإخلاص والاستمرارية وبذل المجهود للوصول إلى الهدف المقصود، وبذلك يرفض الاسلام التواكل، فالحياة حركة ونشاط والأخذ بالأسباب سنة من سنن الله في الكون وعندما ساد هذا التواكل في مجتمعاتنا الاسلامية تخلفت عن ركب الحضارة والتقدم.

وإلى جانب هذه القيم الحضارية الأساسية هناك أيضا :

1- المرجع السابق.ص 55.

- **وجوب حسن المعاملة:** حيث هي ترجمة عملية للدين في التعامل مع الآخرين بالقول أو الفعل أو بأي إشارة أخرى.
- **حقوق الإنسان:** المبدية على الحق الطبيعي والتعاليم الدينية والأخلاقية وضرورة حمايتها من أي اعتداء حيث ترجع حقوق الإنسان في الإسلام إلى حقين أساسين هما قيمتان مهمتان، المساواة والحرية وكل الحقوق الأخرى منبثقة منها.
- **قيمة الجمال:** الذي ينعكس بصورة ايجابية على سلوك الانسان في الحياة ويجعله سلوكا حضاري[1].
- **الحفاظ على البيئة والرفق بالحيوان والنظام:** الذي هو عكس الفوضى والارتجال، فالنظام هو الحياة الصحيحة بكل ما تعنيه من تخطيط سليم تحضر ورقي في الفكر والسلوك والفوضى ما هي إلا انفلات وتخلف عن كل القيم والنظم، وهذا أمر مضاد لكل تعاليم الرسالة المحمدية ولكل القيم الحضارية، ومع ذلك تزداد معاداة هذه الرسالة وصاحبها بل والتهجم عليها في صراع الحق مع الباطل بل حتى بث روح النفور منها خاصة بين الشعوب، فهناك خمسة مصادر أساسية ظهرت في العالم تحددت فيها صور العداء للإسلام كدين وثقافة وتاريخ وحضارة هذه المصادر هي:
  - **المصدر الديني** : تتحدد في مواقف وأفكار واتجاهات بعض رجال الدين المسيحي الذين اعتقدوا أن ظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي أوقف امتداد وتقدم المسيحية في العالم وفقدت المسيحية مركزها في الشرق.
  - **المصدر التاريخي:** والدور الذي نهض به رجال الاستشراف الذين حاولوا تقديم صورة نمطية ومشوهة عن الاسلام بل وعدائية ظلت مؤثرة في المجتمعات الغربية بصورة خاصة.

1- حمدى زقزوق.الحضارة فريضة اسلامية.م.س ذ .ص56.

- **المصدر الإيديولوجي**: تتحدد في الإيديولوجية الماركسية التي كان لها موقف عنيف ومضاد من الفكرة الدينية والديانات بصورة عامة ومنها الاسلام لكنه تراجع ويكاد يضمحل بعد تصدع الماركسية.
- **المصدر السياسي**: المتمثل في مواقف وأفكار بعض السياسيين المنطلقين من دوافع سياسية حيث يعتبرون الاسلام الايديولوجية المعادية للغرب بعد انهيار الشيوعية، أو تصوير الاسلام أنه صدام حضاري مع الغرب من الماضي إلى اليوم وإلى المستقبل[1].

فعندما نكون في صراع لأجل البقاء ونسعى لإنقاذ أنفسنا ومجتمعاتنا من أخار خارجية يعتبر الوقت ثروة بحد ذاته وهو ما شعرت به ألمانيا إثر هزيمتها في الحرب العالمية الثانية فأقدم الشعب على تقديم ساعتين مجانا زيادة على وقت العمل المحدد في حالة استنفار وإنقاذ قصوى تشحذ الهمم وتدفع إلى الحرص على الوقت وتوجيهه بالشكل الأمثل، فتحديد فكرة الزمن تحدد معنى التأثير والانتاج وهو معنى الحياة الذي ينقصنا لذلك لا بد من الاهتمام بالوقت وبشكل مكثف لنعوض تأخرنا، فما الحضارة سوى إنسان + تراب + وقت والإنسان هو الذي يحدد في النهاية القيمة الاجتماعية لهذه المعادلة ولهذا نكون قد سرنا في الإتجاه الصحيح نحو الحضارة واستثمرنا قدراتنا الاجتماعية بكل طاقاتها وأي خلل في تنظيم وتوجيه أو بناء أو تفعيل إحدى هذه العناصر يؤدي إلى خلل حتمي في قدراتنا الاجتماعية بل في حياتنا الاجتماعية ويقف حجر عثرة أمام إنشاء حضارتنا، فالذي أنهض الإنسان الألماني هي أفكاره، وأفكاره فحسب هي التي أتاحت له أن يحقق ذلك النهوض، فتجربتها لا تقدر بثمن، تتيح لنا أن نستخلص بطريقة علمية أن قيمة مجتمع معين في فترة ما من تاريخه، لا يعبر عنها بمجموعه الأشياء ولكن بمجموعة أفكاره[2].

1- زكي الميلاد: الاسلام والمدنية , م، س، ذ، ص 55.

2- مالك بن نبي، فكرة كومنولث إسلامي، م، س، ذ، ص52.

إذن ما هي قيمة مجتمعنا الآن؟ شيء واحد هو المؤكد أن أساسنا المفاهيمي ضعيف للغاية عالم أشيائنا لا يرتكز على كبير شيء، مضافا إلى ذلك أنه حتى الأشياء الموجودة في هذا العالم اشتريناها من مجتمعات تملك أفكاراً، فمشكلة الانسان المسلم مشكلة فعالية وإرادة تسببت له بسيطرة الاستعمار عليه وعلى قدراته بالرغم من أن الاستعمار ليس المشكلة الحقيقية فهو معنا كصبي يقود رجل كبير لكنه أبله أو مجنون أي رجل مسلوب الارادة والفعالية فإذا تحكم الصبي في الرجل فلا يلام بل يجب إعادة الارادة المسلوبة إليه ليتصرف مع الصبي بالشكل المناسب، فلقد نهضت ألمانيا واليابان بالإرادة دون المال، ومشكلة الانسان الملم ذات شقين: قدرته على صياغة مشكلاته فكريا وقدرته على التصرف في الامكانيات لحل المشكلات، والفعالية تتكون من دوافع القلب ومبررات وتوجيه العقل وحركات اليد والأعضاء، فتعطينا طاقة اجتماعية إذا فقدت تفقد مبررات النشاط لذلك نرى إنسان العالم الاسلامي خاملا، جامد الفكر، عديم النشاط الايجاري متواكل، يكدس أشياء الحضارة الغربية ولا يسعى إلى البناء أو التفكير في بناء حضارة وهو ما ينتج التكلف الذي هو ناتج عن الفعالية وفقدانها التي تدفع للعمل[1].

-**العمل:** من القيم التي ترتبط ارتباطا عضويا بالوقت فهو الوعاء الذي يمارس فيه الانسان العمل ولا يمكن فصلهما عن بعضهما، فالوقت بلا عمل فراغ والعمل لا يمكن إنجازه إلا إذا كان هناك وقت فالوقت مرتبط بالعمل الجاد المثمر ولا يكون كذلك إلا عن علم وفهم وإدراك[2].

المصدر الإسرائيلي والصهاينة بالذات هم من أكثر المحرضين على خلق العداء والبغض للإسلام، وجميع المصادر أثرت في تشويه صورة الاسلام في العالم وفي إمكانية التواصل والانفتاح والتفاعل معه ومن أنجع السبل في التعامل مع هذا الواقع بكل تعقيداته وتناقضاته وإشكالياته هو التحول إلى أمة متحضرة بالاسلام

1- مالك بن ني.فكرة كومنولث اسلامي،م.س.ذ. ص54.

2- حمدي زقزوق، الحضارة فريضة اسلامية، م، س، ذ، ص53.

الذي يحمل كل مقومات الحضارة بانحياز التاريخي الذي يجب التمسك به وعدم التراجع عنه لاستعادة المكانة اللائقة في العالم حتى يكون للأمة شأن واعتبار بين أمم العالم ومدنياته ووجود وبقاء ومصير ومستقبل.

إن التحول إلى أمة متحضرة لا يتحقق إلا من خلال العمل بالقوانين التاريخية والسنن الاجتماعية العامة والثابتة في قيام الحضارات وبدونها لا يتم التقدم تجاه الحضارة وفي مقدمة هذه القوانين والسنن التغيير الشامل الذي يبدأ من الذات، فالتحول إلى التحضر يحتاج إلى زمن طويل يكشف عن مسيرة ظافرة في الإنماء والعمران وكل الأبعاد المختلفة.

نحن بحاجة إلى منظور حضاري كمنهج في نقد وتحليل واستشراق أوضاعنا في أبعادها المختلفة حيث عليه التوجه إلى جذر المشكلات وأساسها وهو التخلف الذي تتأثر به جميع القضايا والظواهر وحتى المفاهيم والأفكار والمواقف والسلوكات من أجل الانتقال إلى وضعيات متحضرة ومتمدنة، وكل ذلك يحتاج إلى مفكرين وعلماء في مستوى العصر وإشكالاته وقضاياه يكون لهم بعد إنساني على مستوى المعارف والأفكار وأفق مستقبلي في التخطيط والاستشراق لتصل الرؤية الحضارية لوعي وسلوك الأمة[1].

ولا يمكن ذلك إلا بالارتقاء بالفكر وتطويره بالتركيز على العلوم المختلفة، فالتقدم يكون بالعلم والتقدم يقود الأمم نحو التعاون والتكامل والوحدة، أما التخلف فيقودهم نحو التفرق والتجزئة، بالاضافة إلى ضرورة التقدم التكنولوجي الذي أصبح ضروريا حيث تأخر المسلمون كثيرا في إنجاز التقدم في هذا المجال ولن يستطيع العالم الاسلامي أن يستقل عن الغرب إذا لم يتقدم تكنولوجيا حيث لا ينقصه العقول والخبرات العالية بقدر ما تنقصه البنية العلمية والمتماسكة التي هي أساس التقدم والنهوض التكنولوجي، والبنية العلمية هي البنية التحتية الأساسية التي يتطلبها النشاط العلمي والبحث العلمي من إمكانات

1- زكي الميلاد: الإسلام والمدنية، م، س، ذ، ص 159.

وخبرات وقاعدة معلومات ومراجع ومصادر وتواصل بين الأدمغة والعلماء والمناخ المشجع على الإبداع والابتكار وهذا كله يحتاج لذهنية تدرك أهمية وأولوية البحث العلمي وتقدمه ولا يمكن ذلك إلا إذا كان بإمكان رئيس الجامعة أن يصبح رئيس دولة وإذا تحولت ميزانيات مؤسسات الداخلية والأمن والدفاع إلى مؤسسات التربية والتعليم والبحث العلمي اعتبرت هذه المؤسسات سيادية في الدولة[1].

فالحضارة هي التقدير الروحي والمادي للأفراد والجماهير، وهذا التعريف لم تقدمه عبر العصور إلا حضارة الاسلام ولن تقدمه في المستقبل كذلك إلا حضارة الاسلام، حيث يتفطن أصحاب عقيدة التوحيد إلى منهج الله الذي من به عليهم وينادون به، حينئذ يملكون أن يتقدموا للبشرية بالشيء الذي تفقده جميع المذاهب والمناهج والأنظمة والأوضاع في الأرض كلها بلا استثناء، ومن ثم يكون لهم اليوم وغداً دور جديد، دور عالمي إنساني كبير ودور قيادي أصيل في امتيازات العالمية والإنسانية، وبالرغم من وجود تتجدد في الطرح الفكري الاسلامي المعاصر لكنه ليس كافيا، فلا زالت هناك إمكانية أكبر وأنضج في تطوير مستويات التجدد الفكري، والمشكلة الأكبر هي عدم وجود المتخصصين في دراسات المستقبل الذين يمتلكون الخبرة والمعرفة وكيفية الاستفادة في نقد وتحليل أوضاع العالم الاسلامي وأحواله وفي التطوير والاستشراق أيضا،

إهتمام السنة المحمدية بالسلوك الحضاري:

تعريف السنة: لغة هي الطريقة والسير.أما اصطلاحا فهي الهدي الذي كان عليه رسول الله وأصحابه علما واعتقادا وقولا وعملا وهي السنة التي يجب إتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها ويقال فلان من أهل السنة معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة.وأهل السنة هم من كان على مثل ما كان النبي وأصحابه وهم

1-زكي الميلاد.الاسلام والمدنية.م.س.ذ، ص163.

3 - محمد ع/ المنعم خطابي وآخرون، الاسلام وحضارة المستقبل، مكتبة مصر ، القاهرة 1990، ص.238

المتمسكون بسنة النبي وهم الصحابة، التابعون، أئمة الهدى، المتبعون لهم، سموا بذلك لانتسابهم لسنة النبي واجتماعهم على الأخذ بها ظاهرا وباطنا وفي القول والعمل والاعتقاد وأهم خصائص السنة النبوية المحمدية.

- سلامة مصدر التلقي وهي ثاني مصدر للمعرفة والحضارة بعد كتاب الله.
- موافقتها للفطرة السليمة والعقل السليم.
- اتصال سندها برسول الله والتابعين وأئمة الدين قولا وعملا.
- الوضوح والسهولة والبيان.
- السلامة من الاضطراب والتناقض واللبس.
- العموم والشمول والصلاح لكل زمان ومكان وأمة وحال.
- الثبات والاستقرار والخلود.
- ترفع قدر أهلها فهي تثمر المعارف النافعة والأخلاق العالية، فالفضل الحقيقي إنما هي السعي في طرق الكمال والحرص على التخلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.
- السنة سبب للنصر والتمكين لأنها سنة الألفة والاجتماع.
- متميزة تمنح الراحة النفسية والفكرية.
- تؤثر على السلوك والمعاملة.
- تدفع إلى الحزم والجد في الأمور.
- توصل إلى تكوين أمة قوية.
- تكفل الحياة الكريمة وتملأ القلب بالتوكل على الله [1].
- لا تنافي العلم الصحيح بل تؤيده وتحث عليه وتدعو الناس إليه سواء كانت علوم دينية أو كونية.
- تجمع بين مطالب الروح والقلب والجسد بمنتهى الدقة والتناسب والتوازن.
- تعترف بالعقل وتحدد مجاله ولا تحجز عليه أو تنكر نشاطه.

1- عبد الله بن الباز : عقيدة اهل السنة و الجماعة , ط2 ,دار ابن خزيمة للرياض 1998 , ص15

- تعترف بالعواطف الإنسانية وتوجهها الوجهة الصحيحة وتقدرها وفي نفس الوقت لا تطلق العنان لها بل تقومها وتسمو بها وتوجهها الوجهة الصحيحة.
- هي كفيلة بحل جميع المشاكل والآفات على اختلاف أنواعها.
- تجمع بين العلم والعبادة.
- تجمع بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب.
- تجمع بين العقل والعاطفة.
- تحرص على سيادة العدل والأمانة العلمية التي تعتبر زينة العلم.
- الوسطية وهي أعظم ميزة لا فيها غلو ضار ولا تفريط مهلك، فهي وسط سواء في العقيدة أو السلوك أو الأخلاق أو الأحكام.
- الحرص على الشورى في أمور الدين والدنيا الخاصة أو العامة.
- الاهتمام لنصرة المسلمين حيث تسعى لنصرتهم وتأدية حقوقهم وكف الأذى عنهم ورفع الظلم عنهم وتجعل المسلمين بعضهم أولياء بعض.
- الحرص على جعل المسلمين على الحق وحسن الخلق وسعة الأفق (بعد النظر) ورحابة الصدر والتماس العذر.
- الحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد أو اللسان أو القلب.
- الحرص على الظهور كقدوة حسنة وصالحة بإصلاح ما افسد.
- السعي نحو الكمال بالنصيحة والتربية المتكاملة المتوازنة والصبروسلامتها من الإضطراب والتناقض.[1]
- وعليه مما سبق يمكن القول أن السنة المحمدية يمكن اعتبارها مصدرا مهما للحضارة.

❖ **السنة مصدر للحضارة:**

كما كانت هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم وكانت المصدر الثاني للمعرفة بعد القرآن فهي المصدر الثاني كذلك للحضارة بعد كتاب

1- عبد الله بن الباز: عقيدة أهل السنة والجماعة، م، س، ذ، ص 46.

الله، فالقرآن يضع دائما الأسس المبادئ والسنة تعطي البيان والتفصيل النظري كما تعطي الأسوة (القدوة) والتطبيق العملي.

وفي رحاب السنة الواسعة نجد التوجيهات النبوية ترشد إلى أمور ثلاث أساسية تتعلق بالحضارة هي: الوعي الحضاري (الفقه الحضاري) والسلوك الحضاري والبناء الحضاري.

والحضارة بمعناها العام جملة من مظاهر الرقي المادي والعلمي والفني والأدبي والاجتماعي في مجتمع ما أو في مجتمعات متشابهة وفي اللغة العربية مقابلة للبداوة والهمجية والتوحش فجاء الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ظلمات بكل أنواعها ومستوياتها إلى النور بكل أنواعه ومستوياته، بما في ذلك، نور الحضارة والتمدن، وقد كان من مقاصد الهجرة إلى المدينة التي فرضت على كل من أسلم من قبائل العرب قبل فتح مكة، إتاحة الفرصة لهم ليتعلموا ويتفقهوا بثقافة الإسلام الجديدة التي تلزمهم بالجماعة وتهيئ لهم حضور مجالس العلم والتأدب بأدب الاسلام الذي صبغ به الحياة كلها[1].

لم يشرك الإسلام مجالا في الحياة إلا وصبغه بصبغته الحضارية حتى في المأكل والمشرب والملبس والمشي والجلوس وسائر شؤون الحياة على اختلاف أنواعها، فالسنة رسالة حضارية هدفها الرقي بحياة الانسان وإخراجه من البداوة إلى المدنية فأول ما تهتم به السنة في مجال الحضارة هو الوعي الحضاري ونقصد به الوعي الذي يهتم بنقل الانسان من فهم سطحي بدائي إلى فهم أعمق للكون والحياة، من عقل راكد إلى عقل متحرك ومن عقل مقلد تابع إلى عقل متحرر مستقل، ومن عقل خرافي يتبع الأوهام إلى عقل علمي يتبع البرهان ومن عقل متعصب إلى عقل متسامح، ومن عقل مدع متطاول إلى عقل متواضع يعرف حده فيقف عنده ولا يبالي أن يسأل فيقول: لا أعلم وأن يعترف بخطئه إذا ظهر له، وأول هذه المعالم لهذا الوعي:

1- يوسف القرضاوي: السنة مصدر للمعرفة والحضارة، م، س، ذ، ص200.

- الوعي بقدرة الله وسنن كونه، فلا يقرأ سطورها إلا أهل العلم والعقل، وهذا الوعي دائم ومتجدد بما يكشفه الله لخلقه.
- ثبات السنن وعمومها، فالوعي بأن هذا العالم لا يسير جزافا ولا يتحرك اعتباطا هو من الوعي، فكل شيء يسير بقدر وكل حركة وفق قانون وهو الذي يسميه القرآن سنة، سواء كانت سنة كونية أو اجتماعية وهذه السنن أو القوانين ثابتة لا تتغير تجري على الآخرين كما جرت على الأولين تتعامل مع الجميع بنفس الطريقة.
- شيوع الآفات المدمرة للأمم: فمن قوانين الكون شيوع الآفات وانتشارها واحتلال الأوضاع الذي يؤدي للدمار والفساد ومن سنن الله تعالى أن المنكر إذا ظهر ولم يغير وسكت الناس عليه نزلت نقمة الله بهم جميعا، الفاعلين لفعلهم والساكتين لسكوتهم وتهاونهم، ومن هذه السنن أن الحق منصور وإن طالت محنة أهله وأن الأمة لا تجتمع كلها على ضلالة، فلا بد أن يبقى على الأرض من يقوم لله بالحجة ويدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.ومن معالم الوعي الحضاري أيضا المعرفة وهي معرفة القيم الصحيحة الرفيعة التي جاء بها الاسلام في تأصيل المعرفة العلم الذي يطالب بالزيادة منه والاستمرار فيه والتنافس على تحصيله[1].

ولا معنى للوعي الحضاري إذا لم يكن من ثمرته السلوك الحضاري فلا خير في وعي أو علم لا يثمر عملا وأول نفع العلم الرقي بصاحبه في سلوكه فيهذبه.

❖ **السلوك الحضاري:** هل كل ما يسمو بالفرد ويرقى بالمجتمع روحيا بالعبادة وعقليا بالعلم واقتصاديا بالعمل وخلقيا بالفضيلة وجسديا بالرياضة واجتماعيا بالتعاون وماديا بالعمارة، ويقوم هذا السلوك الرفيع على جملة ركائز أو دعائم أهمها:

1- يوسف القرضاوي: السنة مصدر للمعرفة والحضارة، م، س، ذ، ص 205.

- توخي مكارم الأخلاق: فجعل الله تعالى لذلك قدوة تتجسد في مكارم الأخلاق التامة أخذت من ميراث جميع الرسل وزادت عليه هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.
- **الرفق والسماحة والحلم**: حيث ضرب الرسول أحسن مثال على ذلك في فتح مكة عندما عفا عن مشركيها وفتح معهم صفحة جديدة فعلم أصحابه أن ينتصروا على الأحقاد والغضب.
- **السلوك المهذب**: وكل ما له علاقة بالسلوك الحضاري كبر الوالدين والإحسان للجار واليتيم وكل السلوكات التي تحث على المنهج الأمثل الذي يجمع بين الذوق السليم والخلق الكريم والفكر القويم والقلب الرحيم.
- **فعل الخير**: فلا يقف الخير عند الإطعام والسقي بل يشمل كل ما ينفع الناس ماديا أو أدبيا وما يدفع الضرر عنهم أو يزيل أذى من طريقهم ولو كان مجرد غص بل مجرد كلمة طيبة صدقة فقد وسعت السنة النبوية المحمدية آفاق فعل الخير ولم تدع جانبا واحدا من جوانبه ولا مجالات البر والخدمة للناس إلا دخلت فيه وحضت عليه وأشادت بفضله ورجحانه في ميزان الدين، ولو كانت مجرد بشاشة وجه أو ابتسامة ثغر أو حلاوة لسان، بل جعلت الخدمات الاجتماعية فريضة وزكاة اجتماعية يؤديها كل إنسان وفق طاقته وإمكانياته وبما يقدر عليه، فيصبح الانسان المسلم عضوا حيا في جسم مجتمع يعطيه كما يأخذ منه وينفعه كما ينتفع به[1].
- **التزام النظام والأدب العام**: وهي من معالم السلوك الحضاري الذي وجهت إليه السنة، كآداب الاستئذان والبيع والشراء والزواج والتقاضي وأنواع التعامل المختلفة مع الناس، حيث مراعاة ما تراضوا عليه من عقود أو شروط كي تنتظم أمورهم وتستقر معاملاتهم، بالاضافة إلى التزام النظافة والتجمل، والتسامح والرحمة، فارتفعت السنة بالحياة وارتفعت

1- يوسف القرضاوي: السنة مصدر للمعرفة والحضارة، م، س، ذ، ص267.

بالإنسان والمجتمع وأدى الرسول الكريم وظيفته التي بعثه الله بها رحمة للعالمين حيث حرص محمد معلم البشرية في اتصاله بالناس على أن تكون الرحمة بجميع أشكالها وصورها إحدى وسائله وأساليبه وكذا العفو والتسامح اللذان كانتا صفتان من صفاته ويوم فتح مكة أحسن مثال على ذلك وهي من أرقى السلوكات الحضارية حيث سأل من حاربوه بوحشية وبذلوا كل ما في طاقاتهم للقضاء على الدعوة: "ما ترون أني فاعل بكم؟" فقالوا وهم يرتعدون: "أخ كريم وابن أخ كريم" فقال صلى الله عليه وسلم "اذهبوا فأنتم الطلقاء" فذهل القوم وتسابقوا إلى الدخول في الاسلام، فالعفو والسماحة اللذان اتصفا بهما كقائم بالاتصال أعطت للدعوة ثقلا آخر وأبرزت سلوكا حضاريا فريدا، هو العفو عند المقدرة الذي قد يؤثر كثيرا في المتلقي ويقنعه بجدارة. القائم بالاتصال وبصحة ما يدعوا إليه كونه القدوة، وخلق الداعي أو القائم بالاتصال يجذب إلى موضوع الدعوة، فلو كان الداعي فحاشاأو صخابا أو يغلب عليه أن يلوم وتقرع عباراته لنفر منه الناس وما استجاب له إلا أهل الحق الصرف الذين لا يهمهم لون الدعوة بقدر ما يهمهم لبها[1].

◆ **حاجة الإنسانية إلى التعرف على حضارة الإسلام:**

حيث تعد من الضروريات اللازمة لتحقيق إنسانية الانسان والتسليم بحتمية الصراع بين الحق والباطل إلى آخر يوم في هذه الحياة الدنيا، كما يتضح من خلال تاريخ الصراع بين المسلمين وغيرهم لذلك فالمسلمون بحاجة إلى استعادة القراءة لتاريخهم حتى يستعدوا لمواجهة الباطل وأهله ويتمكنوا من الخروج من المأزق الحضاري الذي وضعوا فيه اليوم، وللخروج من هذا المأزق شروط تبدأ بالمبادرة بإصلاح كل من التربية والتعليم والبحث العلمي والتقني وإصلاح الاعلام والاقتصاد والإدارة والسياسة والعلاقات

1- أمينة الصاوي: نظرية الاعلام في في الدعوة الاسلاميه، دار مصر للطباعة ، القاهرة، 1985، ص107.

الاجتماعية، مع الإسراع في الأخذ بأسباب التقدم العلمي والتقني للحاق بالعصر ومواجهة المؤامرات التي كان آخرها فاجعة القرن 21 التي جسدت حلقة من سلاسل التآمر حيث كان لاحداث 11 سبتمبر 2001، أهداف عديدة منها محاصرة المد الاسلامي في العالم بصفة عامة وفي العالم الغربي بصفة خاصة والذي لم يكن في الإمكان محاصرته في ظل ما يتشدق به الغرب من شعارات الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان، لذلك كان لابد من فرض قوانين طوارئ تحت شعار اسم مزيف اسمه "محاربة الإرهاب" وهم أصل الإرهاب ودعاته وحمايته عبر التاريخ وعلى مستوى العالم كله، ومن أهدافها أيضا إعطاء الضوء الأخضر للكيان الصهيوني لإنهاء القضية الفلسطينية وإجبار الفلسطينيين للتسليم بحق الصهاينة في أرض فلسطين والمسجد الأقصى ، وتجسد ذلك في الحرب الأخيرة على مليون ونصف المليون مدني في قطاع غزة استعملت فيها كل أنواع الأسلحة المحرمة دوليا لمدى زاد عن 3 أسابيع متواصلة دون توقف، بهمجية لم تعهد البشرية نظيرا لها على مرأى ومسمع من كل العالم بمنظماته الدولية دون أدنى استنكار أو تدخل[1].

ناهيك عن أهداف أخرى كإعطاء المبررات الصورية الكاذبة لأمريكيا وحلفائها لغزو دولتين عضويتين في الأمم المتحدة هما أفغانستان والعراق مخالفين بذلك كل القوانين والأعراف الدولية والقيم والسلوكيات الانسانية والسبب الخفي وراء ذلك معاودة السيطرة على أراضي المسلمين وإثارة الفتن العرقية والمذهبية والطائفية والفكرية والدينية بين أبنائها والقضاء على الصحوة الاسلامية في أرجائها وتحقيق المزيد من تفتيتها إلى دوليات صغيرة يسهل التحكم فيها والسيطرة عليها واستلاب إرادتها ونهب ثرواتها وتغريب أبنائها للهيمنة الأمريكية وحلفائها وللذنب الصهيوني المزروع

1- زغلول النجار: رسالتي إلى الأمة، م، س، ذ، ص486.

في المنطقة العربية، فأي نوع من الحضارة هذه التي يدعيها الغرب اليوم، إنها حضارة مادية خالية من أي روح وقيم وأخلاق، حضارة القوة حيث الغاية تبرر الوسيلة[1].

وهذا السؤال الذي يطرح نفسه، أين قيمة الاتصال العمومي ودوره الانساني الرامي إلى المصلحة العامة أم هي مجرد نظريات؟ فإذا كانت أخطر آفة على الانسانية جمعاء تهدد البشرية دون أي رادع فما جدوى النظريات إذا لم تستطع تفعيلها في مكافحة هذا العنف وهذه الحروب والآفات المسلطة على الشعوب الضعيفة؟إنه الصراع الأزلي بين الحق والباطل ، فالحق الذي يرمي إليه أي اتصال يهدف للمصلحة العامة لا ينتصر لكونه مجرد حق بل ينتصر بالعمل والجهد والبذل بالكلمة الطيبة والحجة البالغة المنطق السوي حتى يتحقق قيامه في الأرض أمرا واقعا والحق الوحيد الموجود بين أيدي الناس اليوم هو الاسلام العظيم ، ذلك الدين القيم الذي علمه ربنا تعالى لأبينا آدم لحظة خلقه ثم أوحى به لـ 124 ألف نبي وجدده في 300 وبضع عشر رسالة سماوية حتى أكمله وأتمه في الرسالة الخاتمة التي بعث بها النبي والرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك تعهد بحفظه حفظا كاملا في نفس لغة وحيها على مدى 14 قرنا الماضية تحقيقا للوعد الذي قطعه ربنا ، فهو دين تكامل في القرآن وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين وهو باق بمشيئة الله لا يخشى على أصوله من ضياع أو تحريف أو تبديل أو تغيير كما حدث للرسالات السماوية السابقة التي وكل حفظها لأصحابها فضيعوها واشتروا بأصولها ثمنا قليلا وأضلوا وأفسدوا في الأرض فسادا كبيرا[2].

1- المرجع السابق، ص487.

2- زغلول النجار، رسالتي إلى الأمة، م، س، ذ، ص 487.

وقد أكد المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم أنه انطلاقا من الإيمان بالأخوة الانسانية فإن هذه الأخوة تحتم علينا أن نقدم ما لدينا من كنوز الاسلام العظيم إلى غيرنا من الناس أفراد أو جماعات، ومن صميم الواقع نرى أن الاسلام والحق الذي يدعو إليه ما عرض على عاقل باللغة التي يفهمها ورفضه أبدا والدليل على ذلك تلك القطاعات الكبيرة من مختلف الأجناس والأعراق واللغات والأعمار التي تتسارع في الإقبال على الاسلام هو أسرع الأديان انتشارا في عالم اليوم، فلو لم يكن يحمل في طياته أسس النهضة والحضارة والرقي لما شن عليه الأعداء كل هذه الحروب والمؤامرات فأي دين هذا الذي يتصدى لكل هذه المؤامرات ويصمد إن لم يكن الله تعالى يحفظه لأنه الحق ورسوله معلم البشرية الحق ودعوته حق، حري بالمسلمين أن يهتموا بها من أجل التغيير وإعادة البناء وفق المنهج المحمدي الراقي والحضاري. فلقد كان للإسلام دوره في إقامة إحدى أعظم الحضارات الإنسانية ومما لا شك فيه أنه احتفظ بإمضائه الذي صيغت به الحضارة الإسلامية كدرة فريدة في التاريخ، ولكن المسلم هو الذي فقد استخدامه الاجتماعي فلم يعد يتفاعل في مجتمعه بحقيقة إسلامه، فظهر التناقض بين الإسلام كحقيقة وبين واقع المسلمين فينتهز أعداء الإسلام في الغرب هذا الضعف في المسلمين وتخلفهم بإرجاع ذلك إلى الإسلام ذاته، إنه عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به مما أدى أيضا إلى سوء فهم الإسلام في الغرب فيساء إليه ويهاجم ويرمى بكل النقائص بل ينظر له معدو بديل بعد انهيار الشيوعية، وإذا كان المسلمون مستعدون لتحمل مسؤولياتهم الحضارية فالأمر يقتضي تحديد الأهداف ووضع البرامج العلمية والعملية واتخاذ الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه

الأهداف بفهم عقلية الآخر والتعامل معها من هذا المنطلق لأن التعارف هو الخطوة الأولى لفهم المتبادل والاحترام المتبادل وتقديم صورة مشرقة عن الإسلام بتقديم النموذج الإسلامي الحي المجسد لتعاليم الإسلام عملا لا قولا فقط وجوهرا لا شكلا فحسب، فالإسلام ليس مجرد مظاهر بل عقيدة تملأ النفس حبا للجميع، كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم دعى اليه[1].

1- محمود حمدي زقزوق.هموم الامة الاسلامية.ط4.دار الرشاد.القاهرة.2008.ص206

الفصل الخامس

علاقة المنهج المحمدي في التغيير والبناء بأسس ومنهج الاتصال العمومي

لقد سبق وأن ذكرنا أن الغاية السامية للاتصال العمومي كاستراتيجية هي الارتقاء بالانسان إلى المدنية وسلوكات أكثر حضارة، ومن الأمور الأساسية التي لا بد من التنبه لها والتذكير بها أن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في البناء والتغيير الحضاري هو منهج التدرج أو منهج اللبنة وتحضير المحل والأخذ بيد الناس إلى تحقيق المقاصد الاسلامية وتقويم سلوكهم بشرع الله شيئا فشيئا، حتى الوصول بهم إلى درجة الاكتمال والكمال في بناء المجتمع الأنموذج/ ولم يقتصر هذا المنهج في مرحلة النبوة الخاتمة، وإنما هو منهج النبوة في التاريخ الانساني، بل في البناء النبوي الممتد مع رحلة الانسان على الأرض وما قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة :03) إلا دليل قاطع على اكتمال البناء الذي يعتبر النبوة الخاتمة تسديدا وتصويبا لنقصه حتى بلغ الكمال، فالخطاب من كل الوجوه خطاب للبشرية جميعا ولأبناء الأديان السابقة إلى الاسلام الشامل ذي العمق والبعد التاريخي والمستقبلي معا فالاسلام الذي نزل على محمد ليس مقطوعا عن الماضي ولا مبتورا من سياقه وإنما استوعب الماضي في بناء الحاضر وأحسن بناء الحاضر في ضوء عطاء النبوة التاريخي ليصبح الاسلام بناء المستقبل الخالد ومنهجه الدائم الذي اكتمل على يد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصبح في مأمن من النقص، فدعوته ومنهجه في التغيير والبناء استغرق ثلاثة وعشرين عاما أي الزمن المطلوب لبناء جيل كامل على رأي علماء الاجتماع، بدءا من قوله تعالى:﴿ اقْرَأْ ﴾ وليس معناها تعلم الأبجدية فقط كمفتاح للعلم ووسيلة للتغيير والبناء الحضاري وإنما أيضا أبجدية إسلامية ذات منهجية خاصة بها[1].

1- عمر عبيد حسنة: من فقه التغيير: م، س، ذ، ص41.

فمن المفارقة أن يكون أصحاب الرسالة الحضارية الخالدة في آخر الركب بسبب غرقهم في التخلف والآفات وعلى رأس هذه الآفات العنف الذي هز استقرار معظم المجتمعات الاسلامية وأشر من ذلك باسم الدين الاسلامي البريء منهم، فمن المؤسف أن تتركز جل الكتابات والخطب والأحاديث الإعلامية وكل الفعاليات حول إدانة الظاهرة ومختلف الآفات المسببة لها أو المنجرة عنها في حين أن هناك منهج وحلول تتطلب معرفة الدوافع والأسباب و تشخيصها ومحاولة علاجها وليس ثمة علاج لمختلف الآفات خير من العلاج الوقائي أولا الذي حثّ الاسلام عليه بتعميق التربية في المجتمع وتحديد المسؤوليات بالنوعية والاتصال والتربية الاسلامية الصحيحة التي تجعل الفرد صالحا في المجتمع وهي تكليف من الله عز وجل في نفس الوقت. ولذلك على كل مكلف أداء دوره على أكمل وجه، بما يرضي الله ورسوله وبما يجعل المجتمع منسجما ومتوافقا خالي من الآفات.

فمايخضع له البشر من قوانين وضعوها بأنفسهم لينظموا العلاقات فيما بينهم في المجتمع ويحققوا الاستقرار فيه جعلت أفراداً مشرعين وآخرون مشرع لهم، لذلك نجد البعض من هؤلاء المشرعين لهم لا يتنازلون عن حريتهم وأفكارهم لأفراد (إنسان) مثلهم لأنهم يعتقدون أنهم أقدر على صوغ ما يناسبهم في حياتهم وهذا ما يفسر تبدل الأفكار من جيل إلى جيل ورفض الأجيال الجديدة لأفكار الأجيال السابقة، بل حتى ضمن الجيل الواحد قد يوجد رفض لأفكار بعضهم البعض، وهذا ما يجعل المنهج النبوي المستمد من دين الاسلام منهجا حضاريا صالحا لكل زمان ومكان وعبر كل الأجيال، فليس هناك علاقة أسمى من علاقة الفرد بخالقه الذي وضع له تشريعا ومنهجا يحقق له السعادة الحقيقية وينظم علاقات الأفراد في المجتمع دون مراعاة المصلحة الشخصية الضيقة بل مراعاة لمصلحة الجميع وهي في نفس الوقت عبادة فالالتزام بشريعة الله التي تعتبر قانونا خارجاً عن قدرات ومحيط الانسان ومكمن السعادة والذي رضيه الله لعباده هو سر الرضا والتسليم به على مر

العصور فهوالتزام غير قسري ناتج عن قناعة تامة، لذلك فإن خضوع المجتمع للتعاليم الإلهية التي تنظم الحياة للأفراد بما فيه صلاحهم وسعادتهم هي العلاج الواقي من أي آفة أو انحراف أو عنف بل لا يوجد دافع للانحراف لأن الفرد لا يصطدم مع آراء شخصية وأفكار اجتماعية تحول دون تحقيق رغباته المتفقة مع هذا التشريع الذي بسطه معلم البشرية وجعله يسري لكل راغب في حياة صحيحة وسعيدة في الدنيا والآخرة عبر سنته وأحاديثه التي كانت نموذجا للاتصال الهادف نحو المصلحة العامة.[1] والذي يصطلح عليه اليوم بالاتصال العمومي فكان حقا نموذجا يحتذى به لكل قائم بالاتصال حريص على إرساء الحضارة في مجتمعه والدعوة إليها، حيث كانت لشخصه الكريم وما يتميز به من صفات وأخلاق وعلم خير معلم ومربي للبشرية جمعاء عبر كل العصور.

محمد المعلم، المربي، الداعية والقائم بالاتصال:

لقد أثبت الواقع والقرآن الكريم والأحاديث النبوية أن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم معلم للناس والبشرية جميعا على أميته وصحراوية بيئته، ففي حديث نبوي واحد له قد يحتوي على أكثر من وجه تعليمي وأسلوب إرشادي وتربوي صالح للاستشهاد به في أكثر من جانب وليس قاصراً على جانب واحد فقط بالاضافة إلى كونه أحسن قدوة في الأقوال والأفعال وجميع الشؤون والأحوال فقد أثبتت الدراسات والتاريخ أن محمداً رسول الله كان معلما ولا زال والدليل على ذلك ما كانت عليه البشرية وما آلت إليه بعد رسالته، وهي أعظم دليل على عظم هذا المعلم المربي الكبير الذي تتقاصرأمامه أسماء كل الكبار الذين عرفوا وذكروا في عالم التعليم والتربية وتاريخها.

1- أسعد أحمد جمعة، دراسات في علم الاجتماع الاسلامي ، م، س، ذ، ص81.

فأي معلم من المربين تخرج على يديه عدد أوفر وأهدى من هذا الرسول الكريم الذي تخرج به هؤلاء الأصحاب والأتباع، كيف كانوا قبله وكيف صاروا بعده، كل واحد من هؤلاء الأصحاب دليل ناطق على عظم هذا المربي الفريد الأوحد.

هذا المعلم للخير على أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب قد منحه الله تعالى العلم الذي لا يدانيه أحد من البشر وأتم عليه النعمة بما أتاه من شخصية فذة جامعة فريدة، فنهض ينشر العلم في الناس ويذيعه بينهم كمعلم أول للخير في الدنيا بجمال بيانه وفصاحة لسانه ونصاعة منطقه وحلاوة أسلوبه ورحابة صدره ورقة قلبه وحكيم شدته وسمو ذكائه وبالغ عنايته وكثير رفقه بالناس حتى قال صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت معلما"[1].

لقد جسدت حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (53 قبل الهجرة إلى 11 هـ الموافق لـ570 م إلى 632 م) المثالية الاسلامية قديما وحديثا حيث تكشف سيرته ما غمض من تدبير الله شؤون العالم وتصور التسليم الكامل لله والذي يجب على كل إنسان السعي لتحقيقه، لقد جاهد المسلمون منذ البداية خلال حياة الرسول محمد لفهم حياته وتطبيقها على حياتهم، وبعد أكثر من 100 سنة على وفاته أخذ الاسلام في الانتشار في أقاليم جديدة واكتساب مسلمين جدد وبدأ علماء المسلمين في جمع أقوال النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتقريراته أي الحديث والسنة التي تبين أساس الشريعة الاسلامية وتعلم المسلمون طريقة حياة رسولهم وكيف مارس أدق تفاصيل حياته على الأرض على أمل أن يصلوا مثله إلى التسليم الكامل لله.

إن في شخصية محمد صلى الله عليه وسلم النموذجية دروساً مهمة ليس فقط للمسلمين ولكن أيضا للغربيين حيث كانت حياته جهادا وهذه الكلمة لا تعني الحرب وإنما الكفاح، حيث كدح محمد صلى الله عليه وسلم بكل معاني

1- عبد الفتاح أبو غدة، : الرسول المعلم،واساليبه في التعليم.مكتب المطبوعات الاسلامية .بيروت.2003،ص 8 .

الكلمة ليجلب السلام على العرب الذين مزقتهم الحروب، كانت حياته حملة لا تكل ضد الطمع والظلم والتكبر، أدرك العرب في مفترق الطرق، واتضح أن طريقة التفكير السابقة لم تعد تنفع، لذلك بذل نفسه في جهاد مبتكر لينشئ حلا جديدا تماما، فلقد دخلنا تقويما تاريخيا جديدا في 11 سبتمبر 2001 ولا بد أن الكفاح بمستوى مماثل لتطوير وجهة نظر مختلفة، فالأحداث التي جرت في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع بها الكثير الذي نتعلم منه لمواجهة الأحداث التي تجري في وقتنا الحاضر وأهميتها التأسيسية، أكثر من التعليقات الصوتية للسياسيين.

لم يحاول محمد أن يفرض معتقداً دينيا تقليديا فلم يكن مسرف في الاهتمام بما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) لكن اهتمامه الأكبر تغيير القلوب والعقول[1].

كان يطلق على الروح السائدة في ذلك الوقت الجاهلية، عادة ما فهم المسلمون مقصوده بأنه زمن الجهل وهي فترة ما قبل الاسلام في شبه الجزيرة العربية، ولكن كما أظهرت أبحاث حديثة محمد صلى الله عليه وسلم لم يستخدم لفظ الجاهلية ليشير إلى زمن تاريخي وإنما إلى حالة من العقل التي تسبب العنف والإرهاب في القرن السابع في الجزيرة العربية، فالجاهلية تعيش اليوم في الغرب كما تعيش في العالم الاسلامي.

من المفارقات أن أصبح محمد صلى الله عليه وسلم شخصية مجاوزة للزمان لأنه كان مرتبطا جذريا بزمانه، لا يمكننا فهم انجازاته إذا لم نقدر ما كان يعمل ضده، وحتى يمكننا فهم ما يمكن أن يقدمه لمآزقنا وآفاتنا اليوم لا بد أن نمعن النظر في طريقة ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التغيير والبناء وهو أمر ممكن، لأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان بشرا استطاع أن يقضي على مختلف الآفات بغض النظر عن معجزاته[2].

1- كارين أمسترونج، محمد نبي لزماننا، ترجمة فاتن الزلباني، ط1، مكتبة الشروق، القاهرة 2008، ص25.

2- كارين أمسترونج: محمد نبي لزماننا، م، س، ذ، ص25.

يعتبر محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالاسلام أكمل البشر في نظر المسلمين وفي الواقع فهو في نظرهم أشرف المخلوقات وقد أسبغ الباري جل وعلا عليه جميع الفضائل وزينه بأقصى درجة من الكمال يمكن للانسان أن يصلها، وكما ورد في القرآن الكريم فإن النبي لم يكتسب النبوة بجهده الذاتي ولكنه اختير لها من لدنه تعالى، إضافة إلى ذلك فإن جميع الفضائل تحققت لديه بصورة تامة ومن هنا فهو يعتبر لدى المسلمين المثال الأكمل الجدير بأن يقتدى به في حياة البشر، وهو الانسان الكامل ويشير إليه القرآن الكريم باعتباره أسوة حسنة جديرة بأن يقتدى بها في قوله تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب 21)

ونتيجة لذلك فإن حياة النبي وخاصة في السنوات الثلاثة والعشرين التي شهدت رسالته النبوية كانت على الدوام في نظر المسلمين النموذج الذي يحتذى في حياة البشر، وحياته منذ بدايتها لنهايتها درست مرة بعد مرة من قبل جميع أجيال المسلمين على مر العصور، منذ عصره إلى عصرنا والسبب ببساطة أن جميع المسلمين سعوا ليستمدوا من تلك الحياة الهداية والارشاد لحياتهم ويستلهموا منها مفاتيح لفهم مشيئة الله ومعنى كلامه الذي أوحى به كاملا من خلال رسوله محمد صلى الله عليه وسلم عبر رسالة الاسلام، وهو مع كل هذا بشر متميز على كل البشر لكونه سيد ومعلم البشرية [1].

فيقول الروائي الروسي والمفكر التربوي المعلم المهموم بقضايا التربية والتعليم نيقولا يفنتشي تولتسوي الكاتب العالمي والمصلح الاجتماعي الروسي المشهور، يقول عن محمد المعلم صلى الله عليه وسلم، أنه كان من كبار المعلمين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء وفتح لها طريق التقدم والرقي

1- السيد حسين نصر: دليل الشاب المسلم في العالم الحديث، م، س، ذ، ص27.

وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أو قوة وحكمة وعلماء ورجل مثله جدير بالإجلال والاحترام[1].

وقد اختار تولتسوي من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما أحب وقال بأن ما دفعه إلى هذه الترجمة هو تعامل جمعيات المبشرين في روسيا على الدين الاسلامي ونسبتها إلى صاحب الشريعة الاسلامية أمورا تتنافى مع الحقيقة، فقدم تولتسوي في كتابه قضايا كثيرة عن الاسلام والمسلمين وضرب أمثلة من أقوال المستشرقين قبل أن يصل إلى الأحاديث الشريفة التي ترجمها، فلخص في دراسته الاصول البارزة للدين الاسلامي وعرض حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتقشفه وصبره ومعاناته، فنظر الى شخصيته نظرة كلها احترام و تقدير و اكبر دليل على ذلك اصداره لكتاب باللغة الروسية بعنوان حكم النبي محمد عام 1909 قبل وفاته بعام واحد للدفاع عن الاسلام ونبيه وترجم الكتاب عام 1912[2].

كما اعتبره برناردوشو أكبر فلاسفة الانجليز في العصر الحديث قائدا ناجحا إذ قال، "إني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم في العالم كله لتم النجاح في حكمه و لقاده إلى الخير وحل مشكلاته على وجه يكفل السلام والطمأنينة والسعادة المنشودة".

وكل كتابة موضوعية هادفة عن حياة محمد تعتبر دعوة إلى التحلي بأخلاقه والتمسك بشريعته والسير على منهاجه[3].

ويواصل الفيلسوف شهادته بقوله "أن رسالة محمد ذات اعتبار سامي بسبب حيويتها، فهي الرسالة الوحيدة التي تحمل دينا حائزا على أهلية العيش لأطوار الحياة المختلفة بحيث يكون جذابا لكل زمان ومكان، ومحمد جدير بأن يدعى منقذ الانسانية وفي القرون القادمة قد تذهب أوروبا إلى أبعد من ذلك فتعترف بفائدة هذه

1- تولتسوي، حكم النبي محمد،تقديم محمد النيجري.مكتبة النافذة، القاهرة 2008، ص14.

2- المرجع السابق ص14.

3-محمد الصالح الصديق، محمد في نظر المفكرين الغربيين، د.م.ج ، الجزائر ، 2005، ص16.

العقيدة في حل مشاكلها، ففي الوقت الحاضر دخل أبناء من قومي في أوروبا في دين محمد حتى ليمكن أن يقال أن تحول أوروبا إلى الاسلام قد بدأ"[1].

كما يقول الدكتور ماركوس أستاذ الفلسفة الاسلامية بلندن أن النبي العظيم محمد لم يكن يرمي إلا للمصلحة العامة ولم يكن رائده الا صيانة الدولة الاسلامية ولم يكن يضع نصب عينيه إلا هناء البشرية جمعاء، ولهذه الاسباب وأشباهها ألقى أتباعه مقاليد أمورهم إليه وسلموه القيادة وخضعوا لمشيئته وأطاعوه حتى فيما كان يبدو لهم غريبا وغير مألوف، كتلك المعاهدة الودية التي أبرمها مع قريش فلم يدركوا مراميها ولم تفهم مسبقا، لكن فيما بعد تجلت الحقيقة بأروع مظاهرها، فكانت المعاهدة أجمل ظفر لمحمد وأبدع انتصار للاسلام وأسمى فوز سياسي في التاريخ وانفرد به هذا النبي العظيم"[2].

بشرية الرسول محمد:

من الأمور الأساسية التي قد يكون من المفيد التوقف عندها في تحديد بعض ملامح منهج الرسالة الخاتمة في التغيير والبناء الحضاري قضية بشرية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وخضوعه في حمله وولادته ورضاعه وشبابه وهرمه ومرضه ووفاته عليه الصلاة والسلام للسنن الفطرية والقوانين الطبيعية التي يخضع لها سائر البشر فلقد كان حمله طبيعيا، وولادته طبيعية وعانى من فقدان الأب والأم ككثير من البشر، وخضع لكفالة الأقارب، وبلغ سن الشباب وعمل في الأعمال التي كان يمارسها قومه كالرعي والتجارة وتزوج وأنجب وفقد الإبن والبنت والصديق والزوجة وتعرض للأذى والمرض وللنصر والهزيمة وحل به جراحات الحرب، وما يمكن أن يحل بكل إنسان وأعلن في أكثر من مرة أنه بشر من البشر وأن النبوة لم تخرجه عن بشريته وإنما امتاز عن البشر بالوحي والعصمة حتى يتأهل لأن

1- المرجع السابق ص53.

2- محمد الصالح الصديق.محمد في نظر المفكرين الغربيين .م.س.ذ.ص67.

يكون قدوة للبشر ويربى على عين الوحي.قال تعالى على لسان نبيه مقررا حقيقة بشريته :﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ (الكهف 110)فهو يخطئ باجتهاده ويصيب ، فإذا أصاب أقره الوحي وشواهد ذلك كثيرة في الكتاب والسنة ليعلم أصحابه الاجتهاد والرأي ويدربهم عليه ليقرر أن لا عصمة في الاجتهاد والعصمة مقتصرة على تبليغ الشريعة ويبقى الفرق بين اجتهاد الرسول واجتهاد غيره أن اجتهاده صلى الله عليه وسلم مسدد بالوحي ومؤيد به وأنه لهذا وحده الأنموذج والقدوة البشرية، فمرجعيته الوحي وتأييده وتسديده، فبشرية الرسول يعطي للمنهج النبوي كل الخصائص والصفات التي تؤهله لموقع القدوة، فإذا تجاوزنا البشرية، كيف يمكن أن يشكل محمد أنموذجا وقدوة وأسوة للبشر ويكون منهجه سنة في التغيير، بل هو ممن يحس إحساس البشر ويطيق طاقاتهم ويعيش ظروفهم ويعاني معاناتهم[1].

إنه قدوة اجتمعت في شخصه كمالات الأنبياء جميعا، كما اجتمعت لمنهجه رسالات وتجارب الأنبياء جميعا، فهو بذلك نبي الإنسانية ومنهجه شرعة الناس جميعا.

إن أول ما تناول القرآن في صدد بحثه في مسألة النبوة هو بشرية الرسول، اذ قام بتمحيصها في كل الدعوات السابقة بدءا من نوح ثم هود، فموسى وهارون، أما المسيحيون فلم يستطيعوا تقبل فكرة أن يظل الانسان الكامل إنسانا ومن ثم استنتجوا من كلام عيسى فكرة الإله الانسان واعتبروه إبنا لله وقاموا بتأهيله، وقد ركز القرآن عنايته على قمع هذا الخطأ وبين ببراهين وحجج أن البشر هم الذين يصلحون لهداية البشر، لأن المقصود من بعث الرسول ليس إنزال التعليم فحسب بل تطبيقه في واقع الحياة وتقديم قدوة يقتدي بها ولو أرسل ملك أو أي كائن يفوق البشر خاليا من خصائص البشر ونقائصهم لقال الانسان كيف أستطيع

1- عمر عبيد حسنة، من فقه التغيير، م، س، ذ، ص44.

اتباعه والعمل بعمله في حين أنه يخلو من الأهواء والرغبات ولم يفطر على ما فطرت عليه من القوى التي تدفع الانسان إلى اقتراف الذنوب[1].

يصرح القرآن أن جميع الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إلى الناس كانوا بشرا كمحمد يأكلون ويشربون ويمشون كسائر الناس، وأمر الرسول بعد ذلك أن يعلن بكل قوة بأنه بشر حتى لا يخطئ الناس من بعده ويطلقون عليه أوصاف الألوهية كما حدث مع الذين سبقوه من الأنبياء والرسل في شؤون الجزاء والعقاب والحساب يوم القيامة، وما عليه إلا أن يبلغ الناس رسالات الله ويهدي الناس إلى طريق مستقيم، أما المحاسبة والجزاء والعقاب ترجع للذي بعثه بالحق. وأوضح القرآن أيضا أن تصريف قلوب الناس ونفخ الايمان في قلوب الذين لا يميلون إلى قبول الحق ليس بمقدور النبي وهو هاد، بمعنى أن يقوم حق القيام بواجب النصيحة والتذكير وإرشاد الناس إلى الحق.

أراد الله أن تكون رسالة الاسلام دينا للبشر بما لهم من صفات متناقضة ونزعات مختلفة منها القوة والضعف والصحة والمرض واللذة والألم والانشراح والضيق والسعادة والشقاء فبعث رسولا من البشرتمربه هذه المواقف ويعرف هذه المشاعر، فقد لخص بوجوده كل الوجود البشري في كل جوانبه ومواقفه[2].

لقد أوضح الرسول أنه لا يملك سلطانا على إيمان المسلمين وإن كان مسؤولا عن توضيح حدود وأبعاد هذا الايمان، فهو رسول لا إله ونبي لا رب، بل هو بشر مثلهم وهم غير ملزمين بتنفيذ أوامره إلا في الأحوال التي تكون فيها هذه الأوامر صادرة عن وحي إلهي صريح هو وحده الذي يقيد المؤمنين فاءن كانت أقواله صادرة عن نفسه لا عن وحي صريح فالمسلمون في حل من اتباعه، فليست طاعة الرسول وتبعيته الكاملة مصدرهما الجانب الشخصي للرسول، مع أن هذه الطاعة مدار الايمان وملاك الدين يتوقف اهتداء الانسان عليها بلا ريب.

1- صلاح سالم، محمد نبي الانسانية ، ط1، مكتبة الشروق، القاهرة، 2008، ص251.

2- المرجع السابق. ص252.

فما أرسل الله رسوله إلى الناس ليأمرهم بطاعته وعبادته من دون الله، بل ليجعلهم يعبدون الله وحده ويطيعون أحكامه، وقد بلغ من نجاح محمد في تأكيد إنسانيته ما هو مشهود في رسوخها في نفوس أصحابه الذين نقلوها من بعده إلى تابعيه إلى يوم الدين[1].

شمائله- آدابه وأخلاقه:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا بالطويل البائن ولا بالقصير، ولا بالأبيض ولا بالأسمر، لا جعد الشعر ولا مسترسله، بعث على رأس أربعين سنة أقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين، فتوفاه الله على رأس ستين سنة.

كان أحب الثياب إليه الحبرة وهي برد من برود اليمن من قطن أو كتان مخطوط بخطوط حمراء وسميت حبرة لأنها تحبر أي تزين وتحسن ، وكانت أشرف الثياب في اليمن.

أما عن خاتمه فكان نقشه في ثلاث أسطر (محمد) سطر (رسول) سطر و(الله) سطر، فبعدما كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي قيل أنهم لا يقبلون كتابا إلا بخاتم، فصاغ خاتما حلقته فضة نقش فيه محمد رسول الله[2].

وكان لتعبيره صلى الله عليه وسلم نمط فريد جمع بين ملاحة العبارة وتآلف كلماتها وتجاذب أصواتها وشمول معناها وعمقه ودقته بحيث تترك من آثارها في نفس السامع حقائق مستقرة مريحة، توقظ المشاعر وتمتزج بالفطرة وتتغلغل في أعماقها، لذلك تيسر لعلماء الاسلام أن يميزوا صحيح الحديث بمراجعة النص والعبارة وطرق علمية للتثبت من صحة الحديث وأمانة الراوي.

كان لحديثه صلى الله عليه وسلم نمطا فريدا اختص به عليه السلام الجمع بين الإيجاز في اللفظ والوضوح المفعم بالإحساس والجمال في التعبير والحلاوة في

1- المرجع السابق، ص255.

2- عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترميذي: الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية، ط1، مكتبة مصطفى الباز، الرياض، 2003، ص30.

الإيقاع، لذلك برغم عدم التدوين إبان حياته، حفظ الناس كل ما قال وهذه ظاهرة لم تحدث في تاريخ البشرية، فلم يحدث أبدا أن حفظ جيل كامل معاصر لرجل كل كلمة نطقت بها شفتاه، سمعت منه أو نقلت عنه وكان الحفاظ عليها صون الحفاظ على الحياة إيثارا وحبا وتأثرا وحنينا وإقبالا وتلهفا لحكمة البالغة والمعنى الجليل.

فمن آدابه أنه كان غض الطرف لا يتبع نظره الأشياء وكان جل نظره الملاحظة، فإذا مشى مع أصحابه يسوقهم أمامه فلا يتقدمهم، ويبدأ من لقيه بالسلام، كلامه فصل لا فضول ولا تقصير على قدر الحاجة، فلا زيادة ولا نقصان وكان طويل السكون، دائم الفكر ليست له راحة، يعظم النعمة لا يذم منها شيئا ولا يمدحه، لا تغضبه الدنيا وما كان لها فإذا تعرض للحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه، إذا تكلم تكلم ثلاثا، وإذا سلم سلم ثلاثا وإذا استأذن استأذن ثلاثا ليعقل عنه ويفهم مراده نظرا إلى ما وجب عليه من البلاغ، يشارك أصحابه في مباح حديثهم، كان مثلا أعلى في الأخلاق، فعرف عنه حتى قبل البعثة ذلك الكرم المحمدي، الحلم العفو الشجاعة، الصبر العدل، الزهد، الحياء، التواضع، اختياره العبودية كل الملوكية، وأكبر مظهر من مظاهر التواضع المحمدي الرحمة والوفاء إلى جانب الفصاحة المحمدية التي تميز بها عن طريق براعة وايجاز ونصاعة اللفظ وجزالة القول وصحة المعاني وقلة التكلف[1].

فالفصاحة صفة تجتمع للكلام والهيئة النطق بالكلام ولموضوع الكلام، فيكون هذا الكلام فصيحا ففصاحة محمد تكاملت له في كلامه وفي هيئة نطقه وفي موضوع كلامه، فكان أعرب العرب واتفقت الروايات على تنزيه نطقه من عيوب الحروف ومخارجها وقدرته على ايقاعها في أحسن مواقعها، فهو صاحب كلام سليم في منطق سليم، كما أنه أوتي جوامع الكلم، فرزق من فصاحة الموضوع كما رزق من فصاحة اللسان وفصاحة الكلام.إن أوقع إبلاغ في كلام

1- أبو بكر الجزائري: هذا الحبيب محمد يا محب، ط1، دار الفكر، بيروت، 1995، ص339.

النبي هو اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار بل اجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات قد يبسطها الشارحون في مجلدات[1].

بالاضافة إلى العدل والأمانة ووفور العقل والذكاء وقوة الحواس وفصاحة اللسان واعتدال الحركات وحسن الشمائل وبراعة الاتصال، لقد كان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره قوم بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة، مع عجيب شمائله و بديع سيره، فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق أو ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب.أما بلاغته وبراعته في الاتصال بالجماهير ومقدرته على إقناعهم فقد كانت مثلا يحتذى به في هذه النواحي أيضا، فقد وصفت بلاغته بأنها، الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ونزه عند التكلف، فقد كان لا يسرد الكلام وإنما يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه[2].

إلى جانب النية والخبرة والثقة، فإذا كانت نظريات الإعلام الحديثة تؤكد على ضرورة وجود الثقه كاملة بين المصدر والمتلقي حيث وصل الباحثون في جامعات عالمية، إلى نتائج تشير إلى أن هناك مكونات تصديق المصدر تتلخص في ثلاث أشياء هي النية والخبرة والثقة فإن هذه الصفات كانت من أسس الدعوة المحمدية، قبل هذا بأربعة عشر قرنا من الزمان، فقد كان صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم، حبب الناس إليه وجعلهم يثقون به ثقة كاملة، فتآلفوا معه وأقبلوا على دعوته لما اتصف به من حلم وصبر وصفح وعفو، وقد كانت هذه الشمائل والصفات من الأسباب التي جمعت القلوب على حبه والاستجابة لدعوته فكان يفيدهم ويؤلف بين قلوبهم ويعطي كل ذي حق حقه، يتألف مع أصحابه ومتواضع معهم لا يذم أحدا وإذا اضطر فيتكلم بالكناية، كان واعي الفكر، مرهف المشاعر، واقعي النظرة

1- عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، مكتبة رحاب، الجزائر، 1990، ص21.

2 -أمينة الصاوي، نظرية الاعلام في الدعوة الاسلامية، م،س، ذ، ص100.

مستقيم السلوك يشيع بين أفراده الإحساس بالمسؤولية والشعور بالتساوي الذي يلزمهم بالحرية[1].

فإذا كان الإعلام يقبل عليه الناس في عصرنا لأنه يعطيهم من الأفكار والمعلومات ما يستخدمونه في رفع مستوى معارفهم فإن الاعلام والاتصال الذي مارسه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أكد على ذلك وأدى إلى دعم اتجاهاتهم النفسية وتعزيز قيمهم ومعتقداتهم[2].

إن الفصاحة والثقة التي تحلى بها محمد حببت إليه كل من رآه بل جمعت إليه قلوب من عاشروه فأحبه الضعفاء مثل زيد بن حارثة الذي فقد أمه وأسرته فيظهر أبوه بعد غياب طويل فيؤثر البقاء مع محمد، ومثل خادم خديجة ميسرة الذي يقدمه ليبشر سيدته بالربح والتوفيق في التجارة، كما أحبه الأقوياء وجمع على محبته أناس بينهم من التفاوت في المزاج والخصال ما بين أبي بكر وعمر وعثمان وخالد وأبي عبيدة وهم عظماء الرجال[3].

فقد يكون الرجل وسيما محبوبا ولا يكون له من ثقة الناس وائتمانهم نصيب كبير، فالرجل المحبوب غير الرجل الموثوق به، لكن الخصلتين اتفقتا وتلازمتا في شخصه، فقد كان جامعا للمحبة والثقة مشهورا بصدقه وأمانته كاشتهاره بوسامته وحنانه وقد شهد له بذلك حتى أعداؤه ومخالفوه.لقد كان صلى الله عليه دائم البشر، سهل الخلق، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب، أكثر الناس تبسما وأبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا، يختار أيسر الأمرين، ما لم يكن إثما، فإذا كان إثما كان أبعد الناس عنه، لم ينتقم لنفسه قط وإنما كان ينتقم لله إذا انتهكت محارمه ، كان أجود الناس وأكرمهم وأشجعهم وأجلدهم وأصبرهم على الأذى وأوقرهم وأشدهم حياء، إذا كره شيئا عرف في وجهه، لم يكن يثبت نظره في وجه أحد ولا يواجه أحدا بمكروه كان اعدل الناس وأعفهم وأصدقهم لهجة

1- المرجع السابق.ص204.

2- امينة الصاوي.نظرية الاعلام في الدعوة الاسلامية.م. س. ذ .ص 204.

3- عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، م، س، ذ، ص22.

وأعظمهم أمانة سمي بالأمين قبل النبوة، كان اشد الناس تواضعا وأبعدهم عن الكبر وأوفاهم بالعهود وأوصلهم للرحم وأعظمهم شفقة ورحمة وأحسنهم عشرة وأدب وأبسطهم خلقا وأبعدهم عن الفحش والتفحش واللعن، يشهد الجنائز ويجالس الفقراء والمساكين ويجيب دعوة العبيد ولا يترفع عليهم في مأكل ولا ملبس، يخدم من خدمه لم يعاتب خادمه حتى لم يقل له أف قط ولا يمكن إحاطة أوصافه بالبيان لأنه سيد المرسلين وإمام الأنبياء، والمثقفين وخير الخليقة أجمعين[1]. جدير بأن يكون الأنموذج الأول لأي قائم بالاتصال.

أهمية أحاديثه وأسلوبه العلمي:

لقد كان لكلمات وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس وقع خاص وتأثير وإقناع حتى سموه ساحرا وفي البيان سحر كما جاء في القول المأثور "إن من البيان لسحرا "، هذا الأسلوب هوالمطلوب في العملية الإعلامية، فعدم القدرة على إنكار قوة تأثيره هي التي جعلت المحاربين له يصفونه بالساحر، وهذا اعتراف كبير على أنه كان له تأثير كبير على الناس فالحق سلطان وبرهان وهو الغالب متى عرض عرضا جيدا، وقد يضيع العرض السيئ الحق. لذلك فإن أحاديثه صلى الله عليه وسلم يمكن أن تعرض كنموذج تعليمي تربوي شكلا ومضمونا أي كمنهج ومبادئ لمصلحة الناس والبشرية جميعا، فكل أحاديثه مستندة لخلفية إسلامية أخلاقية تمثل الحق، لذلك عني علماء الأمة بجميع أحاديثه لما لها من دور تعليمي تربوي وحتى إعلامي اتصالي، فقد كان يختار من الأساليب أحسنها وأفضلها وأوقعها في نفس المخاطب وأقربها إلى فهمه وعقله وأشدها تثبيتا للعلم في ذهن المخاطب وأكثرها مساعدة على إيضاحه له، فكان يلون الحديث لأصحابه ألوانا كثيرة، تارة يكون سائلا وتارة مجيبا. وتارة يجيب السائل بقدر سؤاله أو يزيده كما سأل وتارة يضرب المثل كما يريد تعليمه. كما قد يصحب كلامه القسم بالله تعالى، كما يلفت السامع عن سؤاله لحكمة بالغة وقد يستعمل الإشارات أو الرسم

1- صفي الرحمن المباركفوري: روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2002، ص377.

أو التشبيه أو التصريح وقد يسلك سبيل المداعبة ، كما يمهد لما يشاء تعليمه وبيانه تمهيدا لطيفا وأحيانا يسلك سبيل المقايسة بين الأشياء أو يشير إلى عللها لذكر جوابها وأحيانا يسأل أصحابه وهو يعلم ليمتحنهم بذلك أو يسألهم ليرشدهم إلى موضع الجواب كما قد يلقي عليهم العلم قبل السؤال. والحديث النبوي الصحيح هو كل ما نقل إلينا صحيحا من أقواله صلى الله عليه وسلم ، حيث كان لها ولا يزال لها دور إعلامي وتعليمي بل تربوي مما يجعلها مهمة في نشر الدعوة الاسلامية، حيث جاءت في مجملها تأكيدا وتفسيرا للمعاني التي وردت في القرآن الكريم، فكانت ذات قوة هائلة في نشر الدعوة والعمل بالقرآن، بل لقد كان للحديث الشريف أكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الاسلامي، فقد أقبل الناس عليه يتدارسونه إقبالا عظيما وكانت حركة الأمصار العلمية تكاد تدور عليه وكل علماء الصحابة والتابعين كانت شهرتهم العلمية مؤسسة على التفسير والحديث، وعن طريقه انتشرت في العالم الاسلامي أنواع من الثقافة، فقد توسع في قصص الأنبياء التي جاءت في القرآن وتوسع في القصاص وقواعد الأخلاق التي كان لها أكبر الأثر في الناس وبذلك اعتبر أوسع منبع للتشريع في العبادات والمسائل المدنية والجنائية وأوسع مادة للعلم وللثقافة والتربية والإعلام على مر العصور[1].

لذلك كان محط اهتمام الدارسين على مر العصور والقرن الثالث الهجري اتسم بحركة نشيطة في تدوين الحديث النبوي أعطت لنا كتبا عرفت بالصحاح وأعطي لبعضها الآخر قيمة دون بلوغ مرتبة الصحاح كمسند أحمد بن حنبل، واعتبر أهل السنة مع مضي الزمن ستةمن المصنفات في الحديث حجة في موضوعها وهي التي صنفها البخاري ومسلم وأبو داود والترميذي والنسائي وابن ماجة، وقد حظي كتابا البخاري ومسلم على وجه خاص بتقدير عظيم، ويقدم توماس حينبول في كتابه Muslim Tradition تفسيرا واضحا للسمعة الحسنة التي ظفرت بها

1- تيسير محجوب الفتياني، مقومات رجل الاعلام الاسلامي، ط1، دار عمار القاهرة، 1989، ص66

هذه الكتب الستة، ففي القرن الثالث كانت الأحوال ملائمة جدا لجمع الأحاديث، إذا كان لا بد من توافر إجماع معين في جميع المسائل المتعلقة بالعقائد والأفعال[1].

كون الغالبية من علماءالمسلمين رأيا معينا في قيمة أغلب الأحاديث، فأصبح من الممكن البدء عند ذلك في جمع كل ما اتفق على صحته، فهذه القيمة يقع تدعيمها بسلطة الإجماع و اللافت في تعامل المسلمين مع هذه الكتب الستة تلك المنزلة المخصوصة التي أولاها المؤمنون لصحيحي البخاري ومسلم حتى عدت أصح كتب، حيث هذه المنزلة وهذه القداسة لم تتأسس في عصر أصحاب هذه الكتب[2].

فصحيح البخاري مثلا كان يعد في حياة صاحبه مؤلفا من جملة مؤلفات أخرى ولم تسبغ عليه تلك المهابة إلا في القرن الرابع للهجرة عندما رتب مع صحيح مسلم على رؤوس كتب الحديث وقبله السنيون على أنه أصح كتاب بعد القرآن.إن الباحث المعاصر لا يشك في صحة نوايا البخاري ولا في أمانته فقد اجتهد في تمحيص سبعمائة ألف حديث لم يستبق منها إلا ستة آلاف، حيث استبعد مئات الآلاف من الأحاديث بسبب ضعف السند وعليه أجمعت الأمة اليوم على قبول الكتب الصحاح على أنها حديث الرسول الذي نقل إلينا بأسلم الطرق العلمية على أيدي خيار الأمة حيث وقع تثبيتها في كتب في عصر ازدهار الدراسات اللغوية والنضج العلمي، فوثقت نصوص الأحاديث النبوية بعد تمحيص الروايات وجمعها في الكتب المعروفة بالصحاح[3].

فالسنة بصفة عامة والحديث بصفة خاصة بعد القرآن الكريم هو المورد الذي لا ينضب والكنز الذي لا ينفذ، يستمد منه المربي أو الموجه أو الداعية أساليب وطرائق العبادات والمعاملات، لذلك أجمع علماء السلوك ورجال التربية ضرورة التزام

1- محمودحمزة.الحديث النبوي و مكانته في الفكر الاسلامي الحديث.م .س. ذ .ص 248

2- محمد حمزة، الحديث النبوي ومكانته في الفكر الاسلامي الحديث: م،س، ذ، ص 248.

3- المرجع السابق.ص249

القائم بالاتصال أو الداعي أو المربي بالأساليب التربوية الموجودة في الأحاديث الشريفة في فكره وعبادته وسلوكه مع الله ومع نفسه ومع الناس جميعا[1].

❖ **الأساليب العلمية في أحاديث الرسول:**

لقد كان أسلوبه الدعوي صلى الله عليه وسلم تعليميا تربويا تختلف طرائقه حسب الموضوع المطروح وحسب خصائص المتلقي أيضا، فلكل حالة طريقتها، ولكل إنسان ما يناسبه وقد أدرك صلى الله عليه وسلم ذلك في قوله "أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم"، فحتى النساء كان يخصهم ببعض مجالسه ويعلمهن ما يحتاجه من العلم وأحيانا يراعي حال من بحضرته من الأطفال والصغار، فيتنزل إليهم ويعلمهم بما يلاقي في طفولتهم ولهوهم البرئ وهي كلها فنون دعوية تعليمية استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم لتبليغ رسالته، ومن بين أهم هذه الأساليب الدعوية التي استخدمها لهدف التربية والتعليم بالدرجة الأولى:

- **الطريقة التقريرية:** تعتمد على طرح الحقائق والمعلومات بصورة مباشرة وتأكيد المعلومات، فنجده غالبا في المواقف العامة التي يقضيها مع جموع المسلمين كمعلم، مرشد مربي وموجه، فطرح الحقائق الاسلامية بطريقة التقرير لم يكن ملتزما بمكان خاص، ثم أصبحت من أولويات التعليم في فجر الدعوة الاسلامية أن يكون المسجد هو المدرسة الأولى لهذه الدعوة العظيمة ومع ذلك لم يتفرد المسجد باحتضانها، فالقضية ليست قضية مكان وإنما قضية فكرة[2]. وما المكان إلا جو ملائم للفكرة، فالطريقة التقريرية لها وقع مؤثر ومباشر على سلوك المتلقي حيث يتلقى المعلومات بسرعة وفعالية.
- **الطريقة الاستنتاجية:** وتعني ذكر حقيقة عامة تنطوي تحتها الكثير من الحقائق الجزئية حيث تتهيأ الفرصة لاستنباط هذه الجزيئات من تلك الحقيقة العامة، وهي طريقة تلتقي بأصل من أصول الشريعة الاسلامية وهي الاجتهاد وفتح باب

1- يوسف القرضاوي: كيف يتعامل مع السنة النبوية ، ط4، دار الشروق، القاهرة، 2006، ص77.

2 -عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، م، س، ذ، ص 63.

الاجتهاد هو فتح باب واسع أمام الحيوية في التشريع والمرونة القادرة على التلازم مع كل زمان ومكان، وتمكين المسلمين من التفاعل مع كل المستجدات الحياتية عبر الأزمنة والعصور وهو مبدأ تربوي عظيم يعطي العقل القدرة على النشاط واستنباط الأحكام وموافقة الاعتقاد للسلوك، فقوله صلى الله عليه وسلم "إنما المؤمنون إخوة" مثلا هو القاعدة العامة الأساسية في تحديد العلاقات بين المسلمين ثم الجزئيات المشاقة من هذه القاعدة العامة، فلا يحب له ماله ولا دمه ولا عرضه إلا عن طيب خاطر، وهكذا الانتقال من العام إلى الخاص ومن الكلي إلى الجزئي.

- **الطريقة الاستقرائية**: ينتقل بها المربي أو القائم بالاتصال من الجزئيات إلى الكليات ومن الخاص إلى العام من المعلوم إلى المجهول وهي طريقة تعطي قواعد أصولية عامة تمكن المتلقي من قلب الأمور، فبعد وصوله للقاعدة العامة يستنتج الجزئيات وهذا ما يعطيه قدرة على التلائم مع الأمور[1].
- **القصة**: وهي من أحب الوسائل التوضيحية إلى النفوس لما تحتويه من تشويق وسرد للأحداث واعتمادها على العقدة والحل الذي يستخرج منه التقرير أو الاستنتاج، فالتوضيح المعتمد على التشويق يتبعه تقرير الحكم المستند إلى أحداث القصة، والقصص في التربية النبوية متنوعة بتنوع الحكم التي تحملها، وهذه القصص ليست مقصودة بذاتها وإنما مرتبطة بغاياتها المتمثلة في وضوح الفكرة.
- **وسائل الايضاح**. في السنة النبوية عشرات الأحاديث الشريفة التي تستخدم وسائل الايضاح التي تقرب المعنى إلى الذهن، ومنها ما كان شفاها يعتمد على سعة الخيال وحسن فهمه ووعيه للأمور حيث يشرح ويمثل الأمر بما يحتاج حتى يبلغ الغاية، بالاضافة إلى القرآن الذي أكثر من طرح الأمثال بالاعتماد على الحس، المشاهدة والمعرفة المباشرة والمقارنة الحاضرة التي تجعل الواقع بما فيه من أمور

1 - محمد سعيد المولوي، المربي محمد، التربية النبوية، شمولها، أهدافها، طرائقها، دار العروبة، الكويت 1990، ص106.

حسية مشاهدة واضحة قاعدة يقوم عليها المثال ويقرن بما يحتاج إلى توضيح وبيان.

- **الحوار والنقاش وطرح الأمثلة وإصلاح المفاهيم الخاطئة السائدة بين الناس:** وتقريرها بطرق صحيحة، فقد كان الرسول الله صلى الله عليه وسلم يغير التصورات الخاطئة ويبدل المفاهيم ويأتي بمفاهيم جديدة تبدو غريبة عما سبق، فيكون التصاقها بالذهن أعظم فيطرح السؤال وتتطلع الأنفس لمعرفة الحل الصحيح[1]. وبعد التشوق للحل يأتي الحل وصفا مطولا ليخرج المتلقي بالقناعة والرضا وهو ما يثبت التطلع والشوق والمشاركة لتكوين مفهوم جديد.
- **تكرار المعنى:** وذلك أكثر من مرة لتثبيته في النفس وزرعه في الفكر وهي من أهم الطرائق التي يجب أن يتبعها المربي أو المعلم أو القائم بالاتصال بصفة عامة، فقد يفوت المتلقي بعض الكلام أو يعجز عن فهمه للمرة الأولى أو يشرد ذهنه فيأتي التكرار إسعافا لذلك ومعرفة توصل المعنى للمتلقي وقد يكون التكرار توكيد للمعنى للفت النظر إلى أهميته كما كان يفعل رسول الله في كل مرة يعيد فيها عبارة ما ثلاث مرات توكيدا ولفتا للانتباه وتثبيتا للمعنى وبيان مقدار أهميته.

وعليه كان ولا يزال أعظم داعي وقائم بالاتصال ومعلم ومربي، نموذج مثالي للخير في الدعوة والتطبيق، نشر الحق والخير وربى الأجيال فاعتبر بحق المثال والقدوة والمعلم حيث هذه القدوة تعتبر سر نجاح دعوة ربت خير البشر[2].

خصوصية وأهمية أحاديثه ومنهجه في البناء الحضاري:

إن ما يعطي لأحاديثه صلى الله عليه وسلم الأهمية البالغة كونه بالدرجة الأولى كقائم بالاتصال خير قدوة يمكن الاقتداء بها بالتالي مصداقية المصدر

1- محمد سعيد المولوي.المربي محمد.م.س.ذ.ص116 .

2 - المرجع السابق.ص116 .

جعلت من سننه صلى الله عليه وسلم بصفة عامة من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو سيرة نموذجا لكل البشر استثناء كونه بعث رحمة للعالمين، فبالإضافة إلى سننه القولية فان أحاديثه التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات والتي تملك من الأهمية والخصوصية ما جعل العلماء بصفة عامة وعلماء الحديث بصفة خاصة يبحثون فيها ويستنبطون علوما شتى في مجالات شتى، كونها صادرة عن رسول الله الامام الهادي والقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأفعال وأقوال، فهو المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده ويبين لهم من خلال أحاديثه، دستور الحياة لذلك كانت العناية بأقواله وأحاديثه وحتى أفعاله تثبت الأحكام وتقررها.

وقد اجمع المسلمون أن كل ما صدر عن رسول الله من قول أو فعل أو تقرير كان مقصودا به التشريع والاقتداء ونقل بسند صحيح يفيد القطع يكون حجة على المسلمين ومصدرا تشريعيا يستنبط به المجتهدون الأحكام الشرعية لأفعال المكلفين، والبراهين على حجية السنة والأحاديث المتضمنة فيها:

- نصوص القرآن التي أمرت بطاعة رسول الله وجعلها طاعة لله.
- إجماع الصحابة في حياته وبعد وفاته على وجوب اتباع سنته.
- أن السنة فيها تبيين للإجمال الذي في القرآن[1].

فالسنة مبينة لكتاب الله تعالى مما يستوجب طاعة رسوله أي طاعة في بيانه وشرحه فكل عمل بما جاءت به السنة هو عمل بالقرآن ويستمد الحديث الصحيح قيمته من كون الحديث الصحيح وارد في القرآن ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: 7)

وعليه فالمسلمون في حاجة إلى معرفة بيان رسول الله مع حاجاتهم إلى معرفة كتاب الله ولا يمكن أن يفهموا القرآن على حقيقته وأن يعلم مراد الله في كثير

1- مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي، ط3، دار لسلام، القاهرة، 2006، ص343.

من الآيات الأحكام إلا بالرجوع إلى رسول الله الذي أنزل الله عليه الكتاب ليبين للناس ما نزل إليهم من ربهم[1].

حيث يقول الكاتب النمساوي المهتدي للاسلام محمد أسد في هذا الصدد (ليوبولد فايس سابقا) "منذ أربعة عشر قرنا من الزمان والسنة تمثل المفتاح الذي يفهم به أسلوب الحياة الاسلامية ويفهم به سبيل العودة إليها وطريق النهضة الاسلامية بوجه عام، أليست هي المثال الذي أقامه لنا الرسول من أعماله وأقواله، أليست هي التفسير الصحيح للقرآن الكريم، فهي تقوم بدور ذي ثلاث شعب، تمرن الانسان بطريقة فردية منظمة على أن يحيا دائما في حال من الوعي الداخلي والضبط واليقظة، وتمرنه على ان يكون اجتماعيا وإيجابيا في مواجهة العادات والتقاليد ومتماسكا مع مجتمعه الصغير والكبير، وهي تجعل من إشاعات الرسالة الممثلة في سلوك الرسول حقيقة يمكن أن يتمثلها المسلم، بمعنى أن المسلم الصغير العادي الموجود في تركيا أو باكستان أو الجزيرة العربية، أو أندنوسيا أو أوروبا أو أمريكا يستطيع أن يتمثل، مع اختلاف مستوى التمثيل شخصية أعظم مثل أعلى في التاريخ وهو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام[2]."

لقد حاول المسلمون الاقتداء بأفعال رسول الله، وتفهم أحاديثه على مدى تاريخهم بكل إخلاص وتعلق ومحبة للشخصية التي اختارها الله تعالى لنشر رسالته التي كانت أول مفسر لكلماته. و السنة والحديث المصدر الأساسي الثاني للاسلام يضمان الطريقة أو الأسلوب الذي أتم فيه الرسول الأعمال الخارجية مثل الدخول إلى البيت، إلى المسجد، تحية الجار،...إلى الأعمال ذات القيمة الكبرى دينيا وأخلاقيا وروحيا مثل معاملة الأصدقاء والأعداء والتعاطف مع المسلمين الآخرين بصفة خاصة والبشر كلهم بصفة عامة، فخصوصية الأحاديث النبوية بصفة خاصة تكمن في كونها تحمل علما متكاملاً فتتراوح أدبياتها بدرجة كبيرة من النقاش

1- المرجع السابق، ص343

2-ع. الحليم عويس: الحضارة الاسلامية ثوابتها وفضلها على الحضارة الانسانية، ط1، دار الشروق، 2009، ص30.

حول خلق العالم وتسلسل درجات الملائكة والنور ومسائل المحصلة بإرادة الله وكيف يتحكم في الكون وكيفية تشابك الحرية والإرادة في الحياة إلى القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمشكلات الواقعية التي تجابه المرء في حياته اليومية والمتصلة بأسرته وجيرانه وأصدقائه، وتتعرض لمسائل النظافة والجمال والتصرف اللائق، - وهو خاصة ما يهمنا في هذا البحث- ، وهناك أحاديث كان لها دور بالغ في تشكيل الفن والعمارة والتخطيط للمدن في الاسلام وفي الواقع تشكيل الجو الطبيعي الذي يجب أن يعكس معنى الوحي الإسلامي و روحه وعبقريته[1].

والحديث النبوي كمصدر ثانٍ للشريعة بعد القرآن ومصدر آخر للفكر الاسلامي وجميع مناحي هذا الفكر تقريبا من علوم الدين والعلوم البحتة والفلسفة وعلوم الصرف والنحو واللغة والاتصال اللفظي وغير اللفظي، ... كلها تجد جذورها في الحديث مثلما تجد جذورها في القرآن، وليس هناك من ميدان في الفكر الاسلامي لم يقم فيه الحديث بدورهام مفصلا أو شارحا كلمات الله كما وردت في القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم والحديث الشريف هما الكنز العظيم الذي حبا به الله تعالى المسلمين، فلا يمكن استيعاب الأول وتفهمه دون مساعدة الثاني، فهما يوفران لجميع الأجيال التالية من المسلمين التعليقات الصادرة عن الرجل الذي كان الأقدر على فهم كلمات الله والذي اختاره الله ليكون رسوله وحبيبه وأوحى إليه بكلمته التي لا تعلو عليها كلمة.

فاعتبار الإنسان خليفة الله في الأرض عليه استخلاص جوهر الرسالة من خلال الحديث لأنه سعى أيضا إلى فهم الوحدانية، وهذا التوحيد، فلا يجب أن يقتصر الفهم على أن الله واحد بل عليه أن يفهم أن هناك علاقة ترابطية بين جميع الأشياء وهناك وحدة تنسحب على جميع النظام الذي خلقه الله وعلى المجتمع

1 -السيد حسين نصر: دليل الشاب المسلم في العالم الحديث م، س، ذ، ص 32.

الإنساني إذا كان له أن يكون إسلاميا ، فيجب أن تكون هناك وحدة في الحياة البشرية وفي العلاقة بين الإنسان والطبيعة ووحدة في الفكر الإنساني، ووحدة فيما يصنعه الإنسان في الفن والعمارة والمدن، وجميع أشكال الوحدة تعكس رحمة الله ومشيئته في عالمنا مجسدة في الشريعة التي يجب التعبير عنها في كل منحى أصيل في حياة المسلم ، ففي أحاديث النبي وسنته- كأول تعليق على القرآن- يعرضان ما نحن بحاجة إليه اليوم من معرفة بحياة الرسول ومناحي حياته من ممارسة القضاء إلى القيادة الفكرية إلى الأبوة في الأسرة . كذاتجسيده للكائن الروحي الذي استمع لكلمات الله بصورة مباشرة ونقلها للبشرية ، وإظهاره للوحدة كآخر نبي ورسول، وحدة يسعى إليها المسلمون خلال حياتهم كلها.

وحتى يكون المسلم فردا صالحا في محيطه عليه أن يعيش وفق مشيئة الله ويتحلى بالفضيلة وفق المبادئ الأخلاقية الواردة في القرآن والحديث وهو يعي وحدانية الله التي تنعكس في خلقه وفي الإنسان ومجتمعه إلى الحد الذي يعكس فيه المجتمع تعاليم الله تعالى، كما وردت في القرآن الكريم وكما عاشها ومارسها آخر رسله وأنبيائه صلى الله عليه وسلم ودعا إليها من خلال سنته بصفة عامة وأحاديثه الشريفة بصفة خاصة له.

❖ **أهمية القدوة:** إن قضية القدوة الإتباع وعدم الابتداع في العقيدة والعبادة والمنهج والمرجعية والأخلاق والتعامل مع قيم القرآن والحديث فهما وتنزيلا على الواقع، ومنهج التعامل مع الواقع في ضوء ظروفه واستطاعته وما يناسبه في كل مراحله من الأحكام هي دين بالنسبة للمسلم ومسؤولية وسبيل للنهوض في الدنيا والفوز في الآخرة، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو القدوة ولا قدوة سواه لأنه المبين عند ربه والمؤيد بالوحي والمسدد به، ولأن ما ورد عنه هو محض حق وصواب[1].

فإذا اجتهد وأخطأ صوب له الوحي وإذا اجتهد وأصاب أقره الوحي، فكما أن ما جاء به من البيان للقرآن يكتسب خلوده وتجرده عن الزمان والمكان

1 – عمر عبيد حسنة، من فقه التغيير: م، س، ذ، ص51.

وصلاحيته لكل زمان ومكان من خلود القرآن المبين لذلك وكل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد لأنه يجري عليه الخطأ والصواب إلا الرسول صلى الله عليه وسلم، لذلك فهو قدوة للعالمين.

فأهمية القدوة في مجال البناء الحضاري والتنشئة التربوية ووضوح المرجعية وكيفيات التعامل مع القيم وإبصار الضوابط لوسائل التغيير والتقويم لمراحل الإنجاز، قضية تكاد تكون محسومة من الناحية الفكرية والسلوكية والنهضوية، خاصة إذا كان محل القدوة مسدداً بالوحي ومؤيداً به وإذا كان ما جاء به خالدا، مجردا عن حدود الزمان والمكان وأنموذجا لكيفية التعامل البشري النسبي المقيد بظروف وشروط[1].

لقد كانت سيرة الرسول التي كانت تنزيلا لقيم القرآن وتجسيدها في الواقع البشري تمثل منهجا لكيفية التعامل مع القيم وتطبيقها في المواقع والأصعدة المختلفة بمعنى أن تقديم النماذج للإقتداء لم يقتصر على الحاضر وإنما استوعب أبعاد الزمن الثلاثة ، الماضي بما عرض كيفيات التعامل معه والواقع الذي يعيشه الناس وتقويمه بشرع اللهفالقدوة في الرسالة المحمدية جاءت شاملة شمول الإسلام نفسه، فقد قدست نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الأنموذج المحتذى به في مجال الدعوة ومنهجها وكل وسائلها ومتطلباتها، وفي مجال الدولة وكل ممارستها ووظائفها. ومايخص الدولة في علاقتها وسلمها وحربها، فقد كان منهجه وسيرته قدوة في مجال الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والاقتصادية والأخلاقية كان خلقه القرآن وهذا جماع الأمر كلهوهذا المنهج الأنموذج له أهمية بالغة في عملية البناء والتغيير، فكان لحفظ التطبيق والتنزيل على الواقع الأهمية نفسها لحفظ التعاليم والمبادئ والقيم الاسلامية[2].

---

1 - المرجع السابق، ص 46.

2-عمر عبيد حسنة.من فقه التغيير.م.س.ذ، ص48.

◆ **أهمية العلم:** لقد دعت الرسالة المحمدية إلى العلم النافع والأخذ بكل جديد في المعارف المفيدة لأن الإسلام يقوم على العلم والعقل فمن لا يعرف روح الإسلام ويدرك حكمه وأسراره ولا يفهم مبادئه لا يمكنه سلك طريق الاستقامة، ولا أن يدعو الناس إليها، فقد طلب الإسلام الايمان بالله بالنظر والتأمل لا عن طريق التقليد والمحاكاة بل بالفكر وإقامة الدليل العقلي واستعمال القياس الصحيح، ومن الغريب أن يدعي أصحاب الحضارة المادية أن الإسلام قد عوق أهله أن ينهضوا أو يتابعوا النهضة واستشهدوا بحال المسلمين من تأخر وانحطاط فاتخذوا من هذا الواقع دليلا يصمون به الاسلام البرئ من حال أهله[1].

إن رسالة الإسلام كانت ولا تزال ملتقى العقول السليمة والفطر القويمة، ما أخطأ منهجها ولأن العلم مهمااتسعت آفاقه وامتدت أبعاده فلن يجيء إلا بما يصدق الوحي ويدعم الإيمان، وغاية العلم والهدف منه إعداد الإنسان ليكون عضوا نافعا ولبنة صالحة في المجتمع، ولا يتم ذلك إلا بالعقل وتكامل الشخصية، حيث تجسد ذلك في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم عندما دعا إلى طلب العلم بهدف الالتزام بمبدأ الحق ومناصرته والنفور من الباطل ومكافحته، وإحقاق الحق وإبطال الباطل، فالمنهج المحمدي سخي ومصدر ثري للأمة الإسلامية، دائم العطاء، متجدد النفع ليس من الناحية التشريعية فقط بل كمنهج ايضا لارشاد وتوجيه السلوك وبناء الحضارة الانسانية على أقوى الدعائم فمحاولة التشكيك في السنة عموما والمنهج النبوي، محاولة لضرب بنيان الاسلام من قواعده وتهديداً لمقومات الحياة الاسلامية الحقة إذ لا يفهم القرآن دون السنة[2].

إن العلم في نظر السنة والمنهج النبوي ليس خصما للدين ولا ضد الايمان ولم يعرف المجتمع الاسلامي ما عرفته مجتمعات أخرى من الصراع بين العلم والدين من اعتبار العلم مقابل للايمان فالعلم في المنهج النبوي كما تدل عليه الآيات والأحاديث

1- تيسير محجوب الفتياني، مقومات رجل الاعلام الاسلامي، م، س، ذ، ص202.

2- عمر عبيد حسنة، من فقه التغيير، م، س، ذ، ص 48.

دين، والدين علم، حيث العلم في الحضارة الاسلامية دليل الايمان والعمل والسعادة في الدنيا والآخرة.

فحق العلم التجريبي لا يضيق به المنهج النبوي بل يحترمه ويدعو إليه ويضع المناخ النفسي والفكري الملائم لازدهاره مثل تكوين العقلية العلمية الموضوعية التي تفرض إتباع الهوى والظن، بل تشجع العلم والكتابة والقراءة وتعلم اللغات و تستخدم أساليب الإحصاء والتخطيط لمواجهة احتمالات المستقبل وإقرار مبدأ التجرية في شؤون الدنيا والنزول عند أهل الخبرة واقتباس كل علم نافع من أهله واحترام سنن الله تعالى في الكون والحملة على الأوهام والخرافة والكهانة، وأتاح للعقل أن يفكر وللعالم أن يبحث وللعلم أن يزدهر فالعلم وفق ما جاء به المنهج النبوي لا يفصل بينه وبين الأخلاق، فالعلماء يضيئون الحياة بالمعارف والأخلاق، لذلك ركز على أخلاقيات العلم ومسؤولية العلماء، فطلب العلم فريضة للمسلم[1]. وللمسلمة، أي الحد الأدنى الذي لا بد منه، سواء كان علم ديني أو دنيوي، كمحو الأمية، ولن تؤدي أمة الاسلام رسالتها وتثبت وجودها كما أمرها الله إلا بتعليم أبنائها جميعا، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فلقد وضع المنهج النبوي مبادئ وأسس للتعلم والتعليم سبق بها أفضل ما يباهي به عصرنا ومفكروه من قيم تربوية في التعليم والتعلم مثل مبدأ الاستمرارية في التعلم وطلب العلم والتخصص وتوفير المعلم والرفق بالمتعلم ومراعاة الفروق والإشفاق على المخطئ وتشجيع الحسن واستخدام الوسائل الضرورية، فكلها أسس منهج لتكوين الفرد المسلم والمجتمع المسلم نشأ في ضلالها العقل المسلم المتميز الذي يجمع بين العلم واليقين، قامت على أساسه نهضة علمية تتلمذ عليها العالم كله لعدة قرون لم يبقى منها إلا آثار يحتاج لمن يحييه ويجلو الصدأ عنه[2].

1- يوسف القرضاوي : الرسول والعلم، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ص 160.

2- المرجع السابق، ص162.

❖ **واقعية المنهج:** من ابرز الخصائص التي تجعل المنهج النبوي في التغيير والنهوض والبناء الحضاري محلا للاقتداء والتأسي وتجعله أنموذجا يحتدى به إنما هي في واقعيته وتوافقه مع فطرة الانسان وتعامله مع السنن الجارية في الكون وخصائص الانسان بضعفه وقوته وتذكره ونسيانه وفطرته وغريزته ونزوحه إلى الخير وانحداره في الشر واستعاب جميع ما يتعرض له من الظروف والأحوال من سقوط ونهوض وهزيمة ونصر فيكون المنهج مرشدا ودليلا في كيفية التعامل مع الأحوال كلها.

إن الإشكالية المطروحة اليوم هي إشكالية فساد الفهم والعجز عن التعامل مع المنهج، وليس التشكيك بالمنهج النبوي، فالكل عاجز عن إبصار الواقع بشكل دقيق وملاحظة تغيراته السريعة والخلط بين المبادئ والبرامج وبين القيم المعصومة والاجتهادات البشرية المظنونة والخلط بين الإمكانات والأمنيات وعدم إدراك متطلبات المرحلة وكيفيات وآليات التعامل معها من خلال رحابة المنهج النبوي وآفاقه المتعددة والمتنوعة[1].

إن المراعاة والتدرج لازمان للتغير وحصول الاستجابة لأن تغير النفوس وإزاحتها عن مألوفاتها ونقلها من ميولها أمر ليس سهلا، وتغيير الأعراف التي تجذرت في النفوس واستقرت في العقول واعتاد الناس عليها لا تتغير بأمر يصدر أو دعوة توجه، لذلك لا بد للداعي أو القائم بالاتصال مراعاة طبائع ومقاصد وثبات وفهم الأحوال الخاصة والأعراف والأولويات والمصالح المتعلقة بالجمهور المستهدف كما عليه مراعاة الأوقات التي يخاطبهم ويتصل بهم فيها فالتدرج سنة ربانية ومن السنن العامة التي يجب مراعاتها في عملية الاتصال والدعوة أي التدرج من السهل إلى الصعب ومن الصعب إلى الأصعب ومن الهدف القريب إلى الهدف البعيد، وهي خطوة منهجية غاية في الأهمية وذلك أن بعض العاملين في حقل الدعوة يحبون أن يحققوا كل شيء بين عشية وضحاها وتغيير الواقع في طرفة عين دون فهم للظروف المحيطة

1- عمر عبيد حسنة فقه التغيير، م، س، ذ، ص 51.

بالواقع ودون إعداد جيد المقدمات والأساليب والوسائل، وقد وجه الله أنظارنا إلى هذه السنة في أكثر من موقع، فقد خلق تعالى السموات والأرض في ستة أيام وكان قادرا -جل شأنه- أن يخلقها في لمح البصر، وكذلك بالنسبة لخلق الإنسان والحيوان والنبات تتدرج كلها في مراحل حتى تبلغ كمالها ونضجها.وسنة التدرج ثابتة في التشريع الاسلامي بصورة بينة ملموسة وهذا من تيسير الاسلام على البشر راعى معهم سنة التدرج فيما يشرعه لهم إيجابا وتحريما وأوضح مثال على ذلك التدرج في تحريم الخمر وفي القضاء على الرق.لقد علمتنا السنة وقبلها القرآن كيف وبأي تدرج وانسجام تم التغيير في بلاد العرب ومنها إلى العالم على يد النبي محمد صلى الله عليه وسلمن فالأمم التي تتطلع إلى التغيير بالدعوة والاتصال لا بد أن تراعي في منهجها التدرج فما هدم في أعوام لا يمكن أن يبنى في أيام، فالنفس الطويل أنفع وأجدى[1].

إن مراعاة التدرج في المنهج الاتصالي الدعوى أساسي لبلوغ الأهداف، فالزرع إذا حصد قبل أوانه لا ينفع، وكلما كان العمل عظيما وقاعدته متسعة كانت ثمرته أبطأ، قد يبدأ جيل عملا تأسيسيا ذا شأن فلا يستفيد منه الجيل الثاني أو الثالث ، فلا ضير في ذلك مادام كل شيء يسير في خطه المعلوم المرسوم، فالصراع بين الحق والباطل لا تتكشف عقباه في مدة قصيرة بل قد يستوعب السنين والقرون، لذلك فإن استيعاب سنة التدرج بين القائمين بالاتصال والدعاة على التعامل الصحيح مع الجمهور المستهدف بقدرتهم على التخطيط والتنظيم وحسن الإدارة مع الأخذ بعين الاعتبارأن هذا التنظيم والإدارة تختلف من مكان لآخر لذلك يتطلب الأمر المرونة وسعة الأفق وعمق النظر إلى الأمور وضرورة اختيار النوع الملائم والبيئات التي يطبق فيها الاتصال[2].

1- شريف وهبي، لماذا المسيح ومحمد، ط1، الشروق الدولية ، القاهرة، 2009، ص276.

2- المرجع السابق، ص 278.

كونية الرسالة المحمدية:

لقد كان من صفات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم انه داعي أي قائم بالاتصال بالتالي مسؤول عن حمل وتبليغ الرسالة إلى الناس وهذه المسؤولية هي مسؤولية كل مسلم في حمل الرسالة وتبليغها قدر استطاعة كل واحد وطاقاته وعلمه، فكل مسلم جعلته الرسالة المحمدية مسؤولا عن نشرها وسلوك سبيلها، والرسالة هي الاسلام، الحر الصافي من شوائب الدجاجلة والمبتدعين، المنزه عن أهواء تجار الدين الذين يبيعون الفتاوى أو يهبونها للسلاطين، والوسيلة في ذلك هو الوعي والنوعية أي نعني بالوسيلة الأسلوب والطريقة التي ينبغي للقائم بالاتصال أن يبلغ الرسالة إلى المستهدفين منها والوسيلة الحسنة من أهم عوامل النجاح في عمل القائمين بالاتصال لذلك أمر سبحانه وتعالى رسوله بأن تكون الوسيلة الحسنى وبالحكمة والموعظة الحسنة وبالتالي هي أحسن.إن تعريفنا للوسيلة هنا بالوعي والتوعية يتعلق بالمسلمين، إذ لا نجاح لأي قائم بالاتصال دون علم، بل إن القائم بالاتصال الجاهل أشد ضرا على الإسلام من العالم الكاتم للعلم الساكت عن قول الحق، لذلك يتطلب من القائم بالاتصال أن يكون واعيا والوعي نعني به هنا هو مرحلة من مراحل سبيل النهضة لأي أمة بل هو مرحلة الأهم منها، وبعد حصول الوعي والعلم بواقع الأمة وأمراضها وأزماتها يجب التحرك عمليا لإصلاح الخلل ومكافحة الآفات والأزمات وأسبابها بضم الجهود، المختلفة والآراء المتباينة لتأليف قوة موحدة متحركة تسعى لإنهاض الأمة.فلكل دعوة أو رسالةهدف والهدف الأساسي هنا هو سلوك سبيل الرسالة بالاسلام من أجل نهضة الأمة من خلال نهضة في الفكر ومستوى الوعي الصحيح للاسلام وللواقع الذي يعيش فيه المسلمون، وهنا البناء الفكري الذي لا بد له من تأسيس ومسؤولية[1].

1- محمد سعد كنعان، سبيل النهضة، منهج وهدف ط1، دار البشائر، بيروت، 1991، ص15.

مسؤولية الرسالة المعاصرة:

إن المسؤولية من الصفات التي تلازم صاحبها من قبل أن يبدأ الفعل إلا ما أبعد انتهائه في مراحل متدرجة على النحو التالي:

- مرحلة ما قبل الفعل: وهي نداء الواجب للشخص ومطالبته له بالعمل والمسؤولية هنا تنظر إلى المستقبل فهي مسؤولية تكليف ومطالبة.
- مرحلة الإجابة لهذا النداء بالإيجاب أو السلب.
- مرحلة المحاسبة والتقدير لقيمة هذه الإجابة، وتأتي هذه المرحلة بعد الفعل، والإلزام الأدبي الذي ينطوي عليه نداء الواجب للشخص ومطالبة له بالعمل يعني أن ذلك الشخص الذي يوجه إليه النداء له شخصيته المستقلة وله حريته في القبول أو الرفض وله قدرته على تنفيذ ما استقرت عليه إرادته، والمسؤولية بهذا المعنى صفة تشريف لأنها مرادفة لمعاني الحرية والاستقلال والكرامة والقوة.وإذا كان مفهوم المسؤولية يتضمن الاجابة على النداء إيجابا أو سلبا فإن هناك العديد من الأسئلة التي تفرض نفسها.
- لمن تقدم الإجابة؟ من هو المنادي المطلوب إجابته؟ كيف يتحدد المصير بنوع الإجابة؟ كيف تتم الإجابة ؟ كيف يمكن معرفة حقيقة الأمر وأن الإجابة سلوك مسؤول؟

إن النظر إلى هذا العالم بوصفة الحقيقة النهائية وليس مجرد مرحلة أو متقدمة لعالم آخر لا يمكن منَ الإجابة على هذه الأسئلة.

فهي أسئلة غير قابلة للحل بالنسبة لهؤلاء الذين ليس لديهم وعي ديني متفتح، وتعد لآخرين أسئلة لا مبرر لها وليس لها وجود حقيقي، وتتحول لديهم المسؤولية الذاتية إلى مصلحة عالمية، ونظرا لأنهم محصورون في نطاق الصورة المادية للعالم فإنهم لن يستطيعوا طرح الأسئلة خارج هذا النطاق.

فالعالم المادي ليس هو الحقيقة النهائية بالنسبة للانسان المسلم وهو مدرك أن أعماله كلها (سواء كانت أعمال القلب أو الجوارح) لهذا العالم المادي يقدمها الله وحده وهو الحقيق بالتوجه إليه والاعتماد عليه وتفويض الأمر كله إليه، فالمرجع والمصير إليه لذلك فالمطالبة بالمسؤولية في رسالة الاسلام تعد مطالبة بتقديم إجابة بطريقة حرة، فكل إنسان يصوغ إجابته (مسؤولياته) في حرية، فالصلة بين الإنسان والله صلة شخصية مباشرة لا تحتاج إلى واسطة، وبذلك فإن الرسالة هنا تحث على الاستقلال في الفعل وتنهى عن التقليد، فكل فرد يجب أن يبحث بنفسه عن إجابات مناسبة بسلوكه المسؤول، فمشكلة الانسان المعاصر توقفه عن طرح الأسئلة واعتقاده أنه يملك الإجابات التي يبحث عنها[1].

إن كل امرئ يتأمل في موقفه الإنساني متحررا من كل الأحكام المسبقة سيتضح له في النهاية بوعي كيف يسلك سلوكا مسؤولا إذا لم يظل واقفا عند الإجابات الجاهزة المعطاة سلفا، والمسؤولية الشاملة في نظر رسالة الاسلام تجعله يمنع العدوان ويطالب بالعمل الجاد لإقامة السلام والعدل، فليس هناك طريق وسط بين الخير والشر ومن ليس مع الله فهو في الجانب المضاد.

فالحياة في هذا العالم سريعة الزوال والشيء الباقي هو العمل الصالح فإذا أحببنا هذا العالم ينبغي أن نحافظ عليه بفعل الخيروفعل الخير كلمة جامعة شاملة لكل السلوكات الحضارية اللائقة عكسها الشر المؤدي للآفات والفساد، فقد سخر الله للانسان كل شيء ليكون له داعيا إلى التفكير في هذه النعم وعدم إهماله لما سخر له بل عليه تحمل مسؤولية في الاهتمام والعناية لذلك فمسؤولية الانسان عن هذا العالم تشمل الخلق كله ولا تنصب على البشر بل تشمل الحيوان والنبات والأرض، ومسؤولية الانسان

1- حمدي زقزوق: هموم الأمة الاسلامية، م، س، ذ، ص 120.

إزاء هذا العالم وإزاء الخلق كله لا حدود لها للوقوف عندها فهي مسؤولية أداء مهمة في هذه الحياة بسلوك في مستوى المسؤولية العالمية لأنه خليفة الله في الأرض وقد أعطى الله العقل للانسان لأداء هذه المهمة[1].

فغاية الفرد المسؤول ليست بمعزل عن غاية المجتمع أو منفصلة عنها، فهذه الغاية هي التي تتيح لأفراد المجتمع تماسكا يبدو معه المجتمع وكأنه جسد واحد، بها يتم قيام أسرة قوية راشدة كنواة للمجتمع الذي يتحقق بوجود المسؤولية معه مجتمع إنساني فاضل وتصدر عنه القوانين المنظمة وترسم الحدود الضابطة التي تقوم على الحق والعدل وتفي بالرحمة والبر وهذا هو أساس التكافل الاجتماعي الذي أقامه الإسلام على أساس المعرفة لله والتقرب إليه حيث لا يمكن أن تقوم معه في المجتمع الانساني فئة ظالمة وأخرى مظلومة أو مستغلة وأخرى مستغلة، فكل فرد في الاسلام يشعر أنه مسؤول عن راحة الجماعة وسعادتها وحمل الأمانة، حيث هذه المسؤولية ليست أمام الجماعة فحسب وأمام الله، فهذه المسؤولية التي يشعر الإنسان بها ويحاسب عليها أمام أي جهة كانت ليست تكريما للانسان وتمييزا لمكانته بل عنوان سيادته وتفضيله وقيام المسؤولية إذا استقر أمرها في النفس جردت الأمور لمنطلق العدل، ولا يصلح أمر الناس إلا بقيامها في تقدير النفس ورسوخها في أعماق الضمير، إذا التحايل على العباد أمر ممكن والإفلات من عقاب القانون شيء مستطاع ولكن النفس التي توقن أنها بين يدي خالق لا يخفى عليه شيء يكون يزان التقدير حينئذ التنزه عن كل ما من شأنه أن يغضب الخالق هذه هي المسؤولية التي تعمل رسالة الاسلام دائما على قيامها بالنفس إذ بها وحدها يستقيم سلوك الناس في الحياة ومنطلق العدل يتطلبها لا لينعم الناس بأمن الحياة وعدلها فحسب بل ليتأتى قيام الجزاء على العمل وإنصاف القضية ، قضية الانسان[2].

1-حمدي زقزوق.هموم الامة الاسلامية.م.س.ذ.ص124.

2- محمد الراوي، الدعوة الاسلامية دعوة عالمية، م، س، ذ، ص 403.

مميزات الرسالة المحمدية المعاصرة:

لقد جعل الله خير هذه الأمة وتميزها وقوامها وكيانها وخلودها واستمراريتها منوطا بقيامها بالحق والدعوة إليه والنشر له والإغراء به واستمرار حراسته والدفاع عنه حيث لم يرض الله لها وهي أمة الرسالة الخاتمة أن تكون صالحة بذاتها بل ومصلحة لغيرها أيضا مضحية في سبيل تمكين الحق، محاربة للباطل حتى تستحق صفة الخيرية والتمييز والفضل، فلا معنى لخلود الرسالة التي تعني استمرار الحق واستمرار حراسته والقيام به وتقديم النماذج التي تجسده في كل زمان ومكان إذا لم يستمر التجديد وإنتاج النماذج حيث تستمر الأمة القائمة به، وأعظم المخاطر التي تعاني منها أمة الرسالة اليوم، غياب شخصية المسلم المعاصر المتوازن الذي يعيش التوحيد الحقيقي والانسجام العملي بين معارف وهدايات الوحي المعصوم في الكتاب والسنة ومدارك ومكتسبات العقل لتكون أمة مؤهلة للقيادة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهي اختصار لكثير من الكلام حول محاربة الآفات[1].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلخص في مضمونه تشجيع السلوكات الحضارية لتقويم سلوك المجتمع وحمل الرحمة للإنسانية وإيقاف تسلط الانسان على الإنسان الذي هو مصدر الآفات في العالم وتأمين حرية الانسان وتحقيق عبوديته لله ونحو ذلك استرداد للإنسانية وكرامته وتميزه عن المخلوقات الأخرى[2].

وهذه هي ميزة الرسالة المحمدية المعاصرة حيث أنها شاملة غير منحصرة ولا محصورة في مجال أو ناحية من نواحي الحياة الانسانية، فهي رسالة لجميع خلق الله، شاملة في شريعتها وفي دينها وهي رسالة دين ودولة للدنيا والآخرة، عقيدة للقلب وشريعة للعمل، جمعت كل شيء من حلال وحرام وأمر ونهي في كبير الأمور وصغيرها حتى أدنى الفضائل والآداب وهي ليست إدعاء ولا زعم بل واقع يعرفه أقل

1-محمد الراوي.الدعوة الاسلامية دعوة عالمية.م.س.ذ.ص403

2- عبيد حسنة ، من فقه التغيير، م، س، ذ، ص 62.

الناس علما ، فهي رسالة الحق الثابت الراسخ التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين كافة ، ليس لشعب واحد دون سواه بل هي رسالة عالمية الشمول وواقعية بأحكامها الشاملة الجامعة التي تعالج قضايا الإنسان كما هي في الواقع على نحو يكفل حصول الإصلاح بالفعل ووصف العلاج القاضي على المرض والآفة قطعا لأن مصلحة البشرية جمعاء غيرالرسالة المحمدية في تميزها ، فميزتها أنها نظام كامل ومتكامل فريدة من نوعها بديعة في أحكامها ، كيف لا وهي تتبع من دين رب العالمين فقد آن الأوان لإدراك رسالة الاسلام المطلقة وفرادتها وانفرادها وأنها ليست واحدة من هذه البدع المنشورة ولا فرعا منها ، والمشكل ليس في ولاء المسلمين لدينهم ولكن في الوقوع فريسة للمضللين وانتشار ما يسمى بالازدواجية لدى كثير منهم، حيث يدعون أنهم مسلمون بينما ولاؤهم لغير الاسلام وقد أخبرنا الله تعالى أن الإنسان لا يمكنه أن يحمل عقيدتين في صدره لأن له قلبا واحدا ولا تستطيع الأمة أن تنهض برسالتها من دون علم لأن العلم عماد الرقي، ورسالة الاسلام تشجع العلم وترفض أن يكون المسلمون عالة على غيرهم وأصبحوا كذلك منذ أن تركوا العمل برسالتهم[1].

إن الرسالة المحمدية تقوم على أسس اتصالية رائدة بالقياس إلى النظريات الإعلامية المعاصرة، ذلك أنها تخاطب الفطرة الانسانية على نحو غير مسبوق وهو الأمر الذي تسعى إليه جاهدة نظريات الاعلام في عصرنا بهدف دراسة وتحليل محددات السلوك وبعض هذه المحددات هي المحددات الوراثية الخاصة بالجينات، المحددات البيولوجية والفيزيولوجية ، المحددات الشعورية ، حيث حاول علماء الاتصال من أمثال هوفلند وشرام التعرف على التعرض للاتصال وتفسير المضمون وتذكر الاتصال والنتائج السلوكية المترتبة عن هذا الاتصال، وكل ذلك يحكمه بصفة خاصة الاستعداد المسبق لدى الشخص المستقل حيث تركز الدراسات على التغيير السلوكي من خلال دراسة مكونات عملية الاتصال والمتغيرات التي ترتبط بكل

1- أحمد كنعان، سبيل النهضة، م، س، ذ، ص 61.

منها حيث تتضمن: المصدر، الرسالة، المستقبل، قناة الاتصال.حيث أن مصدر الاتصال هو منشئ الرسالة وفي هذا الصدد يتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة والرسول صلى الله عليه وسلم قائما بالاتصال أو داعيا، لذلك تركز الدراسات على هذا العنصر، على قابلية المرسل أو المصدر للتصديق، كما أن ضرورة توفر الصفات المثلى في الداعي والقائم بالاتصال ضروري ليكون موضوع تصديق، لذلك فإن الرسالة المحمدية جعلت الصدق فضيلة للانسان بوجه عام وأهم مقومات تصديق المصدر أو المرسل الذي يبلغ الدعوة لأن أثر الصدق في القائم بالاتصال يؤثر في الجمهور المتلقي ويحمله على قبول الرسالة واحترامها ومن ثم نجاحها فالقول أن الرسالة المحمدية رسالة معاصرة، حقيقة لأن سيرته ودعوته فسرت في كثير من المراجع تفسير إعلاميا، فقد شهد له الكثير من أهل الاختصاص بأنه الاعلامي الأمثل الذي اصطفاه الله ليكون شاهدا أو مبشرا أو نذيرا وداعيا إلى الله ورسالته إعلامية اتصالية بطبيعتها لأنها تقوم على الإفصاح والبيان بعكس بعض الأديان الأخرى كاليهودية التي لا تختص برسالة وتتذرع بالكتمان والسرية.

تقول دائرة المعارف البريطانية أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من دعوة جديدة هي دعوة الاسلام جعلته أوفر الأنبياء والشخصيات الدينية حظا في النجاح، فقد أنجز من حياته ما عجزت عن إنجازه قرون من جهود المصلحين من اليهود والنصارى رغم السلطة الزمنية التي كانت تساند هؤلاء ورغم العراقيل التي كانت أمام الرسول صلى الله عليه وسلم من تراث أجيال من الوثنية والخرافة والجهل والآفات المختلفة[1].

بالاضافة إلى تحديد الهدف في الرسالة كميزة مهمة لها، فالفرق بين الوعي والاعتباط هو تحديد الهدف وقد جاءت الرسالة المحمدية محاربة للاعتباطية داعية إلى الأخذ بأسباب الوصول بعد تحديدها للهدف، أي القصد الذي يقتضي المقصود لذلك

1- أمينة الصاوي وآخرون: السيرة النبوية والإعلام الإسلامي، مكتبة مصر، القاهرة، 1986، ص 137.

فالرسالة ترشد مستقبليها بضرورة تحديد أهدافهم المطلوبة لئلا سيكون سعيهم اعتباطا وضلالا وأعظم مقصودات أو أهداف الرسالة المعاصرة هو صلاح الأمة.

إن غياب الأهداف هو الذي يغيب إمكانية تحديد ما تحقق لذلك يعجز الكثير من الرسائل اليوم عن الإجابة على سؤال: ماذا تحقق فعلا؟ وتكون الإجابات مجرد عموميات فالرسالة الإعلامية الناجحة والتي تجدر أن تسمى معاصرة هي التي تسعى لتحقيق هدفين: تحقيق الفكرة، وتحقيق السلوك.

إن الذين يتملصون من النتائج تحت مبررات أن الله هم المغير للأوضاع لا يفهمون سنن الكون صحيح أن صلاح الزرع من الله لكن اختيار الحبوب والسماد وفنيات الري والتعهد ومقاومة الأوبئة التي تهلك الزرع، المسؤول عنها هو الإنسان الزارع، فإلقاء بذرة وتركها لمصيرها عمل وعبث غير مسؤول، فهل يستوي من يقدم الرسالة بأسلوب قوي ومتابعة جيدة بالذي يقدمها بأسوأ صورة[1].

في المرحلة الثالثة حيث يتحول الإنسان إلى مستهلك فقط، تسقط الحضارة لأنها حضارة دون إنتاج، وتسقط الأمة ويستحوذ عليها حب الدنيا وكراهية الموت لأن حب الدنيا هو الاستهلاك والقعود عن الإنتاج بينما إنسان الرسالة المحمدية مطالب بأن يكون إنسان الواجب والإنتاج لذلك فإن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو امتداد لمرحلة الروح وفاعلية الفكرة واستمرارها وتجديدها فقد تضعف الأمة وتصاب وتسقط لكن لا تموت لأنها تحمل علاجها في رسالتها في ذاتها ورسالتها هي استمرار للحق وتقويم السلوك المعوج كمسؤولية تضامنية.

إن غاية الرسالة المحمدية المعاصرة النهائية هو القيام بتجسيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كأحد أهم مقومات نجاحها واستمرارها وقد لخصها صاحب الرسالة ومعلمها في قوله "الدين النصيحة" قيل لمن يا رسول الله.قال :"لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" من هنا ندرك خطورة دعوى فصل قيم هذه الرسالة عن مسالك الحياة والممارسات اليومية بسبب التضليل الثقافي

1- محمد جربوعة: نقد التجربة الإعلامية الإسلامية، م، س، ذ، ص 33.

والاستبداد السياسي والوهن الحضاري، فتحقيق هذا المبدأ الحضاري المعاصر لا يكون إلا بدراية الواقع ومعرفة بالنص حتى تكون في مستوى عصرنا ممارسة حيث رسالتنا هداية ومرجعية وهدف[1].

- اللغة كأداة للفعل الحضاري، إن قضية اللغة وما تحمل من دلالات تعتبر أوعية للتفكير وليس مجرد وسيلة للتعبير، فالأمة التي تلغي لغتها في المعهد والجامعة والمدرسة والكتاب والمصدر والمرجع هي أمة متوقفة حضاريا عن الامتداد والإبداع ومهزومة حضاريا، فاللغة ليست وسيلة تعبير وتفاهم فقط بل لها علاقة بالتفكير والفعل الحضاري وسيغيب الإبداع وتحاصر الرسالة طالما تفكر الامة بأوعية الآخرين.

يقول تعالى :﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(الأنعام :124) لا يختص بشخص الرسول الكريم ولا يختص بقومه العرب فقط من بين سائر الناس ولا يختص بزمانه فقط من بين سائر الأزمان ولا بقومه من بين سائر الأقوام الذين يشكلون القاعدة الأولى لحمل الرسالة وبيانها من بين سائر الأقوام ولا يختص بجعل فيه مكانه فقط دون سائر الأمكنة ولا يختص بلغته فقط وقدرتها على الاستيعاب والاستجابة والإباحة دون سائر اللغات، وإنما يشمل ذلك كله، فالله أعلم حيث يجعل رسالته نبيا وزمانا ومكانا وقوما وأرضا ولسانا لما يتوفر ذلك كله من الخصائص والصفات التي تجعلها محلا لذلك، فاختيار العربية لتكون لغة التنزيل للخطاب السماوي، أو لتكون خطاب الله الأخير للبشر له دلالته من أكثر من وجه.

فإذا سلمنا أن من مقتضى الخاتمية أو من لوازمها الخلود والخلود يعني التجرد من الزمان والمكان والقدرة على الإنتاج العلمي والمعرفي في كل زمان ومكان أدركنا خلود اللغة العربية وسعتها ومرونتها وقدرتها على تقديم الأوعية التعبيرية[2]. للغة العربية قدرة للاستجابة لكل الظروف والأحوال وللإنتاج الحضاري

1- عمر عبيد حسنة، من فقه التغيير: م، س، ذ، ص 132.

2-عمر عبيد حسنة.من فقه التغيير.م.س.ذ، ص 134.

في سائر العلوم والفنون حتى يرث الله الأرض ومن عليها والذي كانت العربية وعاءه الخالد هو الذي يجعلنا ندرك الطاقة التي تمتلكها العربية والشرف الكبير بجعلها لغة التنزيل ويجعلنا ندرك أيضا التخاذل اللغوي والثقافي الذي يعاني منه المسلمون اليوم وكيف أن المشكلة ليست في قدرة اللغة وإنما في تخلف وعجز أهلها يجب تفعيل اللغة وتشغيلها بالإنتاج والإبداع وإلا أصبحت قوالب تجميد، وجمود اللغة يؤدي لانقلاب الألفاظ لتصبح قبور للمعاني بدل أن تكون أوعية لحملها ونقلها وتحقيق الانفعال بمعناها والتمية لانسانها ولو أعطينا قدرا من مواقفنا الدفاعية عن اللغة لإنضاج بعض البحوث وإبداع بعض العلوم والفنون لتغير الحال، فإلى اليوم لم نقدم جهدا مقدورا في تطوير تعليم اللغة أو تفعيل التقنيات الحديثة لمصلحتها، في حين بلغ تطور اللغات الأخرى شأنا بعيدا.

والعجيب أن تتسع اللغة اليابانية لكل المنجزات العلمية والتقنية على الرغم من عقم أبجدياتها وطريقة كتابتها ومحدودية مفرداتها وتتسع الصينية للإنتاج والإنتاج الحضاري ونحيا العبرية وتسترد من بطون التاريخ لتصبح لغة اليوم وتنشر بها الدراسات، في الوقت الذي تنحصر فيه اللغة العربية بانحصار أهلها ونكوصهم الحضاري إلى درجة محاولة البعض إخراج العربية من الساحة ولغة العلم نهائيا ويحاصرها بالمتاحف والمعابد، فلسفة المعهد عندهم غير لغة المعبد والمسجد، والعربية لا تصلح أن تكون لغة العلم والمعرفة ولتعزل عن الحياة لتصير كالسريانية وغيرها من اللغات البائدة التي انتهت إلى المتاحف، لكن في نهاية المطاف العربية هي الوسيلة الوحيدة لفهم الاسلام[1].

إن الاسلام لم يقم وزنا للأجناس والأعراق والألوان ولكنه لم يتنازل بحال من الأحوال عن أمر اللغة لأنها الميثاق الجامع والصعيد المشترك والقاعدة الثقافية والفكرية والحصن العقلي للأمة ووسيلتها للترقي والنهوض، فأول ما خلق القلم

1- المرجع السابق.ص 135

وأولى التعاليم السماوية بعد الخلق الأول تعليم الأسماء، وبدأت الرسالة الخاتمة بكلمة إقرأ والعربية اللسان وليست الجنس ولا الجغرافيا[1].

وعليه يجب اليوم وأكثر من أي وقت مضى أن يشعر المسلمون بأن ضيق الأفق قاتلهم لا محالة وأن العزلة عن الكون وعلومه جريمة في حق الاسلام، وأهله وأن تأييد الحق الذي شرفهم الله به لا يتم بالقصور العلمي وحسبان الدين مراسم جوفاء، وأن العبادة كما تكون مناجاة لله في صلاة خاشعة تكون مدارسة لعلمه الجليل في كونه الكبير، فأغلب الأساتذة والدكاترة المسلمون المشاركون في الملتقيات الدولية يلقون محاضراتهم باللغة الأجنبية أو العامية لأنهم مع إيمانهم عاجزون عن التحدث باللغة الفصحى، وتفريط العرب والمسلمين بصفة عامة في خدمة اللغة العربية فضيحة مشهورة بدأ هين النتائج في عصور خلت ثم استفحل شره في العصر الأخير[2].

إن مواجهة الآلة الاعلامية الرهيبة التي تقف وراءها القوى السياسية والاقتصادية المتواجدة في كبرى العواصم العالمية لا يتم بتخديرالشعوب وبعدم إدراكهم للأثر والدور الخطير للإعلام اليوم، فعندما أحاطت الأحزاب بالمدينة المنورة حفر الرسول صلى الله عليه وسلم خندقا كخطة دفاع وهجوم، فالقوة الأولى للرسالة المحمدية تكمن في مضمونها وعلى المسلمين اليوم أن يتمكنوا من فهمها حتى يقولوا للناس مالا يستطيع غيرهم قوله، وما ينقصهم سوى صياغة ما عندهم صياغة جيدة وتقديمه تقديما مقبولا بتحديد الهدف والقصد من ذلك أول خطوة لنجاح الرسالة[3].

1- عبيد حسنة : من فقه التغيير : م، س، ذ، ص 138.

2- محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الاسلامية، /، س، ذ، ص 24.

3- محمد جربوعة : نقد التجربة الاعلامية الاسلامية: م، س، ذ، ص 33.

شروط نجاحها:

لا يمكن للرسالة المحمدية المعاصرة أن تتجسد وتنجح في مسعاها إلا إذا ارتكزت على ركائز متينة وراسخة، ثابتة وقوية التي تعد شروطا لنجاحها أولها:

- **الجرأة والصراحة والشجاعة** في قول الحق بلا خوف ولا وجل اقتداء بمعلم الحق صلى الله عليه وسلم والصراحة أن يكون القائم بالاتصال صريحا مع الناس يشرح الواقع ويعالجه ولا يتهرب منه، فلا فتوى معلبة حسب الطلب وحسب المصلحة، بل دفاع عن الحقيقة حتى ينتصر الحق.
- **الاعتزاز بالمبدأ**: أي أن يكون القائم بالاتصال مفاخرا بالرسالة التي يحملها والمنهج الذي يسلكه، مقتنعا بما يسعى إليه من مصلحة شاملة للجميع.
- الصبر والثبات: حمل الرسالة يتطلب صبرا وثباتا على الحق والتزامابها اقتداء بالرسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا صبره وثباته على دعوته ما انتصر ولا انتشرت رسالته وكذلك فعل أصحابه من بعده وكذلك يجب أن يفعل من اقتدى به[1].
- أهمية توفر القناعات النفسية بالتغيير: حيث يجب أن يسبق ذلك كله تحصيل القناعات النفسية بالتغيير وإبصار صور المستقبل البديل من المعروف، ذلك أن مشكلة الكثير من دعاة التغيير للمنكر وممارسته يفتقدون الرؤية الشمولية ويعجزون عن استشراف المستقبل ورؤية البديل ومدى ملائمة، فيحاربون المنكر أو الآفات دون دراية ومعرفة فيساهمون سلبيا ويمكنون من منكر آخر أشد خطورة، والأخطر من ذلك توقف طاقاتهم من قبل خصومهم لتوظف في مصلحة هؤلاء الخصوم وأعداء قضيتهم.
- تبني مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يقتضي تقويم حياة الأمة بقيم الكتاب والسنة ومعالجة الأخطاء الذاتية وعدم التواطئ عليها، أي استمراردورة الفاعلية والإنطلاق أو ما يعبر عنها في الدورات الحضارية، بمرحلة الفكرة أو مرحلة الروح ، حيث يبرز إنسان الواجب والإيثار والإحسان ، بينما الانسان

1- محمد جربوعة : نقد التجربة الاعلامية الاسلامية: م، س، ذ، ص 33.

المؤدي للواجب المطالب بالحق ويغيب إنسان الإيثار والإحسان إلى حد بعيد.ومن ثم تأتي الدورة الحضارية النهائية وهي مرحلة الغريزة التي تؤذن بالانقراض والموت والأفول الحضاري فيغيب إنسان الواجب والحق ويبرز إنسان الحق فقط الذي لا يبصر إلا ماله دون القيام بما عليه أو يستشعر مسؤولياته اتجاه الآخرين فيتحول الانسان من منتج إلى منتج ومستهلك إلى مستهلك فقط[1].

لقد بلغ الخزي بنا وبلغتنا أن طالبا في بيروت سأل أستاذه عن المعنى العربي لمصطلح أجنبي فقال له الأستاذ بوقاحة: وهل العربية لغة؟ وهناك من سماسرة الثقافة من يضاعف جهوده في هذه الأيام العجاف للقضاء على اللغة قضاء تاما في أغلب ميادين النشاط الفني والعلمي مع أنه من المفروض أن تكون اللغة العربية لغة عالمية، فهي اللغة الوحيدة للوحي الإلهي الباقي في وجه الأرض وتعليمها وتعميمها واجب كفائي وبالتالي فهو فرض عين على المدرسين العرب وعلى المجامع والمعاهد وهو أبرك من قضاء الليل في التسابيح لأن العربية إذا انهزمت وانفرط عقدها ضاع القرآن نفسه ونشأت أجيال أعجمية لا تفهمه إذا بقي من يقرؤه.

وصورة واقعنا اليوم ألف مليون مسلم يقدسون القرآن شكلا لكن سبعهم يندر فيهم المجيدون لقواعد اللغة، وقد وصل إلى مناصب الحكم دهماء لا يحسنون الخطابة السياسية باللغة الفصحى ولغتنا لا وجود لها في الكليات العملية لأن الدراسة باللغة الانجليزية أو الفرنسية أو الروسية ، أما ألفاظ الحضارة التي نحتت لها في اللغات الأخرى ألوف المفردات والتراكيب فليس لها مقابل لدينا فأين دور المجامع المتخصصة وإن وجدت فأين دورها واللغة تموت يوما بعد يوم.؟إن موت لغتنا يعني هلاكنا الروحي والمادي معا ولو اطلع علينا أحد علماء القرن السادس الهجري من أمثال ابن الجوزي ورأي المسلمين في عصر الفضاء ينظرون إلى غزاة الجو ببلاهة لحمل السوط وجلد به الظهور ولبرأ الاسلام من هذا الانتهاء المخزي[2].

1- محمد كنعان: سبيل النهضة: م، س، ذ، ص 156.

2 -الغزالي: مشكلات في طريق الحياة الاسلامية: م، س، ذ، ص 25.

متلقي الرسالة المحمدية المعاصرة:

خصوصية عملية الاتصال المحمدية بالمتلقي :

تتعدد أهداف العملية الاتصالية في الدعوة الاسلامية بتعدد المتلقين الذين كان للدعوة نوع من التعامل أو الاتصال بها، كما غلبت الصفة التأثيرية على بعض أهداف عملية الاتصال في الدعوة الاسلامية القصد منها هو الإقناع بفكرة أو محاولة تغيير الرأي والسلوك لوجهة معينة تنعكس على إمكانية القيام بنشاط معين، وبعض من هذه الأهداف (المتمثلة في إعطاء الحقائق والمعلومات) تكون لمعالجة الفهم الخاطئ ومقاومة الحملات المضادة التي من الممكن أن تحدث.

فالاتصال عموما في الدعوة الاسلامية يستهدف كسب متلقين من المؤيدين وذلك بهدف إعدادهم وتهيئتهم لأمور مستقبلية.

أما عن رسالة الاتصال فتعدد خصائصها وسماتها مرده إلى اختلاف الجماهير المستهدفة، فقد تتسم الرسالة بسمة معينة عند مخاطبة جمهور معين وتتسم بغيرها عند مخاطبة جمهور آخر، فرسالة الاتصال في الدعوة الاسلامية، تتقاطع مع نتائج الدراسات العلمية الحديثة في مجال الاتصال من حيث جذب الانتباه ومراعاة مصالح المتلقي والتركيز عليها ومخاطبة المتلقي بلغته ومراعاة ما يسمى بالخبرة المشتركة بين المرسل والمستقبل[1].

أما القائم بالاتصال في الدعوة الاسلامية فيتميز بسمة أساسية مؤكدا قيامه بالتطبيق الفعلي لفكرة الاسلام على ذاته قبل أن يطلب من الآخرين متابعته، فعليه أن يسبق أو يساير عرضه للفكرة المراد إيصالها بالتجسيد الواقعي لها من خلال أفعاله وأقواله لكي ينجح بالحال لا بالمقال وتكون أخلاقه خير إعلام وإشهار وتسويق للفكرة المراد الترويج لها.

---

1 -محمود يوسف مصطفى، حرية الراي في الاسلام، دار الايمان للطباعة، القاهرة، 2009، ص 1.

فالاتصال تحكمه مجموعة من القواعد الأخلاقية، حيث القائم بالاتصال ليس حرا في إيراد المعلومات على حسب هواه ولا أن يتعمد إحداث تأثيرات على الجمهور لهوى في ذاته أو يشكل رأي عام على أساس معلومات خاطئة أو مضللة، فهو في مخاطبته للمتلقي لا يجب عليه الانسياق إلى الباطل والحياد عن الحق والميل إلى الهوى والسعي للمصلحة الذاتية على حساب الآخرين، بل يلتزم بالأخلاقيات التي تضبط السلوك وتعصم من الخطأ وتؤدي إلى علاقات سليمة بينه وبين المتلقي يحكمها إطار أخلاقي، حيث يتمثل أهم هذه الأخلاقيات في احترام الجمهور وإمداده بالمعلومات وتقدير قيمة الرأي العام في السلم والحرب وإيجاد قنوات اتصال صاعد لكل متلقي الحق في استعمالها مادام يعني آداب استخدامها بالاضافة إلى الدقة في استقاء الأنباء ونشرها واستقاءها من أكثر من مصدر واحد، وعدم المبالغة في تقديم المعلومات وتفادي الخاطئ منها وتوخي الصدق حتى لا تفقد الثقة بين القائم بالاتصال والمتلقي فقد أقر الاسلام حق الفرد في أن يكون له معلومات وآراء يدلي بها لكنه رفض السوء منها وليس من حق أي إنسان الجهر بالسوء بدعوى حرية الرأي لأنه يهدم كيان المجتمع[1].

ومهما تنوعت الوسائل فإن المهم هو الاستفادة منها ومن الجمع بين وسيلتين لاستغلال المزايا التي تتمتع بها كل وسيلة لتحقيق أقصى قدر من التأثير كالجمع بين الاتصال الشخصي والجمعي أو الاتصال غير اللفظي لتأكيد المعاني وتكرار رسالة لفظية معينة بالاضافة إلى استعمال الاتصال الشخصي لقادة الرأي لوجود نوع من التأثير القائد على غيره ثم للقادة على الجماهير.

فأنواع الجماهير المستهدفة من عملية الاتصال في الدعوة الاسلامية متباينة والنشاط والأوضاع والمراكز الاجتماعية والإمكانات التأثيرية واللهجات وطرق المخاطبة وتعدد أساليبها لكل جمهور على ضوء المعرفة والدراسة ضرورية، وكذلك الحرص على معرفة مدى تطبيق الجمهور للأفكار المطروحة وتبنيهم لها بطرح النقاش

1 -محمود يوسف مصطفى:حرية الرأي في الإسلام. ص 02.

وعدم قمع الرأي الآخر، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان ينزل على آراء أصحابه حتى لو كانت مخالفة لرأيه، فالرأي الآخر للجمهور عند محمد القائم بالاتصال له قيمته ومكانته وبالمقابل وعى جمهوره من الصحابة أن كلمتهم مسؤولة فقدموا الرأي خالصا لوجه الله والنصيحة أمينة، فلم يعرف التمويه والتضليل إليهم سبيلا، فالفرصة لا بد أن تعطى للكل للإدلاء بآرائهم ومواقفهم لمعرفة التعامل معها وتصحيحها وتعديلها عند اللزوم والتعامل هنا مع الإنسان لا مع حسبه ونسبه ووضعه الاجتماعي.

إن الدعوة الإسلامية المحمدية لم تترك ميدان الحرية دون ضوابط أو حدود فيترك الأمر للشائعات والفوضى بل مرد الأمر لأولي الأمر أصحاب الفهم الأقدر على بيان الحقيقة واستنباط الأمور وتوجيه الجمهور وتوعيته ، فالاجتهاد يجب أن يكون مزودا بالأدوات والمؤهلات لذلك يتميز الاتصال في الإسلام بصفة عامة وفي الدعوة المحمدية بصفة خاصة أنه ينفرد عن سائر عمليات الاتصال الأخرى باعتباره يستند على منهج نبوي يتميزعن باقي النظم الوضعية الحديثة في هذا المجال[1].

إن المجتمع في الدعوة الاسلامية ينظر إليه كسفينة يقتسم الجميع مكانا فيها وإذا تجاهل أحدهم عبث الآخر بالسفينة فسيغرق الجميع وهو معهم أي أن الفرد مسؤول عن المجتمع بحكم أنه جزء منه كما أن المجتمع مسؤول عنه، ولذلك كان الاتصال في الاسلام مكانة لإعلان العقيدة لتسمع ويصدع بالحق حاقدا وناصحا وموجها ويلقي للناس حقائق علمية ويكون له دور في ضبط إيقاع الحياة الاجتماعية حتى لا تتصادم مع شرع الله وثوابت الدين، بل واعتبرها وسيلة من وسائل مقاومة الآفات الاجتماعية يفعل ما لا تفعله القوانين بالإقناع، فتحترم القواعد الأدبية والسنن الصالحة التي أقرها المجتمع بتقويم المعوج ومنع الخبائث ليسود النظام وتعم الحضارة لذلك كان الدورالواضح والملموس للاتصال عبر الدعوة توعية المسلمين باستنكار الشر والآفات واستهجانها وعدم استحسانها لأن ذلك يؤدي إلى اضطراب المجتمع واختلاله وعليه وجوب تكوين و تربية الفرد الصالح، عن طريق هذا

---

1 - المرجع السابق.ص 9.

الاتصال لمنع الظلم والآفات وإقامة العدل والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم باعتبارها مسؤولية المجتمع في مقاومة الآفات والمنكرات حيث المجتمع ككل يكون حارسا ومراقبا لكل رأي وسلوك شاذ لإرجاعه للصواب من أجل حماية المجتمع من الانحرافات ووقايته[1].

خصائص ومميزات متلقي الرسالة المحمدية:

تنظر الرسالة الاسلامية المعاصرة إلى المتلقي كمجتمع صاحب رسالة ودعوة في الداخل والخارج ومن ثم فهو مجتمع له خصائصه ومميزاته التي تميزه عن بقية المجتمعات الانسانية حيث أنه المجتمع القدوة أو المجتمع الوسط.

إنه ذلك المجتمع الذي يطبق الاسلام عقيدة وعبادة وخلقا وسلوكا وشريعة ونظاما، هو المجتمع الذي يوحد فيه الله ويفرد بالعبادة وتكون الحاكمية فيه لله وحده، حيث يعلوه الدين والأخلاق والعلم وكرامة الانسان والفرد والأسرة ويواكب فيه التغيير والتطور المستمر في الحياة حيث يقول صلى الله عليه وسلمك "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" فهو مجتمع يقدر العلم والمال ويجعل للمال وظيفة اجتماعية، وتقدر فيه القوة وتحاط بسياج الدين والأخلاق والعواطف الانسانية النبيلة.

مجتمع تريد له الرسالة المعاصرة أن يكون مجتمع العقائد الراسخة القوية ذات الأثر في حياة الفرد والجماعة وذلك بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر الذي تزيده قدرة على مواصلة الحياة والتصدي لمختلف الآفات داخليا وخارجيا[2].

مجتمع يراد له الأخلاق الاسلامية التي تسود بالمسلم وتشرفه بالمجتمع الاسلامي وتجعله النموذج الأخلاقي والقدوة لغيره من المجتمعات.

أما النظام السياسي فتقيده وتحكمه شريعة الله حكومة وشعبا التي تحفظ كرامة الفرد مع رفض الذلة والتفريط في الحق والدعوة.

---

1 - محمود يوسف مصطفى: حرية الرأي في الإسلام. ص 246.

2- عبد الرحمن النقيب: المنهجية الإسلامية , دار الفكر القاهرة، 2004، ص 142.

أما اقتصاديا فيراد له أن يقوم على أساس المال مال الله والبشر مستخلفون فيه وعليه يجب مراعاة مصادر الكسب ومصادر الإنفاق وإخراج الزكاة وتأدية حقوق الفقراء والتكافل بين أفراده واستغلال كل مصادر الثروات ليس لصالح المجتمع فحسب بل لصالح كل أمة الاسلام.

إن أساس نظامه الاجتماعي العدل والمساواة بين الأفراد بدون تفرقة على أساس من الجنس أو اللون أو الدين أو المركز الاجتماعي والاقتصادي ويكون التأكيد على الجانب الأخلاقي وتوفير عنصر التقوى وعدم خضوع الإحسان لأي كائن آخر إنسانا أو آلة أو طبيعة.

إنه مجتمع تريد له رسالته المعاصرة أن يتسلح بالعلم النافع لمواجهة مصاعب الحياة ونفع غيره وتقدمه إذ لا غير في معرفة لا تؤدي إلى عمل نافع في عمارة الدنيا والآخرة وصلاح الانسان والمجتمع ولا يتأتى كل ذلك إلا إذا تحلى المجتمع بالأخلاق التي هي جوهر الرسالة[1].

إن الفرد في المجتمع الذي تخاطبه رسالة الاسلام مرتبط بتطبيق الأخلاق تطبيقا عمليا حيث يرتبط القول بالعمل والنظرية بالتطبيق، فهو مسؤول عن أخلاقه في الدنيا والآخرة ، ومطالب بأن يجاهد نفسه لكي يرتقي أخلاقيا ، حيث هناك حالات أخلاقية مختلفة للانسان، فهناك من يخلد إلى الأرض ويتبع شهواته وهناك من ينتصر على نفسه، وبين هؤلاء وأولئك قوم يخلطون عملا صالحا وآخر شيئا.

وما تزال دراسة المجتمع الذي تريده رسالة الإسلام في حاجة إلى دراسات أكثر حول جوانب نظرية تدعم المنهجية الصحيحة المعاصرة لمواجهة مختلف مشاكل العصر، مثل طريقة إعداد هذا المجتمع إلى جانب العمليات التربوية والتعليمية، وفي غياب هذا التنظير الاسلامي لا يجد الباحث سوى التنظير الغربي مما يوقعنا في بعض التناقضات[2] مثل الأسلوب الذي اقترحه ميشال لوني في إطار

1- أحمد قوشتي عبد الرحيم: السنة النبوية وتكوين العقلية العلمية دار العلوم .القاهرة. 2007 ص 142.

2- عبد الرحمن النقيب : المنهجية الاسلامية : م، س، ذ، ص 142.

الاتصال العمومي من بين الأساليب العديدة للتأثير والإقناع والذي يتناقض مع أهداف الاتصال العمومي التي تحارب الانحراف وكذلك تنافي تعاليم الشريعة الاسلامية والتي تقتضي اللجوء إلى أسلوب الإغراء الجنسي عبر قنوات الاتصال المختلفة لجذب انتباه الشباب للرسالة حيث يقول ميشال لوني أن اهتمام الجمهور المستهدف لحملة إعلامية خاصة بحزام الأمن قد ارتفع إلى 16% بسبب استعمالها للصقات تحمل إغراءات جنسية وذلك لأن كل ما هو محظور مرغوب وهو الأنسب للتذكر ويمس الشعور أكثر من أي ملصق عادي، وحتى في السويد سجلت الدراسات اهتماما أكبر للملصقات التي تحمل إغراءات من هذا النوع[1].

وعليه فإن الأخذ بعين الاعتبار خصائص كل مجتمع وجمهور مستهدف بعين الاعتبار من أساسيات نجاح أي عملية الاتصال وأن سياسة أخذ النماذج الجاهزة والناجحة في مجتمعات أخرى أصبح من الأخطاء الفادحة، فمن الحقائق التي لا يسع منصفا أن يشكك فيها وجود منهج علمي مكتمل الأركان لدى المسلمين سبقوا المنهج الغربي الحديث كونوا من خلاله حضارة سادت العالم لقرون طويلة وقدمت منجزات باهرة في شتى المجالات شهدت بها دراسات الغربيين قبل دراسات المسلمين أنفسهم لما توفرت عليه من دوافع محفزة وظروف مواتية ومصادر مؤسسة وقبل هذا كله وجود عقلية علمية تستطيع أن تبدع منهجاً علمياً وتستخلص عناصره ثم تحث على تطبيقه لاسيما إذا تعلق الأمر بمجال الاتصال وأهم عناصره المتعلقة بجمهور العملية الاتصالية الهادفة[2].

تكوين الرسالة للعقلية العلمية في مخاطبتها لجمهورها:

إن العقلية العلمية بصفة عامة هي عقلية منهجية منظمة تعتمد على الدليل والبرهان وتنبذ الخرافات والأساطير ولا تثبت إلا ما قامت عليه الحجة وتسبر كل ما يعرض عليها من آراء وأقوال، وهي بهذا الوصف تتناقض مع أنواع أخرى من العقليات

1 - Michel Lenet : Communication publique : op. cit. p118.

2- قوشتي عبد الرحيم: السنة النبوية وتكوين العقلية العلمية: م، س، ذ، ص 132.

كالعقلية العامة أو المقلدة أو الخرافية وفي القرآن والسنة عشرات من النصوص التي أسهمت في تأسيس تلك العقلية العلمية وغرست في المجتمع المسلم مجموعة كبيرة من القواعد والأسس المنهجية التي تعلي من شأن العلم بصفة عامة ومن الاتصال بصفة خاصة وترفع من قدره وتوسع من مفهومه وتزيل كل عقبة أو مانع أو عالم يحط من قدره، وقد أثمر ذلك كله العديد من العلوم التي انبثقت من مشكاة الكتاب والسنة، والكتابات عن النظر العقلي أو نظرية المعرفة في القرآن كثيرة ومتنوعة، واهتمامنا في هذا السياق سينصب على أحاديث السنة النبوية فيما يخص الجانب الاتصالي، وكيف أولته أعظم اهتمام خاصة فيما يخص الجمهور المستهدف من الرسالة الذي غرست فيه العقلية العلمية المنهجية بالعديد من الوسائل والأساليب المتنوعة حيث تجعله لا ينساق إلى الباطل ولا يركن إلى الضلال سلوكه بأخلاقيات ومفاهيم تؤدي إلى قيام علاقات سليمة بين أفراد المجتمع بل يبين أفراد الأمة الواحدة، يحكمها إطار أخلاقي وهي أساسية في العملية الاتصالية[1] خاصة إذا كانت في إطار الاتصال العمومي الهادف نحو المصلحة العامة ورفاهية المجتمع وهي كالتالي:

- **احترام المتلقي وإمداده بالمعلومات** ، فله الحق في الحصول على المعلومات ليكون رأيا عاما على أساس سليم، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يبخل على الناس بالإعلام والشرح والتفسير ويعلمهم بالسياسات والخطط قبل تنفيذها وأوجد قناة اتصال دائمة ينقل من خلالها المعلومات التي يريد للناس أن يعلموها كإعلامه لأصحابه بعد صلح الحديبية بخطته التي يهدف بها إلى الخروج بالدعوة إلى العالم الواسع انطلاقا بها نحو العالمية لتهيئة أتباعه يتجهزوا للقيام معه، بتنفيذ الخطة وتحمل تبعاتها دون أن يكون ذلك مفاجأة لهم، وشرح لهم أن الاسلام رسالة عالمية رحمة للعالمين وقد حان الوقت لتنتقل إلى ملوك الدول المجاورة وضرورة الالتفاف حوله من اجل ذلك الهدف. فالاتصال لا يكون حاجزا بين الحقيقة والجمهور والرأي ، ليس حكرا على فئة معينة بل حتى القادة

1- أحمد قوشتي عبد الرحيم: السنة النبوية وتكوين العقلية العلمية: ن، س، ذ، ص 61.

ينتمون للناس العاديين في آرائهم، فقد كان رسول الله خير قدوة للقائم بالاتصال عندما أتاح لكل فرد الحق في استخدام قناة الاتصال مادام يعي آداب الاسلام، فلا يستخدمها مادام غيره شاغلا لها وكان لا يقطع حديث أحد ويصغي للمتحدثين حتى يفرغوا من حديثهم.

- **الدقة في استقاء الأنباء ونشرها**: فاحترام وتقدير الجمهور يوجب أن تكون المعلومات التي يتعرف لها صادقة ويكون مصدرها متأكدا من صحتها وصدقها، فمن مواصفات الخبر وفقا للمفهوم الاسلامي أن يكون صادقا قد تيقن راويه من صدقهن وقد اهتدى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ضرورة استقاء الخبر من أكثر من مصدر واحد إمعانا في التأكيد ليقينه أن الخبر الكاذب يؤدي إلى تبلور رأي غير سليم ويوقع الناس في البلبلة ويقود إلى تصرفات خاطئة مترتبة على مقدمات غير سليمة.
- **تجنب خداع المتلقي**: فهوله مكانته ولذلك حارب الاسلام كل من يحاول خداعه وغشه لأن في ذلك بعدا به عن وظيفته المنوطة وأقام الاسلام أسس التعامل بين البشر على أساس الوضوح والصراحة، فحرم كل ما من شأنه التغرير بالناس وخداعهم بأي صورة من الصور، ونجد تحريم الاسلام للخداع واستغلال عقول الناس في آيات كثير من آيات الله وأحاديث صحيحة من سنة رسول الله ، كما نص الرسول عن التغرير والغش بمعسول القول والكلام، وكان موقفه صلى الله عليه وسلم يوم وفاة ابنه إبراهيم خير دليل على حرصه على عقول الناس وحمايتها من الوهم والخيال.
- **تحريم الغش في رواية الخبر**، فالغش أنواع، الغش في رواية الخبر أو نقل النبأ، فقد حرم الاسلام كما سبق التوضيح نشر الأخبار الكاذبة حتى لا يضلل الجمهور بها لما في ذلك من نتائج وخيمة، فالتثبت من الخبر شرط أساسي

لإذاعته على الناس وقد عمد رسول الله إلى التأكد من الخبر المنقول إليه في أكثر من واقعة[1].

- **المطابقة بين القول والعمل:** حيث تميزت عملية الاتصال المتميزة على مبادئ الاسلام بسمة أساسية هي أنه يسبقها ويسير معها تطبيق سلوكي من القائم بالاتصال للفكرة أو المسألة التي يطلب من الجمهور أن يتابعوه فيها، فإذا أمر الرسول الناس بشيء كان أول الملتزمين به وإذا نهى عن فعل كان أول المنتهين عنه فهو أسوة وقدوة سلوكية يطبق ما أمره الله بتبليغه لقومه ليطبقوه وليدلهم على أنه بإمكانهم التطبيق.

فمضمون العملية الاتصالية في الإسلام يجسده التطبيق الفعلي من جانب القائمين بالاتصال أو الدعاة، فقبل أن تنطلق ألسنتهم بالدعوة إلى الاسلام كانت أحوالهم تتكلم عن الدين الجديد وأخلاقه فنجحوا بالحال قبل المقال وجدير بأصحاب التعاملات مع الناس من مؤسسات ومنظمات وأفراد أن يضعوا هذه الحقيقة نصب الأعين فلا يأتي الفعل متناقضا للحديث وإلا أدى ذلك إلى فقد الثقة وإشاعة مناخ من الشك في التعاملات بين الجمهور على نحو يؤدي إلى إفساد جو العلاقات الطيبة بين القائم بالاتصال وجمهوره، والسبب في ذلك أن الكلمة عمرها قصير في القول أما السلوك فأمده طويل، فالكلمة لا تستغرق من قائلها وقتا طويلا لكنها من قيلت انتظر المستمع أن يراها تتجسد فعلا وسلوكا، فإذا حدث ذلك تبين له صدق القائل وما لم تتحول سلوكا واقعيا فقد المتحدث ثقة المستمع واحترامه.

- **الاتصال المبني على أسس إسلامية لا يعكس مصالح ذاتية،** بل يعكس الصالح العام لأفراد المجتمع المسلم في الوصول إلى درجة من التعريف بالحقائق الاسلامية والإقناع بعمل خير يرجى منه نفع الناس أو تكوين رأي أي فاضل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فمنهج الله يقتضي توصيله والإعلام عنه وهو أمر يعلو على

1- محمود يوسف مصطفى، حرية الراي في الاسلام، م، س، ذ، ص 136.

المصالح الذاتية وإنما يسوقه الايمان إلى تحمل تبعاته لكي ينير للناس طريقهم دون مصلحة شخصية نظيرا لقيامهم بالواجب.

الرسالة الاتصالية المحمدية رسالة متجددة لمتلقي عالمي:

لقد كان ولا يزال لرسالة الاسلام ما تحمله من مقومات اتصالية دور في بناء الواقع، وقد كان الخطأ في فهم الواقع ومعرفة الذات هو الذي جعل النهضة بالحضارة غير ممكنة ويمكن أن نضرب مثلا على ذلك بالحكم الذي شاع منذ مطلع القرن العشرين في معظم الدول العربية وهو القول بأن الشعوب الموجودة من المحيط إلى الخليج شكلت الأمة العربية والمقصود أمة عربية بالمعنى القومي أي أنها أمة شكلت عنصري اللغة والتاريخ ثقافتها وعاداتها وتقاليدها وأخلاقها وقيمها ومشاعرها ونفسيتها....لذلك عندما جاءت الدولة القومية واستهدفت بناء نهضة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعمرانية والحضارية والتربوية والفنية لم يلتفت إلى دور الدين في بناء هذا الواقع، بل نظرت إلى الدين على أنه معوق للتقدم والبناء، كما كان دوره في الغرب، لذلك لا بد من العمل على استئصال وجوده من حياة الناس، وفي أحسن الأحوال لا بد من تهميش دوره، لذلك لم تحقق النهضة بل كان هناك سقوط في مختلف المجالات وأحد الأسباب الرئيسية هو عدم الانطباق من الواقع، وعدم تمحيص الهوية وعناصر قيامها فأول درس يستفاد من التجار ب السابقة هو الوعي بالواقع واحترام عوامل تشكله وهو مشروع كبير لأنه مشروع الأمة لا يحصل بالقوة وحدها أو الفكر وحده أو بالحماس والتنظير بل أيضا بالاتصال والدعوة والتربية والإصلاح والتخطيط وتجنب الصراعات الداخلية[1].

لقد اعتمدت الحضارة الاسلامية بصفة أساسية على الفكر الاسلامي المستمد من الكتاب والسنة وتميز بين العبادات والعقيدة من جانب وما عداها من نظم من جانب لآخر، فالجانب الأول يخص المسلمين وحدهم والجانب الثاني عام يشمل المسلمين وغير المسلمين ومن هنا كانت حضارة

1- جمال فتحي نصار: نهضة الأمة بين القيم الروحية والتقدم المادي: مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2009، ص15.

إنسانية عالمية غير عنصرية وغير متعصبة تخاطب كل البشر وتسوي بينهم بصرف النظر عن دينهم ولغتهم وجنسهم "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (الحجرات 13) كما أنها تقوم على التسامح الديني، هي حضارة متجددة تفتح الباب للاجتهاد وتجعل على طلب العلم والتأمل في الكون وتشجيع الأبحاث العلمية[1].

حياة الدين والثورة تدوم بدوام النضال والجهاد وإذا تحققا يبدأ الموت يتسرب إليهما، فما إن تبدأ الثورة تكذب وتخدع نفسها حتى تمضي مع الدين المزيف يد بيد، ولكي يستعيد المسلمون مجدهم عليهم نشر التعليم والقضاء على الأمية ورفع مستوى معيشة الفقراء التي فرضها الله حتى لا يكون سائل أو محروم بين المسلمين، ويتخلصوا من الفقر، ويعنوا بالتربية الدينية الخلقية المثالية للقضاء على الأنانية والفساد الخلقي ويهتموا بالناحية الصحية بتيسير العلاج والتربية الجسمية والعقلية والروحية والوجدانية والعملية وهي كلها مشكلات اجتماعية خلفها الاستعمار ولا زالت.

لقد منح الاسلام للانسان حقوقا: حق الحياة، حق التعلم، المساواة، ..وفرض عليه الكثير من الواجبات الدينية والإنسانية التي تتصل بالحياة وأمر بالعدل والإحسان ومن العيوب المنتشرة، التفكير في الحقوق والسعي لأخذها وإهمال الواجبات.

إن الأمة مجموعة متماسكة من الأفراد وكلما كان الفرد سليما كان بناء الأمة سليما، وكلما كانت أخلاقها قوية نقية كانت اتجاهاتها سليمة وأهدافها مستقيمة، والإسلام أوفى الأديان والشرائع عناية بتوازن القوى المختلفة في المجتمع وبناء الأمم وفي حياتنا الحاضرة أمراض اجتماعية خطيرة تحتاج إلى معالجة بل التوعية و التربية للوقاية منها انطلاقا من الفرد

1- جمال فتحي نصار. نهضة الامة.م. س.د. ص 44.

الذي يعتبر الخلية الأولى في بناء المجتمع يبدأ الإصلاح منه ويجعله قائد للخير والاستقامة من موقعه ويؤدي إلى استقامة من حوله في حياته الاجتماعية[1].

لقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر عاما يعنى بتربية أفراد من أمته حتى إذا اجتمع له منهم عشرات شرع في بناء الدولة الصالحة والحضارة الصالحة، إن أبا بكر وعمر وابن مسعود وأمثالهم أقاموا صرح الدولة الاسلامية والحضارة وكان رسول الله يقوي أرواحهم ويصقل نفوسهم ويهذب أخلاقهم حتى إذا مضى إلى ربه كان لهم في التاريخ شأن وكان لهم فيه هداية الانسانية نصيب والذين صنعوا الدولة وأقاموا الحضارات وهتكوا حجب الجهل وارتادوا آفاق العلم وغيروا مجرى التاريخ وأحدثوا أكبر الأثر في حياة أمتهم وحياة الانسانية هم أفراد قويت إرادتهم واستقامت أخلاقهم وخلت حياتهم من كثير من الآفات النفسية والخلقية وهذا هو أصل المد 00نية والحضارة التي ينادى بها اليوم عبر حملات الاتصال لعمومي[2].

❖ قيمة المجتمع في الرسالة المحمدية و الاتصال العمومي :

تستهدف الرسالة المحمدية إقامة حضارة على أساس مجتمع يوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة وتقيم هذا التوازن على أساس التآخي والمحبة والتراحم وهو ما نعبر عنه الآن بالسلام الاجتماعي أو التكافل الاجتماعي الذي تنادى به رسائل وحملات الاتصال العمومي اليوم، هذا التآخي والتراحم ليس دوما تمييز بينهم، فكل ما من شأنه أن يكون مصدرا للحقد والضغينة والاستغلال والآفات محرم كالخمر والميسر والزنا والربا والاحتكار، حيث يضع الإسلام ضوابط محكمة لتحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية بل تجعل احترام هذه الضوابط من بين واجبات الدولة،

1- المرجع السابق،ص 65.

2- جمال فتحي. نصار.نهضة الامة.م.س.د. ص62 .

فهي ليست دولة حارسة كما هو الحال في نظرية الحضارة الغربية تقتصر وظيفتها على حفظ الأمن في الداخل والدفاع عن البلاد وإقامة القضاء للفصل في الخصومات، كما أنها ليست دولة متدخلة في كل صغيرة وكبيرة في النشاط الانساني كما ينادي بذلك المذهب الشيوعي وبعض المذاهب الاشتراكية فالدولة في الاسلام دولة راشدة تقوم بوظيفة الاجتماعية، فالعمل حق وعلى صاحبه ممارسته فيما لا يضر بالجماعة، والملكية حق له طالما اكتسبها بطريق مشروع والعكس يؤدي به إلى التجريد من كل حماية وعلى المالك أن يمارس حقه فيما لا يضر الجماعة ويحسن الانتفاع به ويستغله لصالحه ولصالح الجماعة، ولا تكتفي الحضارة الاسلامية بالاعتراف للأفراد بالحقوق وتقيدها لصالح الجماعة بل تضع على عاتق الدولة التزاما بتوفير الحاجات الأساسية للمواطنين وإجراء الأرزاق على المحتاجين وتوفير فرص العمل المناسب للقادرين، ومع ذلك تأخر المسلمون فمن ينظر للعالم في القرن الواحد والعشرين يجد أنه قد نسي القيم الروحية والمبادئ الخلقية والأمانة والرحمة وحياة الفضيلة واتجه إلى الحياة المادية وحياة الغدر والخيانة والقتل والقسوة فعاش في حرب ونزاع وقتال ولو اتجه إلى روح الاسلام وروح الجمع والتوسط بين الحياة الروحية والمادية لتجنب تلك الحروب التي دفعت ويلاتها وفظائعها الانسانية[1].

إن المسلمين اليوم لم يتأخروا بسبب دينهم ولكنهم تأخروا لأنهم لم يحافظوا على دينهم، فتدخل الاستعمار في شؤونهم وقد شهد العلماء والمؤرخون بفضل المسلمين الأول، فقد قادوا العالم عندما حافظوا على دينهم وأخلاقهم ولما تغير سلوكهم وخالفوا المبادئ الاسلامية ضعفوا بعدما كانوا أقوياء وتأخروا بعدما قادوا العالم، والأمم الناهضة اليوم تقدمت لأنها تتخلق بالأخلاق الاسلامية ولو أنها لا تدين بالاسلام مثل ما حدث مع المعجزة

1- - المرجع السابق.ص66 .

اليابانية، فالمجتمع الذي تسيطر عليه مشاعر التضامن والتضحية والمصير المشترك يعتبر في حالة دينية، والمجتمع العاجز عن التدين عاجز عن الثورة وكلاهما يولدان في مخاض عن الألم والمعاناة ويحتضران في الرفاهية والترف[1].

وعندما تستمد الحياة العامة والخاصة وجودها من هذا الاسلام العظيم، فسقوط المسلمين كان يوم قطعوا حبل الاسلام واستهانوا بروابطه.

إن الله يأبى أن يكون مجمل صلته بخلقه لحظات هدوء أو مناجاة في بيوت أقيمت باسمه ثم ينطلق الناس بعدها يحيون كما يشاؤون ويتعاملون بما يتواضعون عليه من قوانين وتقاليد دون مراعاة ما نظم لهم من شؤون خلقية واجتماعية وسياسية، فالسير على ما شرعه الله ليس داخل جدران المعابد وحدها بل في جميع الحياة والتعاملات وشؤون الحياة كلها[2].

وهذا ما سنحاول إبرازه من خلال تحليل بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في كتاب صحيح البخاري كنموذج نحاول إبرازه من خلال البرهنة على أن الاسلام دين حضارة ودين ودنيا وآخرة، به يصلح أمر المجتمع بل الانسانية كلها، فالمسلمون هم ربع سكان الأرض تقريبا يعيشون اليوم فترة حرجة من تاريخهم في ظروف غامضة، فأطرافهم تنتفض يوما بعد يوم، صميمهم مهدد بالضياع والاستلاب الثقافي يلح على محو شرائعهم، لذلك هم مطالبون بتطويع الحياة لخدمة الدين وتوجيه النشاط الفردي والجماعي لخدمة الرسالة العامة وتحقيق غاياتها متجاوزين المسجد إلى الحقل والمصنع والمرصد والدكان والبر والبحر وما يكتب ويسمع، فالاسلام رسالة توجب على معتنقيها أن يجعلوا مجتمعهم جدير بالحياة و أقدر على النجاح.

1- المرجع السابق، ص65.

2- محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الاسلامية: م، س، ذ، ص 4.

إن هموم الأمة وأزماتها الروحية والفكرية تستولي على شعور كل غيور على الاسلام، فيحاول بذلك إبراز عظمة هذه الرسالة كل من مجال اختصاصه.

ومادام الاتصال العمومي أنبل اختصاص وفرع في علوم الاعلام والاتصال –على حد قول ميشال لوني- نظرا لأهداف السامية والرامية للمصلحة العامة انطلاقا من المسؤولية الفردية، فإن رسالة الاسلام كلها كرسالة موجهة من مرسل إلى مستقبل تحتوي كل أهداف الاتصال العمومي لأن هدفها مصلحة وخير الأمة بل أبعد من ذلك الانسانية جمعاء، وتحليل الأحاديث عينة الدراسة للرسول صلى الله عليه وسلم تكون بمثابة النموذج والمثال لا على سبيل الحصر لأن رسالة الاسلام أعظم وأجل وأكبر من أن نحصرها في بضع وريقات.

❖أثر نجاح الرسالة المحمدية:

إذا كانت القدوة مهمة في مجال البناء الحضاري والتنشئة التربوية ووضوح المرجعية وكيفيات التعامل مع القيم كقضية محسومة خاصة في مجال الدعوة الاسلامية أو الاتصال العمومي بالمفهوم الحديث، فإن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم المسدد بالوحي والمؤيد به والذي جاء بالرسالة الخالدة المجردة عن الزمان والمكان هو الأنموذج البشري الذي بإمكان كل إنسان السعي لتحقيقه والتطلع إليه والارتقاء إليه، فسيرته صلى الله عليه وسلم كانت تنزيلا لقيم القرآن وتجسيدا لها في الواقع البشري ومنهجا لكيفية التعامل مع القيم وتطبيقاتها في الواقع وفي مختلف المجالات وبمختلف الأبعاد، لقد ظل محمد رسول الله أكثر من عشرين عاما يحمل على عاتقه عبء الأمانة الكبرى كقائم بالاتصال في هذه الأرض، عبئ البشرية كلها وعبء العقيدة والكفاح والجهاد في مختلف الميادين، في ميدان الضمير البشري، الفارق في أوهام الجاهلية وتصوراتها المكبل بأوهان

الشهوات وأغلالها حتى إذا خلص هذا الضمير في بعض صحابته بدأ معركة أخرى في ميدان آخر بل معارك متلاحقة مع أعداد الدعوة وحتى المؤمنين بها، ولم يفرغ من معارك الجزيرة العربية حتى كانت الروم تتهيأ للبطش بالأمة، لم تكن معركة الضمير قد انتهت وهي المعركة الأولى لأنها معركة خالدة، فكانت طيلة عشرين عاما في معركة دائبة مستمرة حتى نجحت الدعوة الاسلامية على نطاق واسع حيث خرجت الجزيرة العربية من جاهليتها وصحا عقها العليل بالتوحيد، وتوحدت الشعوب والقبائل وخرج الانسان من عبادة العباد إلى عبادة الله، ولم يعد هناك قاهر ومقهور وسادات وعبيد وإنما كل الناس عباد الله ممتثلون لأحكامه[1].

تحققت بهذه الدعوة الوحدة العربية والوحدة الانسانية والعدالة الاجتماعية والسعادة البشرية في قضاياها ومشاكلها الدنيوية ومسائلها الأخروية، فتغير وجه الأرض وانعدل خط التاريخ وتبدلت العقلية، بالرغم من مرور ديانات سماوية مختلفة إلا أن قبل الدعوة سيطرت الجاهلية وغاب الضمير واختلت المقاييس والقيم، فلما قامت هذه الدعوة بدورها في حياة البشرية خلصت روح البشر من الخرافة والعبودية والرق والفساد والتعفن والانحلال، وخلص المجتمع الانساني من الظلم والطغيان من التفكك والانهيار من فوارق الطبقات واستبداد الحكم واستذلال الكهان وقامت ببناء العالم على أسس من العقل والنظافة والايجابية والبناء والحرية والتجدد والمعرفة واليقين والثقة والإيمان والعدالة والكرامة والعمل المتقن لتنمية الحياة وترقيتها وإعطاء كل ذي حق حقه، فشهدت الجزيرة العربية نهضة لم تشهد مثلها من نشأة العمران ولم يتألف تاريخها كما تألف بعد نجاح الدعوة المحمدية[2].

1- صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، دار أبو حزم. بيروت، 2002، ص 450.

2-صفي الرحمان المباركفوري:الرحيق المختوم.م.س.ذ. ص 451.

ربما كان هذا الكلام ليس بجديد لكنه ضروري، فالدعوة رافقت الخليقة وسوف تصحبها حتى يومها الأخير مؤيدة بتأييد الله ومحفوظة بحفظه والحياة تكون ءانظر حياة على الأرض وأرقاها وأعلاها إذا كانت بالاسلام، لكن بقدر شدة ارتباط المسلمين بالمصحف والنبوة إذا طبقت أحكامه وأبرزت أهدافه[1].

1- محمد الغزالي: مشكلات في طريق الحياة الاسلامية: م، س، ذ ، ص 3.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

◆ باللغة العربية :

1- القران الكريم

2- البخاري ابي عبد الله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري, دار الكتاب العربي, بيروت, 2005.

3- ابن هشام محمد عبد الملك: السيرة النبوية ,المكتبة التوفيقية,القاهرة,2003

4 - الترمذي عيسى محمد بن عيسى بن صورى :الشمائل المحمدية و الخصائص المصطفوية, مكتبة مصطفى الباز, الرياض, ط1 ,2003.

5 - العسقلاني احمد بن علي بن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري, المكتبة العصرية, بيروت, 2009.

1- القواميس و المعاجم :

1- إسلام علي محمود: معجم علم الاجتماع, دار المعارف, القاهرة, 2000.

2- بدوي زكي: معجم المصطلحات الإعلامية, دار الكتاب, القاهرة, .1989

3- بدوي زكي : معجم مصطلحات الرعاية و التنمية الاجتماعية, دار الكتاب المصري, القاهرة, .1989.

4- حداد سليم: معجم النقدي لعلم الاجتماع, الصحافة الجامعية الفرنسية, باريس, 1986.

5- الخليفي طارق سيد احمد: : معجم المصطلحات الإعلامية, دار المعرفة, القاهرة, 2008.

6- الكيالي عبد الوهاب : الموسوعة السياسية ,الجزء الاول, المؤسسة العربية للدراسات و النشر, عمان,1990.

2- الكتب:

1- ابو الوفا احمد: العلاقات الدولية في السنة النبوية, دار النهضة ,القاهرة, 2009 .

2- ابوجادوصالح محمد علي سيكولوجية: التنشئة الاجتماعية ، ط4، دار المسيرة، عمان 2004.

3- أبوغدة عبد الفتاح: الرسول المعلم وأساليبه في التعليم. المطبوعات الإسلامية، ط 4 بيروت، 2003.

4- ابو النصر سامية: الإعلام والعمليات النفسية في ظل الحروب المعاصرة واستراتيجية المواجهة، دار النشر للجامعات، القاهرة،2010.

5- امسترونج كارين: محمد نبي لزماننا، ط2، ترجمة فاتن الزلباني، مكتبة الشروق، القاهرة، 2008.

6- الاستانبولي محمود مهدي: عظمة الإسلام المكتب الإسلامي ، بيروت، 1988.

7- إسماعيل محمود حسن: مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، مكتبة الدار العالمية، القاهرة ، 1989 .

8- امين جلال: عولمة القهرالولايات المتحدة والعرب و المسلمون قبل وبعد احداث سبتمبر 2001، ط،2 دار الشروق ،القاهرة، 2005 .

9- بانبيله حسين بن عبد الله: أصول التربية الوقائية للطفولة في الإسلام، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 2009 .

10- بروديل فرناند: تاريخ الحضارات، ترجمة حسين شريف، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999 .

11- بليق عزالدين: منهاج الصالحين من أحاديث السنة وخاتم الأنبياء و المرسلين، دار الفتح ،بيروت، 1984.

12- بونفقة نادية: فلسفة ادموند هسرل ونظرية الفينومولوجيا، ط2، د.م.ج، الجزائر، 2011 .

13- بن باز عبد العزيز: عقيدة اهل السنة والجماعة، ط 2، دار بن خزيمة ،الرياض، 1998

14- بن عاشور محمد الطاهر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار سحنون، تونس، 2006 .

15- بن نبي مالك: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامى الحديث، دار الرشاد ،بيروت، 1969.

16- بن نبي مالك: فكرة كومنولث اسلامي، ترجمة الطيب شريف، دار الفكر، دمشق، 1978.

17- بن نبي مالك: دور المسلم و رسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ط1، دار الفكر، دمشق، 1978.

18- تمار يوسف: تحليل المحتوى للباحث و الطلبة الجامعيين، ط1، طاكسيج كوم،الجزائر، 2007.

19- تولتسوي: حكم النبي محمد، ترجمة محمود النيجيري، مكتبة النافذة، القاهرة، 2008.

- الجابري محمد عابد: الدين والدولة وتطبيق الشريعة،مركز دراسات الوحدة العربية، ط 3،بيروت،2009 .

20- الجبور سناء: الإعلام الاجتماعي، ط1، دار أسامة، الأردن، 2010 .

21- جريوعة محمد : نقد التجربة الإعلامية الإسلامية ،ط2، المركز العالمي للاستشارات الاستراتيجيه، الرياض،2004 .

22- الجزائري أبو بكر: هذا الحبيب محمد يا محب، ط1، دار الفكر، بيروت، 1995.

23- جمعة اسعد: دراسات في علم الاجتماع الإسلامي، ط1، دار العصماء، دمشق، 2009 .

24- الجوير إبراهيم بن المبارك: اثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1994 .

25- حجاب محمد منير: تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، دار الفجر، القاهرة، 2004 .

26- حجاب محمد منير: التفسير الإعلامي لصحيح البخاري، ط1، دار الفجر، القاهرة، 1995 .

27 - الحديدي منى سعيد: الإعلام و المجتمع، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2004.

حسنة عمر عبيد: من فقه التغيير، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1995 28.

29- حسين هبه محمد علي: الإساءة إلى المرأة، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ،2003.

30- الحسين قصي: كتابة البحوث العلمية و الأكاديمية المنهجية الحديثة، مكتبة الهلال، بيروت، 2008.

31- حفيظ اسما حسين: الاتجاهات المنهجية الحديثة في دراسات وبحوث الصحافة، دار النهضة العربية، القاهرة، 2007 .

32- حماد سهيلة زين العابدين: الإعلام في العالم الإسلام والواقع و المستقبل، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2003 .

33- حمزة محمد: الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005 .

34- الخطيب سليمان: أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، د. م. ج.الجزائر، 1990.

35- خفاجي محمد عبد المنعم: الإسلام وحضارة المستقبل، مكتبة مصر، القاهرة، 1990

36- داغستانى بلقيس إسماعيل: التربية الدينية و الاجتماعية للأطفال، ط2، مكتبة العبيكان الرياض، 2005.

37- الدغشى احمد: قراءة حضارية في إشكالات فكرية معاصرة من يمثل الاسلام،ط1. مركز الناقد،دمشق،2008 .

38- الدغيدي انيس: الحياة السرية لصدام حسين من القصور إلى الجحور، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، 2004 .

39 - الدليمي حميد جاعد محسن: علم اجتماع الإعلام، رؤية سوسيولوجية مستقبلية ، دار الشروق، عمان 2006 .

40- داوين ريتشارد: التنشئة السياسية، ترجمة مصطفي ابو القاسم خشيم، جامعة قار يونس، بنغازي، 1990 .

41 - دعيبس محمد يسري: الاتصال و السلوك الإنساني رؤية في انثروبولوجيا الاتصال البيطاش، للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999

42 - الرافعي مصطفى صادق: إعجاز القران والبلاغة النبوية، مكتبة رحاب الجزائر،1982

43 - الراوي محمد: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض 1991

44 - ربيع حامد عبد الله: مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي و قضاياه ومسائله و اشكالياته، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت ،2007.

45 - روبين برنت: الاتصال و السلوك الإنساني، ترجمة فايزة اورفلي، الإدارة العامة للبحوث، الرياض، 1991.

46 - رجب محمد: صحيح الإمام البخاري، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001.

47 - رشتي جيهان احمد: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار النهضة، القاهرة، 2003

48 - رضوان عبد القادر: سبع محاضرات حول الأسس العلمية لكتابة البحث العلمي، د.م.ج الجزائر، 1990

49 - زقزوق محمود حمدي: هموم الأمة الإسلامية، ط4، دار الرشاد، القاهرة، 2008

50- زقزوق محمود حمدي: الإنسان والقيم في التصور الإسلامي ،دار الرشاد، القاهرة 2003

51 - زقزوق محمود حمدي: الحضارة فريضة إسلامية، ط1مكتبة الشروق، القاهرة، 2001

52 - الزنداني عبد المجيد: وغدا عصر الإيمان، مكتبة القران، القاهرة، 1999

53 - الزنداني عبد المجيد: آيات الله في الأفاق، مكتبة القران، القاهرة، 1993

54 - الزنداني عبد المجيد: الإسلام أو الضياع، مكتبة القران، القاهرة، 1993

55- الزنداني عبد المجيد: يا أبناء الإسلام دينكم دين الحق وكل آية في القران إعجاز مكتبة القران، القاهرة، 1993

56 - الزنداني عبد المجيد: أنت تسأل و الزنداني يجيب حول الإعجاز العلمي في القران والسنة، مكتبة القران، القاهرة، 1999

57 - الزنداني عبد المجيد: العلم طريق الإيمان، مكتبة الساعي للنشر والتوزيع، الرياض 1991

58 - سالم صالح: محمد نبي الإنسانية، ط1، مكتبة الشروق، القاهرة،2008.

59- السرجاني راغب: الموسوعة الميسرة في التاريخ الاسلامي،ج2 ،ط1 ،مؤسسة اقرأ،القاهرة 2005

60 - السيد عزمي طه: *الثقافة الإسلامية*، الشركة العربية المتحدة، القاهرة، 2008

61- سيد فتح الباب عبد الحليم: وسائل التعليم والإعلام ،عالم الكتب، القاهرة، 1989

62- السباعي مصطفى: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط3، دارالسلام، القاهرة 2006

63 - شكري حسن: أمريكا السقوط وكتيبة الموت، ط1، مكتبة النافذة ، القاهرة، 2009

64 - الشنقيطي محمد الخضر: كوثرالمعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، الجزء 1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995

65 - شفيق حسنين: سيكولوجية الإعلام، دار الفكر،القاهرة ،2008.

66 - الصاوي مدحت محمد محمود: الخدمة الاجتماعية الوقائية، دار القلم، دبي، 1996

67- الصعيدي عبد المتعال: حرية الفكر في الإسلام، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2009

68- الصاوي أمينة: نظرية الإعلام في الدعوة الإسلامية، دار مصر للطباعة، القاهرة 1985

69- الصاوى امينة: السيرة النبوية و الإعلام الإسلامي، مكتبة مصر، القاهرة ،1986

70- الصديق محمدالصالح: محمد في نظر المفكرين الغربيين، د.م.ج ،الجزائر، 2005

71 - طعيمة رشدي احمد: تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، دار الفكر العربي، القاهرة 2004

72- العبادي عبد الله عبد الرحيم: التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2008

73- عبد الحميد محمد: البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، ط2، عالم الكتب ،القاهرة 2004

74 - عبد الحميد محمد: نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير، ط3، عالم الكتب، القاهرة 2004

75 - عبد الحميد محمد: تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، د.م.ج، الجزائر،1985

76 - عبد الرحمن عواطف: تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، دار أسامة، القاهرة 1984

77 - عتران محمد سيد: دور الاتصال الجمعي في التوعية بقضايا المجتمع، دار المسيرة عمان، 2006.

78- عرابي احمد :اثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني،د.م.ج،الجزائر،2010

79 - عرموش احمد راتب:قيادة الرسول السياسية والعسكرية، ط3، دار النفائس، بيروت 2002 .

80 - عزي عبد الرحمن: الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2009

81 - عزي عبد الرحمن: الظاهرة الاعلامية والفكر الاجتماعي المعاصر،د.م.ج،الجزائر1985

82 - العقاد عباس محمود: عبقرية محمد، دار الرحاب، الجزائر، 1990

83 - العوا سليم: المسلم والأخر، مكتبة الشروق، القاهرة، 2009

84 - عويس عبد الحليم: دراسات في تاريخ الحياة الإسلامية رؤية حضارية، ط1، دار الشروق ،القاهرة، 2009

85 - عمارة محمد: الإسلام و المستقبل، ط2، دار الشروق ،القاهرة ، 2010

86 - عمارة محمد: الإسلام في مواجهة التحديات، ط1، نهضة مصر، القاهرة، 2007

87 - عمارة محمد: الإسلام و الفنون الجميلة، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2007

88- عمارة محمد: الإسلام وحقوق الإنسان، دار الشروق، القاهرة، 2006

89 - الغرياني ع.العظيم عبد السلام: تقنيات الاتصال التعليمي من القران والسنة ، دار غريب، القاهرة، 2002

90 - الغزالي محمد: حقوق الإنسان بين تعليم الاسلام وإعلان الأمم المتحدة، ط6، نهضة مصر، القاهرة، 2009

91 - الغزالي محمد: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ط9، نهضة مصر، القاهرة 2008

92 - غارودي روجيه: الإسلام، ترجمة وجيه اسعد،ط2، دار الفرابي، بيروت، 2001

93 - الفتياني تيسير محجوب: مقومات رجل الإعلام الإسلامي، ط1، دار عمار، القاهرة 1989

94 - فريد كريمان: المسؤولية الاجتماعية والتسويق الاجتماعي، دار النهضة، القاهرة 2006

95 - فهمي محمد سيد: الاتصال في الخدمة الاجتماعية، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية 2006

96 - القرضاوي يوسف: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ط3، دار الشروق ،القاهرة 2009

97 - القرضاوي يوسف: البيئة في شريعة الإسلام، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2006

98 - القرضاوي يوسف: كيف نتعامل مع السنة النبوية، ط4، دار الشروق، القاهرة 2006

99 - القرضاوي يوسف: السنة مصدر للمعرفة والحضارة، دار الشروق، القاهرة2005

100- القرضاوي يوسف: الصحوة الإسلامية بين الجمود و التطرف، ط2، دار الشروق القاهرة، 2005

101 - القرضاوي يوسف: الرسول والعلم، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت , 1997

102 - لارامى و فالي: البحث في الاتصال، عناصر منهجية، ترجمة ميلود سفاري، مخبر علم الاجتماع والاتصال للبحث والترجمة، تونس , 2004

103 - المباركفوري صفي الرحمن: روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2002

104 - المباركفوري صفي الرحمن: الرحيق المختوم، دار أبو حزم، بيروت،2005

105 - مصطفى محمود يوسف: حرية الرأي في الإسلام، دار الإيمان للطباعة، القاهرة 2009

106 - محمد طه: السنة المطهرة والحرب ضد الإسلام، دار الكتب ،القاهرة ،1990

107 - المرصفي سعد : خصائص ثقافة الأمة الوسط ،ط1، مكتبة ابن كثير، الكويت، 2008

108 - مشارقة تيسير: مدخل إلى الدراسات الإعلامية، المقدس للنشر و التوزيع، فلسطين 2002،

109 - مكاوي حسن عماد: الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط6، الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة2006

110 - مهدلي محمد محمود: الاتصال الاجتماعي في الخدمة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2005

111 - المهدي احمد عبد الحليم: الثقافة الإسلامية محور لمناهج التعليم، ط1، مكتبة الشروق، القاهرة، 2004.

112 - المهدي الصادق: نحو مرجعية إسلامية متجددة، ط 1،مكتبة الشروق، القاهرة 2006

113 - موسى احمد محمد: المدخل للاتصال الجماهيري، المكتبة العصرية، القاهرة، 2009

114 - المولوي محمد سعيد المربي محمد: التربية النبوية شمولها واهدافها و طرائقها، ط1، دار العروبة، الكويت، 1990

115 - ميلز هاري: فن الإقناع، ترجمة فايزة عبد اللطيف اورفلي، مكتبة جرير، الرياض، 2001

116 - الميلاد زكي: الإسلام و المدنية ، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2007

117 - النجار زغلول : رسالتي إلى الأمة، ط1، دار النهضة، القاهرة، 2009

118 - النجار زغلول: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ط1، نهضة مصر، القاهرة، 2009

119 - الندوي محمد لقمان الاعظمي: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، ط1، دار العبيكان، الرياض، 1997

120 - نصار جمال فتحي: نهضة الأمة بين القيم الروحية والتقدم المادي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2009

121 - النفادي السيد: السميوطيقا وعلاقاتها بالفلسفة والعلم، عالم الفكر،الكويت، 2002 2 - النقيب عبد الرحمن: المنهجية الاسلامية في البحث التربوي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2009

122 - نيوسوم وكاريل بوب: الكتابة للعلاقات العامة، ترجمة فايد رباح، دار الكتاب الجامعي، فلسطين، 2003

123 - الهندي صالح ذياب: اثر وسائل الإعلام على الطفل، ط1، دار المكتبات و الوثائق الوطنية، عمان، 1995

124 - هوفمان مراد: خواء الذات و الأدمغة المستعمرة، ترجمة عادل المعلم ، ط2، الشروق الدولية، القاهرة، 2011

125 - هوفمان مراد: الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، ترجمة عادل المعلم، ط3، الشروق الدولية، القاهرة، 2011

126 - هوفمان مراد: الإسلام كبديل، ترجمة عادل المعلم، دار الشروق، 1998

127 - وهيبة محمود منصور: قراءات مختارة في علوم الاتصال، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ، 2005

128 - وهبي شريف: لماذا المسيح و محمد، ط1، الشروق الدولية، القاهرة، 2009

3- الدوريات

1- صبري إبراهيم: "حقوق الإنسان في السنة النبوية" مجلة كلية الآداب، العدد 21، جامعةحلوان، 2002

2- صلاح عبد الفتاح محمد: هل يكون للاقتصاد الإسلامي احد الحلول للخروج من الأزمة المختار الإسلامي،العدد323، القاهرة، 2009

3- المجلة المصرية لبحوث الإعلام، رابح صادق: "تجليات الاسلاموفوبيا في خطابات الوسائط الإعلامية الفرنسية" ، المجلة المصرية لبحوث الإعلام العدد 3 ،جامعة القاهرة، 2008

4 - فركوس محمد علي: "الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامة وصلاح الأمة"، مجلة الإصلاح، العدد،1 دار الفضيلة، الجزائر، 2007

5- قوشتي احمد عبد الرحيم: "السنة النبوية وتكوين العقلية العلمية مناهج العلوم وفلسفتها من منظور إسلامي"، مجلة المؤتمر الدولي الثاني عشر للفلسفة الإسلامية كلية العلوم، جامعة القاهرة ، 2007

6- كنعان احمد محمد : "المنهج الوقائي في الإسلام"، مجلة عالم الفكر المجلد 28، العدد1 بيروت ، 1999

7- كولن فتح الله: "دنيا في رحم الولادة"، مجلة حراء، ترجمة عوني عمر فتحي اوغلو،العدد27،السنة السابعة(نوفمبر- ديسمبر)،اسطنبول،2011

8- يوسف محمود: "أخلاقيات ممارسة حرية الرأي". مجلة المؤتمرالعلمي السنوي للإعلام وحقوق الإنسان العربي، كلية الإعلام، القاهرة، 2001

4- الدراسات الأكاديمية

1- احمد نصر وسام محمد: دور حملات التوعية في التثقيف الصحي. رسالة دكتوراه في الإعلام، جامعة القاهرة ، 1998

2- البكري فؤادة عبد المنعم : دور الاتصال في تنمية الوعي الاجتماعي. رسالة دكتوراه في الإعلام.جامعة القاهرة.، 1996

3- الشامي علاء عبد المجيد يوسف: دور الخطاب الديني في وسائل الاتصال في تشكيل الاتجاهات. رسالة دكتوراه في الإعلام. جامعة القاهرة.،2006

4- عميرات امال: الاتصال العمومي في الجزائر وكتاب الطفل المدرسي تحليل مضمون الكتب المدرسية،ماجستير في علوم الإعلام والاتصال. جامعة الجزائر.،2002

5- العمار علي حسين: الخطاب الصحفي لقضايا حقوق الانسان المدنية والسياسية ،رسالة دكتوراه في الإعلام، جامعة القاهرة، 2006

6- الكحكي عزة مصطفى: الاثارالمعرفية للحملات الإعلامية بالتلفزيون،رسالة دكتوراه في الاعلام ،جامعة القاهرة، 1998

7- يوسف محمد :أصول العلاقات العامة في الدعوة الإسلامية،ماجستير في الإعلام،.جامعة القاهرة1983 .

♦باللغة الاجنبية

1-Balle Francis :Medias et société,11éme edition,Montchrestien , Paris ,2003

2 -Bertrand Jean Claude: Medias ,2éme édition,Ellipses,Paris ,1999

3 -Durand Jaques :Les formes de la communication,édition Dunod, Paris, 1981

4 - Grawitz Madleine :Methodes des sciences sociales ,10éme édition,Dalloz,Paris,1996

5 -Guire Mac: Theorical foundation of campaigns,public communication campaigns,sage publication,Usa,1998

6 -Hagiz.O & Dikson.D: Skilled interpersonal communication,research,theory and practice ,4th ed ,Routledge Groups, NewYork,2004

7 -Libois Boris : La communication publique ,pour une philosophie politique des médias,édition Harmattan , Paris , 2002

8-Mallaval.J & Delaudin.J.M :Communication,theories et pratiques,édition Person Education,Paris,2005

9 - Maquail Denis : Mass communication theory ,an introduction ,second édition , London , 1988

10 - Messager Marianne: La communication publique en pratique,édition d'Organisation,Paris,1995

11- Michel Le Net : La communication publique ,pratique de compagnes d' information,édition de Documentation française,Paris, 1992

12 -Michel Le Net : La communication sociale ,édition d'Organisation,Paris ,1988

13 - Ohme.R :Social influence in medias ,Lawrance Erlbaum,Usa ,2001

14 - Seitel Fraser : The practice of public relations , Pearson education international ,New Jersey, Usa,2007

15 - West Phaleur & Héléne Marie :Le Dicom , le dictionnaire de la communication ,édition Triangle,Paris ,1992



الاتصال الاجتماعي " العمومي "



للنشر والتوزيع

الأردن - عمان

هاتف: 00962 6 5658253 / 00962 6 5658252

فاكس: 00962 6 5658254 ص.ب: 141781

البريد الإلكتروني: darosama@orange.jo

الموقع الإلكتروني: www.darosama.net



الأردن - عمان - العبدلي

تليفاكس: 0096265664085

ISBN 978-9957-22-552-0

